

الأمم المتحدة الإذاعات العربية



مجلة فطية تمر عن اتحاد إذاعات الدول العربية

العدد 2 - 2012



الفهرس

إضاءات:

- مئات الفضائيات العربية!.. الأرقام والمضامين

أ. صلاح الدين معاوي..... 4

الطلف:

التلفزيون وتكنولوجيات الاتصال الحديثة : وسيط للتعليم ورافد للمعرفة

- أ. محمد رؤوف يعيش..... 7
د. جمال الزرن..... 9
د. حبيب بن بلقاسم..... 20
م. منجي المنصوري..... 33
د. وليد فتح الله بركات..... 40

- المدخل
- من التربية بوسائل الإعلام إلى التربية على وسائل الإعلام
- توظيف وسائل الاتصال المتعددة في التربية و التعليم
- تكنولوجيات الإعلام و الاتصال الجديدة والعملية التربوية
- التجربة المصرية في مجال القنوات التعليمية

2012: عام الإذاعة العربية:

- الإذاعة : من التأسيس.. إلى الرقمنة.. وماذا بعد؟

د. عباس مصطفى صادق..... 47

الطفل العربي

- قنوات الأطفال العربية : الواقع والافاق

د. هبة شاهين..... 61

دراسات

- تطور دراسات جمهور وسائل الإعلام

د. حنان شعبان..... 68

الشباب العربي

- عقلنة العلاقة بين الشباب والإعلام

أ. خالد أدنون..... 77

اعلام جديد

- مواقع التواصل الاجتماعي والتحولت السياسية في الوطن العربي

د. إبراهيم بعزیز..... 82

وثائقيات

- الفيلم الوثائقي السوداني : من بدايات الطريق إلى منصات التوزيع

د. النور الكارس..... 92

أنشطة الاتحاد

- المجلس التنفيذي في اجتماعه (87)..... 100
- مسابقة الأغنية الإذاعية والمقطوعة الموسيقية العربية في دورتها (11)..... 105
- البطولات العربية لكرة القدم : تغطيات كاملة..... 109

متابعات

- اليوم العالمي لحرية الصحافة : حضور فاعل للاتحاد..... 111
- منتدى الإعلام العربي بدبي: «الإعلام العربي، الانكشاف والتحول»..... 115

التلفزيون السعودي..... 119

التلفزة التونسية..... 120

أ.رولا شهوان..... 122

نافذة على هيناتنا

- نحو إنشاء منصة أعمار صناعية بالسعودية
- مشروع «مدونة سلوك»
- الأرشيف السمعي البصري الفلسطيني

124

127

في المكتبة الإعلامية

Abstract ملخص العدد باللغة الإنجليزية

إضاءات

مئات الفضائيات العربية!.. الأرقام والمضامين

أ.صلاح الدين معاوي

صدر في الأيام الأخيرة عن اللجنة العليا للتنسيق بين القنوات الفضائية العربية التقرير السنوي حول البث الفضائي العربي لسنة 2011. ومعلوم أنّ اتحاد إذاعات الدول العربية يضطلع بأمانة هذه اللجنة التي تتركز مهامها على صياغة وثيقة دورية، كلّ عام، تستجلي ملامح وضع البث الفضائي العربي، وتعرض لمختلف المستجدات الحاصلة وترصد التطوّرات المرتقبة من عديد النواحي، فضلا عن التقدّم بمقترحات للنهوض بهذه المنظومة على صعيد المنطقة العربية وخارجها، ودراسة مشاريع التوسّع والانتشار وتيسير انسياب الإعلام العربي.

وأوّل ما يمكن ملاحظته، ونحن نتصفّح ما جاء في التقرير من معلومات مهمّة وتحاليل ضافية وجداول بيانية مفصّلة، التأكيد على أنّ سنة 2011 لم تكن شبيهة بالسنوات التي سبقتها، اعتبارا للظروف الاستثنائية التي ميّزتها، وللتغيّرات السياسية والاجتماعية العميقة التي عرفتتها بعض البلدان العربية، بفعل ثورات «الربيع العربي». حيث شكّلت إيذانا بدخولها مراحل انتقالية كان لها وقع لافت وتأثير جليّ في المشهد الإعلامي عامة، والسمعي البصري بوجه أخص. إذ فتحت القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية فضاءات رحبة يمارس المشاهدون والمستمعون من خلالها حرية الرأي والتعبير، بما يجسّم التعددية الفكرية والإعلامية ويعزّز مقوّمات المسار الديمقراطي. كما طرأت تحويرات جذرية على التنظيمات الهيكلية لتلك المؤسسات الإعلامية وفي مستوى توجّهاتها، على نحو جعلها تتحوّل تدريجيا من وضع الإعلام الحكومي (الرسمي) إلى إعلام المرفق العمومي الذي يخدم مشاغل الجمهور ويلبّي طموحاته وانتظاراته.

وخصّص التقرير حيّزا معتبرا من اهتماماته لإعطاء كشف دقيق وشامل لواقع الفضاء الاتصالي العربي، وما أضحى يزخر به من قنوات تمّ تصنيفها إلى معرفية، تستجيب لمعايير وضوابط مهنية وتؤدّي رسالة تثقيفية بالأساس، وأخرى ربحية، تضمّ قنوات التسلية والخدمات والتسويق والإعلانات النصّية.

وسُجِّل في هذا الإطار تنامي عدد القنوات التي تبثها وتعيد بثها الهيئات العربية في السنوات الثلاث المنقضية، إذ ارتفع عدد الهيئات الحكومية بـ 138 هيئة مقارنة بسنة 2010، إضافة إلى زيادة عدد قنوات القطاع الخاص بـ 351 قناة عن السنة ذاتها، مما يفهم منه إقبال المستثمرين الخواص ورأس المال العربي في مجال صناعة الصورة وبثها، لما أتيح لهم من فرص فسحت الأبواب للتعددية الإعلامية، ولما وفّرت المدن الإعلامية العربية من بنية تحتية ميسرة للنهوض بالإنتاج السمعي البصري وإطلاق المزيد من القنوات .

ومما يسترعي الانتباه، أن التطور الكمي شمل أساسا نوعية من القنوات، وهي القنوات الربحية والقنوات الدينية، حتى أن عددها كاد يتضاعف بين سنتي 2010 و 2011، فقد سجّلت زيادة 78 قناة ربحية و35 قناة دينية.

وفي المقابل، شهد عدد القنوات الحكومية انخفاضا (من 124 سنة 2010، إلى 109 قناة سنة 2011).

أمّا في مجال التخصّص، فباستثناء القنوات الجامعة التي تقلّص عددها من 61 قناة إلى 48 قناة، فإنّ بقية التخصّصات في القنوات الحكومية لم يطرأ عليها تغيير ذو دلالة.

وفيما يتعلق بالقطاع الخاص، فإنه عرف تطورا في عدد قنواته، حيث ارتفع من 609 سنة 2010 إلى 960 قناة سنة 2011. وقد انسحبت هذه الزيادة بدرجة كبيرة على القنوات الجامعة والدينية وبالخصوص الربحية التي وصلت إلى 157 قناة، بعد أن كانت لا تتجاوز 79 قناة سنة 2010.

ولئن حققت هذه القنوات قفزة على الصعيد الكمي، فإنّ عديد المؤشرات تحيل إلى أنها لا تخدم مع ذلك، عملية النهوض بالإنتاج الإبداعي في الحقل السمعي البصري لأسباب يطول شرحها.

ويتّضح من خلال الاستنتاجات التي خرج بها التقرير أنّ البث الفضائي العربي أمكن له قطع أشواط بعيدة المدى في مستوى التطور، وسجّل حضورا بارزا وسط فضاء اتصالي عالمي دائم النمو والتجدد، وأتيح لهذا الفضاء استيعاب كلّ أشكال الحراك العربي والتفاعل معه، بشكلٍ جعله يستقطب المشاهد العربي الذي وجد ضالته في ما تبثه القنوات العربية، ولا سيّما الإخبارية منها.

وأخيرا يجدر التأكيد على أننا غدونا إزاء إعلام جديد لا تمثّل القنوات الفضائية سوى أحد مكوناته، وهي في الوقت نفسه لم يعد في وسعها أن تقوم بذاتها دون تفاعل جدّي مع التقنيات الرقمية واستخدام ذكي للمعلوماتية، وهو ما يجعل مستقبل البث الفضائي العربي مرتبطا عضويا بمدى نجاح التلفزيون في الاندماج، وقدرته على مسايرة الأنساق التكنولوجية المستحدثة.

عناوين الملف

- من التربية بوسائل الإعلام
- إلى التربية على وسائل الإعلام
- توظيف وسائل الاتصال المتعددة
- في التربية و التعليم: مقارنة اتصالية
- تكنولوجيا الإعلام و الاتصال الجديدة
- والعملية التربوية
- التجربة المصرية
- في مجال القنوات التعليمية

الملف

التلفزيون وتكنولوجيات الاتصال الحديثة : وسيط للتعليم ورافد للمعرفة

أ.محمد رؤوف يعيش

بعض القنوات التلفزيونية تبث هذا الصنف من البرامج بأساليب تقليدية تغلب عليها الرتابة والروتينية ، حيث إنها لا تبعد كثيرا في طريقة تقديمها عما يألفه الدارسون في الفصل، وهي بحسب آراء خبراء الاتصال والتربويين لم تعد ذات وقع وتأثير إيجابي، ولا هي قادرة على تحقيق الجدوى المرجوة.

ومما يميّز المشهد الإعلامي السمعي البصري أيضا، وجود قنوات تعليمية قائمة بذاتها تسير برامج التدريس في مختلف مراحل التعليم، الابتدائية منها والإعدادية والثانوية والعليا. وقد بلغ عددها 18 قناة حسب آخر إحصائية وردت في تقرير البث الفضائي العربي.

ويكون من المناسب استحضار أن طبيعة المرحلة التي نعيشها اليوم توسم بسرعة التطورات التكنولوجية، جرّاء انتشار الثورة الرقمية واكتساحها مختلف ميادين الحياة، وهو ما أفضى إلى تشكّل وضع اتصالي مغاير يسمح للقائمين على شؤون الإعلام السمعي البصري ومستعملي الوسائط المتعدّدة بتوفّر مجالات متنوعة ويفتح أمامهم آفاقا رحبة . وكان من نتيجة ذلك ظهور

المدخل:

تعدّ الوظيفة التربوية إحدى أهم الوظائف الأساسية التي تضطلع بها وسائل الإعلام السمعية البصرية، والوسائط المتعدّدة، إلى جانب الإخبار والتثقيف والترفيه. وفي هذا السياق ما فتئت القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية تولي اهتماما بالشأن التربوي ضمن شبكاتها البرمجية.

إلا أن ما تجدر ملاحظته أن هذا الاهتمام تتفاوت درجاته على الصعيد العربي من قناة إلى أخرى، ولا سيّما فيما يتعلّق بإنتاج البرامج التعليمية الموجهة إلى الأطفال والشباب والطلاب. وعلى العموم، فإنّ هناك من المؤسسات الإعلامية المرئية ما تستخدم التلفزيون كأداة ناجعة وفعالة للنهوض بالعملية التعليمية، ويستغل ما تتيحه تكنولوجيات الاتصال الجديدة من إمكانات واسعة، على نحو يجعل هذه البرامج تقدّم في أشكال متطوّرة وصيغ مبتكرة، وبالتالي تكون قادرة على اجتذاب العدد الأوفر من المتابعين لها. وفي مقابل ذلك، لا تزال هناك

بالارتقاء بجودة المنظومة التربوية في العالم العربي، فإن البحث الموالي ضمن الملف يروم دراسة المقاربة الاتصالية للوسائط التفاعلية المتعددة في الحقل التربوي، ويركز على فلسفة هذه النظرية في توظيف التكنولوجيا الحديثة للاتصال والإعلام في العملية التعليمية، وتطرح الدراسة بدورها سؤالين، يتعلق أولهما بالأسس التي انبنت عليها المقاربة الاتصالية في فهمها للعملية التربوية، بالاستناد إلى التطورات الكبرى في مجال استخدام التكنولوجيا الحديثة في التعليم؟ أما الثاني فهو إلى أي حد يمكن إدراك أن هذه المقاربة مثّلت حلاً لبعض المشاكل البيداغوجية العالقة في الأنظمة والمقاربات الكلاسيكية، خاصة في علاقتها باستخدام الوسائط المتعددة والفضاءات الإلكترونية الجديدة في الساحة التعليمية؟

وركز مقال آخر على بيان أهم الأدوار التي تقوم بها التكنولوجيا الجديدة للمعلومات والاتصال في العملية التعليمية، وما تتيحه هذه التقنيات من استعمالات مختلفة في ما يهّم تطوير أساليب التعلّم ومناهج التعليم وإشاعة المعرفة، على غرار وسائط الاتصال المتعددة والتعلّم عن بعد بواسطة الإنترنت والهاتف المحمول، وتقنيات التلفزيون الأرضي الرقمي وما توفّره من أنماط تفاعلية بالإمكان استخدامها في العملية التربوية، وتلفزيون الإنترنت...

ومن محتويات الملف كذلك، عرض لأحد النماذج العربية العريقة في مجال القنوات التعليمية وهي التجربة المصرية التي تشمل التلفزيون والإذاعة.

ويتيح المقال الذي كُتب بالمناسبة فرصة التعريف بخصائص هذه التجربة والأطوار التي مرّت بها، كما يعرف بأصناف البرامج التعليمية التي تقدّمها هذه القنوات للتلامذة والطلاب ولسائر المتابعين لها .

أجيال واعية تبدّلت نظرتها إلى الأشياء، وأضحّت تُقبل بكثافة على استخدام هذه الوسائط والتعامل اليومي معها بذكاء. وقد انضاف إلى جانب التلفزيون والإذاعة، كمّ هائل من الآليات المستحدثة كالإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعي والهواتف الجوّالة وغيرها من المحامل التي تمكّن من النفاذ بكل يسر لاكتساب المعارف.

وفي ضوء ذلك، أصبح من المتأكّد أن تؤخذ المتغيرات الحاصلة بنظر الاعتبار، كما يتعيّن مراعاة مقتضيات الواقع الاتصالي السائد في إنتاج البرامج التعليمية، ممّا يفرض على وسائل الإعلام العربية، على اختلاف أصنافها، التكيف مع المعطيات التي أفرزها، والاستفادة من الإمكانيات المتاحة، وذلك بالتجديد في الأساليب والطرائق وتطوير مناهج العمل، سعياً إلى تأمين أفضل حظوظ النجاح لهذه النوعية المخصوصة من البرامج وبلوغ أرفع مراتب الجودة لها.

ويسلّط الملف الذي تتضمّنه مجلة « الإذاعات العربية » في هذا العدد الأضواء على بعض الجوانب المرتبطة بالموضوع، ويتصدّره مقال بعنوان : « من التربية بوسائل الإعلام إلى التربية على وسائل الإعلام »، وهو يبحث في العلاقة التي تقوم بين المؤسسة التربوية ومكوّنات المنظومة الاتصالية والإعلامية اليوم، ويحاول الإجابة عن السؤالين التاليين :

هل صار الكلام على بيداغوجيا الاتصال والإعلام بديلاً عن بيداغوجيا المربّي؟ ثم أين يمكن تنزيل التربية على وسائل الإعلام في الثقافة العربية، خصوصاً في ظل الربيع العربي الذي تعيشه بعض مجتمعاتنا العربية؟ واعتباراً لكون التقنيات الحديثة للمعلومات والاتصال تشكّل اليوم أهم الأدوات التي في المقدور استغلالها للدفع بتعليمنا خطوات أخرى إلى الأمام، واكتساب القدرة على بلورة استراتيجيات تعليمية كفيلة

من التربية بوسائل الإعلام إلى التربية على وسائل الإعلام : نهاية الإعلاموفوبيا

«التربية هي السلاح الأقوى الذي يمكن استعماله لتغيير العالم» (نلسون مانديلا)

د. جمال الزّين

معهد الصحافة وعلوم الأخبار - تونس

1 - تقديم : نتعلم لتواصل... نتواصل لتعلم

في تقرير رفعته التفقدية العامة للتعليم بفرنسا إلى كل من وزير التربية ووزيرة التعليم العالي جاء فيه أن التربية على وسائل الإعلام هي عبارة عن «شرط ديمقراطي». وربما يعود أصل هذا التوصيف الجديد في علاقة التربية بوسائل الإعلام في الغرب، في جزء كبير منه، إلى أصالة العلاقة التاريخية بين الديمقراطية ووسائل الإعلام. وتعتبر هذه النتيجة إعلانا عن ميلاد، والتأسيس لبراديجم جديد في علوم الإعلام والاتصال بات يستقطب، ومنذ عشرية، العديد من الباحثين وتناقش حوله العديد من رسائل الدكتوراه¹ وتنظم بشأنه العديد من المؤتمرات العلمية الدولية²، وتشرف عليه مراكز متخصصة³.

نظريا، تستهدف كل عملية تربوية في نهاية مسيرتها تمكين المتعلم من إمكانية البرهنة على حد أدنى من الاستقلالية الفكرية في العمل والحياة، وذلك انطلاقا من المعارف التي تحصل عليها طيلة حياته التعليمية. إن هذا الهدف تسعى أيضا إلى بلوغه وسائل الإعلام والاتصال وذلك منذ أن حاول لاسويل وبعده ميرتون⁴ تحديد وظائف وسائل الإعلام لتصبح وظيفة التربية والتعليم من بين أهم الوظائف والأدوار التي تؤمنها وسائل الإعلام في المجتمع. كما تسعى وسائل الإعلام وضمن سياقات مختلفة عن المدرسة، ومن خلال منهجية خاصة بها إلى تمكين المواطن من معرفة ما يحيط به من آراء وأخبار، وذلك حتى يستطيع أن يتموقع بشكل واع في الحياة العامة. فكأن بالاتصال هو جوهر العملية التعليمية وأن العملية التعليمية جوهرها أيضا تواصلية لتصحّ مقولة : نتواصل في الحياة لتتعلم وفي المدرسة نتعلم لتواصل.

نتواصل في الحياة
لنتعلم، وفي
المدرسة نتعلم
لنتواصل.

في قراءة متشائمة لوظائف وسائل الإعلام أو ما يمكن أن نصلح على تسميته بالإعلاموفوبيا، أي الخوف من وسائل الإعلام في إمكانية تفاعلها مع الفضاء المدرسي، اتجه عدد من الباحثين إلى القول بأن التلفزيون يوشك أن يعوّض المدرسة إن لم نقل قد عوضها⁵. ويبدو أن ما يتناقله الجيل الجديد والمجتمع عموماً من وسائل الإعلام أكثر كماً وكيفاً مما توفره المؤسسات التعليمية بمختلف مستوياتها. هكذا إذن تحوّل الحديث عن المدرسة ومستقبل دورها حديثاً في نفس قيمة الحديث عن مخارجات المجال الإعلامي والاتصالي في المجتمع. وأن الحديث أيضاً عن وسائل الإعلام والاتصال بات هو الآخر بحثاً في منظومة القيم والتربية ومساءلة لهوية المجتمع.

سنحاول في هذه المقالة العلمية بيان طبيعة العلاقة الفكرية غير المستقرة بين المدرسة وكل مكونات المنظومة الاتصالية والإعلامية اليوم. كما سنشير المراحل التاريخية والفكرية الكبرى التي ميّزت علاقة المؤسسة التربوية بوسائل الإعلام؟ وهل أصبح الحديث عن بيداغوجيا الاتصال والإعلام بديلاً عن بيداغوجيا المعلم؟ أين يمكن موقعة التربية على وسائل الإعلام في الثقافة العربية بعد أن أظهر السياق التحرري الجديد لوسائط الاتصال والإعلام مع الربيع العربي، ضرورة عدم تجاهل قيمة الوسائط ومدى تحررها في أي مشروع تربوي قادم.

2 - التربية على وسائل الإعلام : مبحث فكري

تشير علاقة التربية بوسائل الإعلام عدة مقاربات، الأولى نفعية قائمة على قاعدة توظيف تقنيات الاتصال والإعلام (تلفزيون، كومبيوتر...) في العملية التعليمية، والثانية تثقيفية تعود إلى ضرورة تربية المجتمع ابتداء من الجيل الأول على فهم وسائل الإعلام (كتاب، مسرح سينما، إذاعة، تلفزيون صحيفة...) وكيف تطورت هذه الوسائط تاريخياً لتصبح محددة في تشكيل الآراء والسياسات وتلقي الأخبار والمعارف.

برز التفكير في علاقة وسائل الإعلام بالتربية منذ ستينات القرن الماضي، وذلك من خلال التعاون بين منظمة اليونسكو والاتحاد الأوروبي، وكان الهدف من التقارب نفعياً في المقام الأول، أي كيف يمكن توظيف وسائل الإعلام في عملية التلقين والتدريس، أو ما يمكن أن نصلح على تسميته بالتربية بوسائل الإعلام. إن الاهتمام بظهور منافسة جديدة لوسائل الإعلام للمؤسسة التعليمية في تشكيل مخيال المتعلم والقيام بدور التنشئة الاجتماعية هو الذي دفع بالتحول الإيستيمولوجي من التفكير في التربية بوسائل الإعلام، إلى البحث في إشكالية جديدة محورها التربية على وسائل الإعلام. لقد كان لبروز نظريات التأثير والجمهور والرأي العام عند دراسة رسائل وسائل الإعلام الأثر الكبير في تبني مقولة التربية على وسائل الإعلام بوصفها مقولة فكرية أشمل وأنجع تساعدنا على ردم الهوية القائمة بين وسائل الإعلام والمدرسة. إن التلاسن الفكري التقليدي بين حماة المؤسسة التربوية النقية من أي اختراق خارجي وبين دعاة انفتاح المدرسة على محيطها قد اختزلته ربما برادغيم التربية على وسائل الإعلام.

يمكن القول إن من بين أهم الأدوار التي تلعبها وسائل الإعلام عند المهتمين بمبحث التربية على وسائل الإعلام هي تشكيل التمثلات، أي إعطاء تصورات ما للعالم وللمعيش، تبدو وأنها حقيقية وطبيعية وليست قابلة للمساءلة، وهو ما يتطلب من التربية على وسائل الإعلام أن تزيل من ذهن المتلقي صفة «طبيعي» أو «بديهي» في كل ما تبثه وسائل الإعلام إلى الناس وخاصة لدى الشباب⁶. ولا يمكن بلوغ ذلك في حقيقة الأمر إلا بتفعيل البعد النقدي والفكر العقلاني.

كان لبروز نظريات
التأثير والجمهور
والرأي العام عند
دراسة رسائل
وسائل الإعلام الأثر
الكبير في تبني
مقولة التربية على
وسائل الإعلام.

كانت البوادر الأولى
لتعامل المجال
التربوي مع وسائل
الإعلام أسيرة نزعة
تجريبية هدفها
حماية المدرسة من
وسائل الإعلام.

كانت البوادر الأولى لتعامل المجال التربوي مع وسائل الإعلام أسيرة نزعة تجريبية هدفها حماية المدرسة من وسائل الإعلام. وربما يعود هذا التوجه إلى احتراز إيديولوجي مفاده أن الصورة التي كانت تبثها السينما والتلفزيون منذ خمسينات القرن الماضي ما هي إلا رسائل محدثة بالضرورة لتأثير ما على المتلقي. ولا يمكن ترك المدرسة فريسة لكل ما تقذف به الصناعات الإعلامية، ويستدعي هذا يقظة، فتدخلا لحماية مستهلك الرسائل الإعلامية المنتمي إلى المدرسة من تأثيرات وسائل الإعلام. لقد أنتجت الاتجاهات الأولى في التفكير في علاقة التربية بوسائل الإعلام إرثا فكريا مرتبكا يعبر عن تشظي مبحث. سيكون لهذا الإرث بعد ذلك دفع جديد مع ظهور التلفزيون التعليمي في السبعينات من القرن الماضي ليأخذ موضوع التربية على وسائل الإعلام كما فكريا، ليتدمج شيئا فشيئا باتساع رقعة البحوث الوظيفية والنقدية ومرجعيات الدراسات الثقافية في بحوث الإعلام والاتصال.

هكذا علينا عند الحديث عن علاقة المدرسة بالإعلام استدعاء المقاربات الفكرية الخاصة بالتعلم والت مدرس من جهة وكل الإرث الفكري لنظريات الاتصال والإعلام ضمن أفق تألوفي بينهما. فقد كانت المدرسة مبحثا لكل المقاربات التي تعرّضت لسوسيولوجيا الميديا والاتصال، كالنظرية الوظيفية التي خصصت لوسائل الإعلام وظيفة تربوية لا يمكن تجاهلها.

أما أطروحات النظرية النقدية مجسّدة في مدرسة فرنكفورت فقد اعتبرت أن وسائل الاتصال الجماهيري ما هي إلا صناعة ثقافية وكيف تحوّلت الثقافة معها إلى سلعة، وهو ما سيؤثر في الوعي والعلاقات التطبيقية في المجتمع. كما برز اتجاه بحثي له صلة بنظرية الاستخدامات والإشباع في نظريات الاتصال واعتبار أن تعامل الأطفال والشباب مع وسائل الإعلام ليس محدثا فقط لتأثير، بل إن وراء الاستخدام حالة من التثاقف وإشباع لجملة من الاحتياجات النفسية والمعرفية والتعليمية. ويمكننا أيضا الوقوف عند جل المقاربات اللسانية والسيميولوجية التي تعتبر أن رسائل وسائل الإعلام لغة وخطابا مشفّرا في حاجة إلى التأويل والتحليل، لمعرفة علاقة الدال بالمدلول، وما هي خصائص الاتصال، وكيف على كل متلقٍ وخاصة رواد المدرسة أن يدركوا أن وراء البث رسالة ما.

ويمكن تلخيص أسس مبحث التربية على وسائل الإعلام في :

- تمكين الطفل المتعلم من الاطلاع الجيد بمكونات المشهد الإعلامي (تلفزيون، صحيفة، إنترنت، ...)
- وتشفير لغة رسائل وسائل الإعلام.
- دفع الطفل المتعلم إلى تبني سلوك مسؤول ومستقل تجاه وسائل الإعلام ومضامينها وتحفيزه على القيام باختيار ذاتي واع ومبرر لكل مخرجات وسائل الإعلام.
- بيان أن التعامل الفعال مع وسائل الإعلام لا يتم بشكل انفعالي وعاطفي (خوف، رغبة...) بل هذه السلوكيات تضعف مقدرته على الفهم الجيد للرسالة الإعلامية.
- تمكين المتعلم من فهم دور البيئة الخارجية والداخلية المنتجة للرسالة الإعلامية، وكيف أنه لا وجود لرسالة إعلامية بمعزل عن فعل السياق الاقتصادي والسياسي والسوسيوثقافي وتأثيراته.
- توسيع شبكة الفهم الواعي للتمثيلات التي تسعى وسائل الإعلام إلى غرسها.

منذ بداية الألفية الجديدة، ومع ثورة الإنترنت والهاتف الجوّال بات الاتصال يفهم، مثله مثل التعليم باعتباره حقاً دستورياً له صلة بمبدأ حرية التعبير، وإحدى أنجع الأدوات في ترسيخ قيم المواطنة والديمقراطية وغداً الحديث يتجه أكثر فأكثر إلى استدرج المؤسسة التعليمية نحو الحقل التواصلية واعتبارها وسيطاً في تفعيل المجال العمومي وذلك حتى تضمن حركيته واستقلالته بحكم تداخل الوظيفة الحجاجية والنقدية والتعليمية لكل من المدرسة ووسائل الإعلام.

3 - التربية على وسائل الإعلام : مفهوم متجدد

يبدو أن من أعقد ما يواجه علاقة وسائل الإعلام بالمؤسسة التعليمية هي محاولة إيجاد تعريف أو عدة مفاهيم خاصة بهذا الحقل المعرفي الصاعد. وربما تعود هذه الصعوبة إلى تعدد مستويات الدراسة (رياض الأطفال، المدرسة، المدرسة الإعدادية والثانوية والجامعة والتكوين المستمر والدورات التدريبية...)، وكذلك تعدد مستويات مخرجات وسائل الإعلام (وسائل الاتصال الجماهيري، الصحافة والكتب، وشبكات الإنترنت...). وربما يكمن الحل في البحث عن كل حالات التلاقي بين مستويات الدراسة وطبيعة الوسيط لبناء إشكالية علاقة وسائل الإعلام بالمدرسة، وذلك للوصول إلى تعريف ماهية مقارنة التربية على وسائل الإعلام بشقها التحليلي الفكري والتطبيقي التسييري.

إنّ الوصول إلى تعريف سليم لمفهوم التربية على وسائل الإعلام يجب أن يتحاشى حصر علاقة التربية بوسائل الإعلام في شقها الفني، أي مجرد توفير دليل إجرائي مثلاً في كيف نستعمل محرّكات البحث في شبكة الإنترنت أو تاريخ الطباعة وتطورها. إن الشق الفكري في فهم صيرورة الوصول إلى تعريف التربية على وسائل الإعلام يمثّل جواز العبور لأيّ خطة تفصيلية إمبريقية تستجلي علاقة هادئة ومنتجة بين المدرسة والمؤسسة الإعلامية، بعيداً عن كل أشكال التشنج الفكري الذي ساد علاقة هذين الحقلين.

ويذهب البعض إلى اعتبار التربية على وسائل الإعلام أنها كل مسار يهدف إلى تمكين الطالب معرفة، قراءة وفهم وتقييم كل الرسائل والتمثيلات التي تبثها مختلف وسائل الإعلام التي يتعرض لها يومياً، وأن يوجّه ويوظف وبشكل عقلائي ونقدي مضامين وسائل الإعلام⁷. ومن بين مزايا التربية على وسائل الإعلام يمكن ذكر صقل المواهب وتهذيب الأذواق لدى النشء والتحكم في اللغة وتطويرها، وأيضاً التربية على المواطنة، وهو ما يتطلب فعلاً أن نفكر في وسائل الإعلام وأن نستعين بالتفكير بها. وقد تمّت إضافة عنصر على قدر كبير من الأهمية يتمثل في اعتبار أن التربية على وسائل الإعلام هي أفضل مدخل لمعالجة إشكالية محو الأمية الرقمية في العالم وخاصة في الدول النامية، وإيجاد حالة من التوازن بين من يستخدم ومن لا يستخدم تكنولوجيات الاتصال والإعلام في العملية التربوية.

ويتجاوز مفهوم التربية على وسائل الإعلام المقاربات التطبيقية لعلاقة وسائل الإعلام بالتربية، مثل التعلم عن بعد، والمدرسة أو الجامعة الافتراضية ومقولات التربية على الإعلام، وهي الترجمة الحرفية للمصطلح الأنجلوسكسوني Medias Literacy، ولكن التربية على وسائل الإعلام هي كل ما ذكر، بالإضافة إلى مقارنة متجددة في بيداغوجيا التدريس قائمة على حتمية توظيف تكنولوجيات الاتصال والإعلام. كما أن التربية على

إن الوصول إلى
تعريف سليم
لمفهوم التربية
على وسائل
الإعلام يجب أن
يتحاشى حصر
علاقة التربية
بوسائل الإعلام
في شقها الفني.

وسائل الإعلام هي مادة تدرّس للتلاميذ ومنذ سنوات في العديد من الدول المتقدمة. ويسبق تدريس التربية على وسائل الإعلام تكوين الأساتذة الذين سيباشرون تدريس مختلف المعارف الخاصة بوسائل الإعلام، مثل البيئة التي تشتغل فيها وسائل الإعلام، أو كيفية قراءة الصورة الإعلامية، أو كيف يتلقى الجمهور الرسائل الإعلامية، وغيرها من الإشكاليات المتصلة بعلاقة وسائل الإعلام بالمجتمع. ويمكن في هذا السياق الوقوف عند مبادرات كل من منظمة اليونسكو والاتحاد الأوروبي لتوفير مادة أو شبكة برامج لتدريس مواد التربية على وسائل الإعلام واعتبارها مادة تدرس بشكل أفقي.

قد يعود كل الخلاف بين وسائل الإعلام والتربية أو الإعلاموفوبيا إلى دخول الإنسانية عصر الصورة، بعد أن هيمن المكتوب لعدة قرون على محامل المعرفة، وقبله هيمن الشفاهي أيضا لعدة قرون.

ربما تستحضرنا هنا، ونحن نحاول أن نحيط بموضوع علاقة وسائل الإعلام بالتربية، مقولة ريجيس دوبريه عندما قال بأن «المكتوب نقدي، أما الصورة فترجسية». يبدو إذن أن طبيعة الصورة الذاتية - في محاولة لتفسير مصطلح ريجيس دوبريه «الترجسية»⁸ هو الذي دفع بالمؤسسة التربوية إلى أن تكون حذرة في تعاملها مع وسائل الإعلام البائنة للصورة: فيديو، سينما، تلفزيون. وهنا علينا بالتساؤل لماذا لم تكن العلاقة بين وسائل الإعلام المكتوبة والمدرسة مثلا علاقة متشنجة؟ لقد طوّعت المدرسة ظاهرة الاتصال المكتوب لتأمين تطورها واستقلاليتها الفكرية والبيداغوجية، بل يذهب البعض إلى اعتبار المدرسة وتعميمها وجماهيرية التعليم هي ظاهرة وليدة اكتشاف الطباعة الميكانيكية منذ جوتنبرغ.

إن التناقض بين مرجعيات المكتوب القائم على إعمال العقل والنقد، وعالم صناعة الصورة القائم على مقارنة ذاتية شخصية يضيف على علاقة المدرسة بالتلفزيون وكل الصور التي تقذف بها وسائل الإعلام الريبة والخشية من أية علاقة تبادل سلمي. يجب هنا أن نذكر بأن أصل العملية التعليمية كان قائما في الماضي، أي قبل اكتشاف الطباعة على المخطوط وعلى الشفاهي بوصفهما وسائط لحفظ المعارف ونقلها، وأن المكتوب في هيئته الحديثة يعتبر وسيطا جديدا وقع استيعابه ليتحول إلى أهم وسيط لكتابة المعرفة وتنقلها وخاصة تدريسها. يمكن، وبحكم ذاتية الصورة وخضوعها لمعايير ضعيفة الموضوعية، أن يكون ترويضها بشكل علمي لفائدة المدرسة محل سجال وتجريب، وأن تأخير توظيف الصورة لفائدة العملية التعليمية هدر لجهد وطاقة بشرية أصبحت اليوم بدون منازع محددة في رسم هوية المجتمعات وتمثّلات الأفراد، ربما يكمن الحل في ضرورة بلوغ شبكة من المؤشرات العلمية والموضوعية لتوظيف الصورة في المدرسة مستقبلا، كما هو الحال عليه اليوم مع المكتوب.

4 - إعلام جديد، تربية جديدة

منذ تشكّلها كمؤسسة للتربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية، لم تشهد المدرسة زعزعة في دورها وتشكيكا في هيبتها مثل ما قامت به شبكة الإنترنت. إن الإعلام الجديد من خلال شبكة الإنترنت يعتبر فعلا جهازا لعصر ما بعد-الميديا أو ما وراء-الميديا Meta-média بحكم اندماج كل من النص والصورة والصوت ضمن بروتوكولات رياضية معقّدة تبعثها بروتوكولات استخدامات سوسولوجية أكثر تعقيدا. ويتمثل كل هذا الإحراج

إن التناقض بين مرجعيات المكتوب القائم على إعمال العقل والنقد وعالم صناعة الصورة القائم على مقارنة ذاتية شخصية يضيف على علاقة المدرسة بالتلفزيون وكل الصور التي تقذف بها وسائل الإعلام الريبة من أي علاقة تبادل سلمي.

في تداخل دور شبكة الإنترنت مع وظائف المدرسة. فقد أصبحت الشبكة بحرا من المعارف ووسيطا بيداغوجيا يمنح لمناهج التدريس سبلا غير مسبوق في طرق تبليغ المعارف والمهارات واختبارها. ويمكن لبيان كل هذا العودة إلى الأرقام القول بأنه في بلد مثل فرنسا يستعمل تلاميذ المدارس بنسبة 74% شبكة الإنترنت كفضاء للبحث عن المعلومة، و91% لمشاهدة أفلام الفيديو، وأن نسبة 33% منهم لهم أكثر من حاسوبين في المنزل.⁹

لقد مثل التطور غير المسبوق لوسائل الإعلام والاتصال، وخاصة في نسخته الرقمية الحديثة تحديا فكريا على المؤسسة التعليمية، فأصبح مطروحا عليها أن تقدم المقاربات والتوصيفات المناسبة لما يمكن أن تكون عليه وسائل الاتصال الإلكتروني داخل فضاء المدرسة. الإشكالية القائمة تتمثل إذن في الآتي: كيف يمكن للمدرسة، وبحكم طبيعتها المحافظة على وظيفتها السامية في توفير الكوادر للدولة والمجتمع وتربية الأجيال، أن تكون أيضا مؤسسة منفتحة على المحيط الخارجي. إن التحدي يتمثل في مدى مقدرة المدرسة على تطويع ما هو خارجي وإعادة تأهيله، ليتناغم مع ما يتطلبه السياق التعليمي الجديد في عصر عولمة الصورة وشبكية المعلومة.

إن التقدم المطرد لاستخدامات تكنولوجيايات الاتصال الحديثة، وكل الاحتفاء والانبهار بمزاياها جعل الكائن المتمدرس عرضة للتأثيرات الثقافية والنفسية لشبكة الإنترنت وكل مخرجاتها (شبكات تواصل اجتماعي مدونات، دردشة...)¹⁰، وهو ما جعل الطفل في مرتبة متقدمة عن معلمه في الإلمام بكل خفايا عالم الاتصال الافتراضي واستعمالات الإعلام المواطني. للمدرسة عطب في توفير جملة من المفاهيم والنظريات والمناهج، أي عرض عدة مواد معرفية عن كيف يمكن أن تكون عليه العلاقة بين الإعلام الجديد والمدرسة الآن وهنا. إنها أوجبة ضرورة حتى يتمكن الأستاذ والطالب والمؤطر معا، وضمن سياق ديمقراطي، من تملك كل إصدارات التكنولوجيا التي أصبحت تغمر حياة من هم في المدرسة ومن هم خارجها.

ما زالت علاقة الطالب بوسائل الإعلام والاتصال تصنف في المدرسة ضمن مقارنة متشائمة ترى في كل تلك المهارات في التعامل مع التقنية الاتصالية لدى الطلبة شكلا من أشكال المساس من هبة المدرسة والمدرّس. إن حمل الطالب للهاتف الجوال والكمبيوتر المحمول وحضوره المكثف في شبكات التواصل الاجتماعي تعتبر عند دعاة أصولي المدرسة المحافظة هدرا للوقت. إن شيطنة الطالب من شيطنة تكنولوجيايات الاتصال والإعلام التي باتت تبعده عن أستاذه وعن مدرسته. إنها علاقة مرتبكة يسرع الأستاذ في اتهام وسائل الإعلام والاتصال بتعميق هذه الفجوة، ويستبسط الطالب القول بأن أستاذه رجعي لم يستطع أن يواكب العصر والتكنولوجيا: حوار صم في فضاء تعليمي اسمه المدرسة، دوره أن يحفز، مثله مثل وسائل الإعلام، على تفعيل البعد النقدي والتربية على الحوار والتثاقف¹¹.

تفاعلا مع هذا السياق التواصلي الجديد، وعطفا على جملة المحددات التي ذكرت، يمكن القول اليوم بوجود تداخل مدهل بين مكونات العملية التربوية والثقافة والتسلية والإعلام. ويعود أصل هذا الاندماج إلى عدة عوامل أهمها:

- اندماج تكنولوجي: بين كل من الحاسوب والرقمنة وبروتوكولات الإنترنت والبت الفضائي.
- اندماج مالي وصناعي: أدى الاندماج التقني إلى اندماج الصناعات الإعلامية والترفيه بالبورصة والمال، وهو ما خلق شركات وأقطابا إعلامية عابرة للقارات هدفها الربح ضمن سياق اقتصاد معلوم،

ما زالت علاقة الطالب بوسائل الإعلام تصنف في المدرسة ضمن مقارنة متشائمة ترى في تلك المهارات في التعامل مع التقنية الاتصالية لدى الطلبة شكلا من أشكال المساس من هبة المدرسة والمدرّس.

مستهدفة الشباب التلميذ كفتة مستهلكة صاعدة، يمكن من ورائها استدراج الكهول أيضا إلى منظومة استهلاك مخرجات تكنولوجيات الاتصال والإعلام.

• **اندماج المضامين وصناعة المعنى** : لم تعد المسافة واضحة بين ما هو فكري وتعليمي وتسليية وثقافة وإعلام. النتيجة هي حالة من النمذجة للإنسان والذوق والثقافة عبر حالة من التسطيح الفكري وهو ما انعكس سلبا على المؤسسة التربوية. وهل مازالت المدرسة فعلا هي السلم للارتقاء الاجتماعي، أم أن النجومية والثراء السريع هما المعايير الجديدة للنجاح عبر برامج تلفزيون الواقع مثلا.

نعتقد بأن محددات علاقة التربية بتكنولوجيات الاتصال والإعلام يمكن أن تؤسس على عدة ركائز، تتمثل في حالة غير مسبوقة من التداخل بين كل من التربية والثقافة والاتصال والإعلام.

وإن مرجعيات هذه المقاربة يمكن تلخيصها في ما يلي :

• **إطار نظري فكري** : يتمثل هذا الجزء في توفر تقاطع مقاربتين.

- **مقاربة وسائطية** تعتمد على أهمية الوسيط في العملية التعليمية سواء أكان هذا الوسيط ماديا/رمزيا/تقنيا.

- **مقاربة تواصلية** تعتمد على العقل التواصلي كبديل عن العقل الأداتي في فهم المجال الخاص والعام.

• **إطار تكنولوجي فني** يتمظهر في :

- **الاعتماد على تكنولوجيات الاتصال والإعلام في العملية التربوية**، بوصفها ثقافة لا مجرد محامل تقنية وخاصة منها الويب التشاركي 2.0.

- **الاعتماد على مقاربة أفقية** في فهم طبيعة العلاقة بين كل مكونات العملية التربوية والمنظومة التواصلية، أي أن تكون علاقة وسائل الإعلام والمدرسة إشكالية حاضرة تدرّس في كل مستويات التعليم (ابتدائي، إعدادي، ثانوي، جامعي...)

انطلاقا من جملة هذه القواعد، فإن الاندماج بين التربية والتسليية والإعلام وتكنولوجيات الاتصال الحديثة مسألة لها أيضا علاقة جدلية بتجليات حتمية التعامل مع التقنية في المجال التربوي. فكيف يمكننا أمام تغول البعد الاقتصادي والمالي في ثورة الاتصالات المحافظة على مسافة تحررية بين المؤسسة التربوية والمجال الاقتصادي والإعلامي. ويستدعي هذا ضرورة، مراجعة ماهية العلاقة الجديدة التي وجب على كل مشروع تربوي أن يحددها، خاصة إذا ما تعلق الأمر بإشكالية التربية لدى المجتمعات التي يغيب فيها نموذج تربوي أصيل لعل المجتمع العربي على قائمة هذه الأمم.

5 - من بيداغوجيا المدرس إلى بيداغوجيا التواصل :

إن أفضل مدخل لتبرير الحديث عن طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام والاتصال يكمن، ربما وبكل بساطة فكرية، في الاستشهاد بحقيقة مفادها أن الوقت الذي يقضيه الأطفال في العديد من الدول أمام التلفزيون أكثر مما يقضيه في المدرسة. إن كل عملية تعليمية هي في جوهرها تواصلية أو لا تكون. وتحتوي كل علاقة بين المدرّس أو من يقوم مقامه، وبين التلاميذ أو حتى بين التلاميذ أنفسهم نمطا من الإرسال اللفظي وغير اللفظي، وذلك

إن كل عملية
تعليمية هي في
جوهرها تواصلية
أو لا تكون.

من أجل تبليغ رسالة قد تكون فكرة، معلومة أو خبراً ضمن سياق زمني ومكاني مدرسي محدد.

وإذا ما أردنا أن نقسم أشكال التواصل داخل المنظومة البيداغوجية لوجدنا شكلين من التواصل :

- تواصل بين ذاتي : وهو كل أشكال التواصل المباشر بين المدرّس وطلّبه، بعيداً عن أي وسيط مادي .
- تواصل عبر وسيط : قد يكون هذا الوسيط : قرصاً ليزرياً، فيديو، شبكة الإنترنت والتلفزيون التعليمي .

لقد كان النموذج التواصل في العملية التعليمية في المنظومة العربية خاضعاً للتأطير الأيديولوجي واعتبار العملية التعليمية على أنها علاقة مباشرة بين الطالب والمدرّس لا أكثر، وذلك ربما للحفاظ على عنصر الهيمنة وعدم ترك مجال آخر للطالب قصد التفاعل مع المعارف من خارج المدرسة، لعل وسائل الإعلام أهمها. إن الحفاظ على نموذج تواصل تقليدي في المنظومة التربوية العربية يعني الحفاظ على المؤسسة التعليمية كجهاز لإعادة إنتاج القيم السائدة. هكذا تعيش المدرسة وبشكل تدريجي حالات من التسرب الأيديولوجي عبر مناهج التدريس، الكتب الدراسية وأشكال التواصل البيداغوجي في مواد كالتربية الوطنية والفلسفة والتاريخ¹².

هل يستطيع النظام التعليمي العربي المرتقب، بعد ربيع الثورات العربية، تجاوز الهفوات والانتكاسات التي سجلت في البرامج التعليمية السابقة؟ هل يمكن للمدرسة في الفكر العربي أن تتجاوز النزعة الأيديولوجية والسلطوية التي طبعت مسيرتها منذ فجر استقلال كل الدول العربية؟ وكيف كانت المدرسة بعيدة عن واجهة الحوار والديمقراطية وكل أشكال التواصل الإيجابي الممكنة. يبدو أنه لا يستقيم الحديث عن مفهوم المدرسة ووظيفتها إلا بتوفر شرط الحرية والديمقراطية. ربما غياب حرية التعبير عن الرأي وحرية وسائل الإعلام عطل بشكل مباشر كل أفق ديمقراطي في الفكر العربي ليستفحل الاستبداد والتهميش ومعه التفكير في مقاربة تربط التعلم بالاتصال والإعلام. إن غياب حرية الإعلام في المجتمع حرم المدرسة من سياق تواصل بيداغوجي متحرر من الخوف وقائم على المبادرة والإبداع. وتبرز نتائج ذلك في ما يلف الأنظمة التربوية في العالم العربي من عجز عن تحقيق أهدافها حتى أصبحت المؤسسة التعليمية توصف بكونها :

- مؤسسة لإنتاج العنف الرمزي .
- مؤسسة لتدريس مناهج غريبة عن بيئة المجتمع الثقافية واللغوية والسوسولوجية .
- مؤسسة لتفريخ العاطلين عن العمل .
- ظهور تعليم خاص رفيع الجودة وتعليم عمومي متخلف، وهو ما يساهم في تقسيم المجتمع وعدم توفير الفرص لكل المواطنين بشكل عادل للارتقاء في السلم الاجتماعي .
- مؤسسة لا تستجيب لكل ما له صلة بالتنمية ومتطلبات الحياة والعصر .

في ضوء ما تقدّم، وبالعودة إلى مدوّنة الثقافة العربية فإنه يصعب الحديث عربياً عن وجود مقاربة في فهم طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام والاتصال والعملية التربوية بوصفها في الأصل عملية تواصلية. فكثيراً ما وقع التركيز في فهم الإعلام والاتصال في الثقافة العربية باعتبارها تقنية ومجموعة من الأجهزة التكنولوجية لا أكثر، متجاهلين بذلك أن الإعلام والاتصال أكثر من مجرد بث وتلقّي، بل حزمة من القيم الحداثيّة، بل قل إنه إعلان عن ميلاد عصر جديد اسمه عصر الإعلام والاتصال، خاصة مع بروز الدور المتعاظم للإعلام الرقمي. فمع تحوّل

إن غياب حرية
الإعلام في
المجتمع حرم
المدرسة من سياق
تواصل بيداغوجي
متحرر من الخوف
وقائم على
المبادرة والإبداع.

الإعلام من الهرمية إلى الشبكية بفضل شبكات التواصل الاجتماعي، فإن الشبكي معطى تربوي لا يمكن تجاهله في كل مشروع تأصيلي ذي مرجعية تأسيسية. إن توصيفا من هذا القبيل لقمين بأن يحفز الجميع على ضرورة إعادة قراءة شبكة مؤشرات التواصل والاتصال داخل المنظومة التربوية في علاقتها بالمجتمع.

عريبا، تبدو المؤسسة التربوية، بالنظر إلى نوعية مخرجاتها على أنها مؤسسة لم تستطع ومنذ ظهور دولة ما بعد الاستقلال الوصول بالمتعلم إلى درجة ما من الاستقلالية في التفكير، وهو ما يدفعنا إلى ضرورة مراجعة كل من مضامين المعارف المتحصل عليها ومناهج تبليغها وطبيعة المحامل المناسبة لها. قد تعود أسباب تخلف مخرجات المؤسسة التعليمية في العالم العربي في جانب كبير إلى طرق توظيف وسائل الإعلام والاتصال في المجتمع أولا ثم إلى مرجعيات الحقل التعليمي المأزوم ثانيا بوصفها أدوات تساهم في البرهنة والحجاج ووعاء لا ينضب من المعارف والمهارات.

إنَّ المشروع الحدائثي الذي ينشده العرب منذ حركة الإصلاح لا يمكنه أن يشعَّ مجتمعا إذا لم يتأصل في فضاء المدرسة وعبر قاعدة تعليمية اسمها الاتصال والإعلام.

إن أية مقارنة تربوية متميزة في عالم معولم وفي عصر يتسم بكونه مجتمع المعرفة والمعلومات في حاجة إلى رؤية متجددة تقطع مع السائد في تراث المؤسسة التربوية العربية القائمة في جزء كبير منها على الارتجال المعرفي والنسخ والإقصاء.

ضمن هذه المقاربة وغيرها، علينا بمساءلة مسارات التربية والتعليم في العالم العربي، علنا نقدم مساهمة في تقييم أداء المنظومة التعليمية العربية من زاوية تواصلية.

6 - خاتمة :

يمثل مستوى التعليم والتعلم اليوم أحد أهم المؤشرات التي من خلالها تصنّف الأمم المتقدمة، كما تصنّف بمدى تواتر تقييمها للبرامج التعليمية وبعدهم رضاها عن مخرجات نظامها التربوي المتبع وذلك مهما كانت نجاحته. إن أمة قنوعة بمخرجات مدرستها أمة مية حضاريا.

يمكن إذن ومن خلال مقارنة تواصلية خلفيتها البرهنة والحجاج والتواصل في نشر المعلومة والرأي أن نعيد قراءة سؤال التربية والتعليم في هذا القرن، بعيدا عن فوبيا الإعلام والاتصال، وتفعيل مقارنة متفائلة أكثر منها متشائمة.

ختاما نقول إن مشروع التفكير في طبيعة العلاقة بين وسائل الإعلام والاتصال والعملية التربوية هو عبارة عن إشكالية دائمة ومتجددة قبل أن تكون حزمة من الحلول، فلا ينبغي لأهل القرار في المنظومة التعليمية أن يستبعدوا إشكالية كيف هي العلاقة بين مكونات العملية الاتصالية والإعلامية ومفاصل كل نهضة تربوية. إن النقش في العقول أثناء الدراسة لا يتأتى بدون حفر في الذاكرة باعتبارها وسيطا هوياتيا وإعادة تركيب مكوناتها بما يتناسب والعصر والحاجة. صاغت الحدائثة الغربية عقلا تقنيا أداتيا وصاغت ما يشبه الحدائثة العربية عقلا تقنيا تابعا مستهلكا، فهل يكمن الحل في عقل تواصلية يكون فيه المجال التربوي مسرحا للتأسيس لتبنيّة تكنولوجيات الاتصال والإعلام، ومعه بناء أصالة مبدعة في مجال التربية والتعليم في العالم العربي.

أمة قنوعة
بمخرجات
مدرستها أمة مية
حضراريا.

الهوامش

1. Cora Brahimy : l'intégration de E-learning vue par les acteurs de terrain : le cas de la télé-université. thèse. université Laval-Canada. 2010.
- Mareline Loicq : Médias et interculturalité. : l'éducation aux médias dans une perspective comparative internationale (Australie. Quebec. France....), Thèse. Université Laval. 2012.
2. راجع مؤتمر اليونسكو الدولي الذي نظم بالمغرب في شهر جوان 2011 عن التربية على وسائل الإعلام بالتعاون مع جامعة فاس. أو المؤتمر العالمي للتربية -E Media على وسائل الإعلام والتكنولوجيا وهو مؤتمر دولي تنظمه الجمعية من أجل النهوض بالحوسبة في التعليم (AACE). ، هذا المؤتمر السنوي بمثابة منتدى متعدد التخصصات لمناقشة وتبادل المعلومات في مجالات البحث والتطوير، والتطبيقات على جميع المواضيع المتعلقة بالوسائط الفائقة والوسائط المتعددة والاتصالات والتعليم عن بعد.
3. توجد العديد من المراكز المختصة في الغرب في أوروبا والولايات المتحدة تابعة عادة لوزارات التربية أو التعليم العالي، ففي فرنسا يوجد مثلا مركز التنسيق والتربية على وسائل الإعلام [http:// www.clemi.org/fr/centre-de-documentation/l-education-aux-medias](http://www.clemi.org/fr/centre-de-documentation/l-education-aux-medias) أما في كندا فيوجد مركز المعلومات عن التربية على وسائل الإعلام. [http:// www.reseau-crem.qc.ca](http://www.reseau-crem.qc.ca)
4. رواد السوسولوجيا الوظيفية في بحوث الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية
5. تشير أغلب الدراسات إلى أن نسبة الإقبال على مشاهدة التلفزيون لدى الشباب في تزايد سنوي لتصل في الولايات المتحدة مثلا إلى أكثر من أربع ساعات يوميا.
6. راجع البحوث المنشورة في «الشباب والاتصال والميديا» : أشغال ملتقى معهد الصحافة تونس 2010 منشورات معهد الصحافة 2012، تنسيق جمال الزرن.
7. Inspection générale de l'éducation nationale et l'Inspection de l'administration de l'Education nationale et de la recherche « l'Education aux médias : enjeux, états des lieux, perspectives », rapport à Monsieur le ministre de l'Education nationale et à Madame la Ministre de l'Enseignement supérieur et la recherche. Paris. 2007, p 17.
8. Régis Depray : Vie et mort de l'image. Folio Essais. Paris. 2000.
9. Les jeunes et Internet : De quoi avons-nous peur ? étude réalisée. par Élodie KREDENS et Barbara FONTAR. auprès de 1000 enfants et adolescents. Un projet mené par Fréquence écoles. avec le soutien de la Fondation pour l'Enfance. www.frequence-ecoles.org Mars 2010.
10. أكثر من 50 % من الشباب الفرنسي 7 - 18 لهم حساب في شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك.
11. Francis Balle : L'école et la télévision. In: Communication et langages. N°100-101. 2ème-3ème trimestre 1994. pp. 79-88.
12. يوجد حديث في تونس ما بعد الثورة عن ضرورة إعادة كتابة التاريخ والمناهج الدراسية التي كانت تلقن بالإكراه والعنف الرمزي لتصل حد تزوير التاريخ والهوية الوطنية، كما كان عليه الحال مع الصراع البورقيبي اليوسفي، أو فرض تدريس انقلاب 7 نوفمبر 1987 في الكتب الدراسية.

ببليوغرافيا :

- Alex Muccheilli : Une filière « éducation aux médias » dans les écoles de journalisme », Revue Tunisienne de Communication : N° 44 : Juillet - Décembre 2004. pp. 35-44.
- Unesco : L'éducation aux médias : Un kit à l'intention des enseignants, des élèves, des parents et des professionnels. 2006 : [http:// unesdoc.unesco.org/images/0014/001492/149278F.pdf](http://unesdoc.unesco.org/images/0014/001492/149278F.pdf)
- Inspection générale de l'Education nationale et l'Inspection de l'administration de l'Education nationale et de la recherche « l'Education aux médias : enjeux, états des lieux, perspectives », rapport à

Monsieur le ministre de l'Education nationale et à Madame la Ministre de l'Enseignement supérieur et la recherche. Paris. 2007.

- Paul BEAUD : Brève histoire de la sociologie française des médias. In: Réseaux. 2000. volume 18 n°100. pp. 457-485.
- Revue Tunisienne de Communication : N° 4 : Juillet - Décembre 1983. Actes du colloque : «La Fondation Educative des Média». Organisé par l'Institut de Presse et des Sciences de l'Information en collaboration avec la Fondation Friedrich Naumann (R.F.A.) et le Service Culturel et de Coopération de l'Ambassade de France en Tunisie (Hammamet. du 22 au 25 mars 1979).
- Revue Tunisienne de Communication : N° 6 : Juillet - Décembre 1984. Actes de la Quatrième réunion de concertation des directeurs des Ecoles en Sciences de l'Information de Tunis. Alger. Rabat. et Dakar. «L'enseignement postuniversitaire en Documentation face à l'évolution technologique des moyens d'information et de communication» (I.P.S.I. du 11 au 13 décembre 1984).
- Charte européenne pour l'éducation aux médias <http://www.euromedialiteracy.eu/charter.php?id=1>.
- Digital Literacy and Citizenship Classroom Curriculum : <http://www.commonsemmedia.org/educators/curriculum>.
- Media Literacy Project : Created by the Media Literacy Project. Shared under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-ShareAlike 3.0 License. Details at <http://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/3.0/us/>
- Thiery de Smedt : Educations aux médias. RTC. numéro 44 Juillet/décembre 2004. pp. 19-34.
- محمد عابد الجابري، من أجل رؤية تقدمية لبعض مشكلاتنا الفكرية والتربوية، مطبعة دار النشر المغربية، 1977م. ص141-142
- فهد بن عبد الرحمان الشميمري : التربية الإعلامية - كيف نتعامل مع الإعلام؟ <http://digital-mediaph.com/book>
- الصادق رايح : آليات إدماج الإنترنت في الفضائين المدرسي والجامعي : المجلة التونسية لعلوم الاتصال، العدد 44 جويلية ديسمبر 2004. ص. 7 - 44.
- الشباب والاتصال والميديا : أشغال ملتقى معهد الصحافة وعلوم الأخبار تونس 2012.
- بوسلهام الكط : إشكالية التواصل في مجال التربية والتعليم، مجلة فكر ونقد http://www.aljabriabed.net/n62_04gatt.htm

توظيف وسائط الاتصال المتعددة في التربية و التعليم : مقاربة اتصالية

د. حبيب بن بلقاسم

جامعي متخصص في علوم الإعلام والاتصال

مقدمة :

على الدفع بتعليمنا خطوات كبيرة إلى الأمام، وفتح أمامنا آفاقا رحبة لبلورة استراتيجيات تعليمية جديدة قادرة على الرفع من جودة التعليم بالوطن العربي.

و لئن كان هناك إجماع على ضرورة مواكبة التطورات التكنولوجية في مجال التعليم، فإنّ تمثّل الظاهرة و مقاربتها من أجل تطوير المنظومة التعليمية لتحقيق التعلّم المنشود وإحداث التغييرات المطلوبة في سلوك المتعلمين يبقى محل جدل كبير بين المهتمين بالشأن التربوي والتعليمي. وتعلق الاختلافات بالتفسيرات النظرية المختلفة لحدوث التعلّم والإجابات عن الأسئلة الكثيرة حول خصائص المتعلمين، وكيفية تعلّمهم، والشروط التي تيسّر هذا التعلّم وظروفه، والأساليب والإجراءات المناسبة لحدوث التعلّم، وكيفية تقويمهم.

و مع انتشار عديد التقنيات الجديدة للاتصال و الإعلام، ومع نمو ما يسمى بالتعليم الإلكتروني عبر الإنترنت و ما واكبه من تطور في التطبيقات والبرمجيات، تغيّرت طبيعة وأسس التعليم تغيّراً جذرياً. وهو ما جعل نظريات التعلّم التقليدية، مثل السلوكية والمعرفية وحتى البنائية في موقف صعب إزاء تفسير عمليات تعلّم غير تقليدية، تعتمد بالأساس على وسائط متعددة تتسم بقدرتها

يعيش عالمنا اليوم ثورة تكنولوجية غير مسبوقة في تاريخ الأمم، حيث تحطت التقنيات الجديدة للإعلام و الاتصال حدود الزمان والمكان، واخترقت ثقافات الشعوب وتطورت فيها المعارف بصورة غيرت ثوابت الفكر.

وصاحب هذه الثورة التكنولوجية والمعلوماتية تغيّر في مقاربة العملية التعليمية ومفرداتها وأدواتها ، وأضحى من خصائص التعليم في ظل هذه الثورة ، الاستمرارية والتنوع والثراء والوصول الحر والأمن إلى المعلومة بوجه خاص والمعرفة بشكل عام ¹.

وقد تزايدت أهمية تكنولوجيات الاتصال،

خاصة الوسائط المتعددة في السنوات الأخيرة، و ذلك من خلال تعزيزها أهمية التواصل بين جميع أطراف العملية التعليمية، الأمر الذي حدا بعديد التربويين إلى البحث عن أنجع الطرق لتوفير استخدام أفضل لهذه الوسائل التكنولوجية في سبيل تطوير المخرجات التعليمية.

ويذهب عديد الخبراء في البيداغوجيا إلى أنّ «التقنيات الحديثة للمعلومات والاتصال» تعدّ حالياً أهم الوسائل التي يمكن أن تعمل

الاتصالية في إطارها العام ، ثم تنطرق في مرحلة ثانية إلى الرهانات البيداغوجية للوسائط التفاعلية المتعددة من وجهة نظر اتصالية، وذلك من خلال استعراض موجز لمضامين التصميم التعليمي للوسائط المتعددة، انطلاقاً من المقاربة الاتصالية، ثم محاولة استخلاص الأسس التي ينبني عليها توظيف هذه الوسائط لخدمة العملية التعليمية.

ونعتمد في دراستنا هذه على المنهج الوصفي، وهو منهج يختلف عن باقي المناهج بتبُّعه للظاهرة المدروسة بالاستناد إلى معلومات تتعلق بالظاهرة، في زمن معين أو فترات زمنية مختلفة، للنظر إليها في أبعادها المختلفة وتطوراتها، وذلك من أجل ضمان الوصول إلى نتائج موضوعية.

ونعتمد في هذا السياق الاطلاع على البحوث والدراسات التي تعلقت بموضوع مقالنا. ولالإشارة فإننا لن نكتفي بالجانب الوصفي التقريري لرصد الظاهرة. بل نحاول تحليل و تفسير ما كتب عن موضوع دراستنا، في محاولة منا للوصول إلى استنتاجات بشأن هذه النظرية الحديثة في علاقتها بالتطورات الحاصلة في مجال التعليم من جهة وتكنولوجيا الاتصال من جهة أخرى.

المبحث الأول: مدخل إلى النظرية الاتصالية للتعليم

النظرية الاتصالية l'approche communicationnelle هي نظرية تعلم تقوم على فرضية أن المعرفة موجودة في العالم وليس في داخل الفرد بشكل مجرد، أي أن المعرفة موجودة داخل نظم يتم الوصول إليها من خلال أفراد يشاركون في أنشطة ما. وقد أطلق على هذه النظرية اسم نظرية التعلم في العصر الرقمي، بسبب الطريقة التي استخدمت لشرح تأثير التكنولوجيا في حياة الناس وكيفية تواصلهم وطريقة تعلمهم.

و تعتبر هذه النظرية من آخر النظريات الحديثة التي ارتبطت نشأتها بالتطور التكنولوجي المعاصر وتسعى إلى وضع التعلم عبر الشبكات في إطار اجتماعي فعّال. وتركز هذه النظرية على كيفية البحث والعثور على المعلومة أكثر من معرفة المعلومة في حد ذاتها. وتعتبر التعلم هو عملية إنشاء المعرفة، وليس فقط استهلاكها لها.

الفائقة على ترسيخ المعرفة عبر النص و الصورة و الصوت².

في هذا النطاق طوّر جورج سيمنز ، في السنوات الأخيرة، ما يسمى ب «النظرية الاتصالية للتعليم» l'approche communicationnelle de l'enseignement / connectivism وهي نظرية تؤكد على أهمية دور التكنولوجيا في اكتساب المعارف والمهارات، وفي إتاحة الفرصة للمتعلم قصد التواصل والتفاعل والتشارك في إنتاج المعرفة وبناء مجتمع أفضل. من هذا المنطلق، فإنّ هذا المقال يسعى إلى دراسة المقاربة الاتصالية للوسائط التفاعلية المتعددة في المجال التربوي، مع التركيز على فلسفة هذه النظرية في توظيف التكنولوجيات الحديثة للاتصال والإعلام في التصميم التعليمي، وذلك للرفع من جودة التعليم وتحقيق الأهداف المرجوة منه.

تعدّ النظرية الاتصالية من آخر النظريات الحديثة التي ارتبطت نشأتها بالتطور التكنولوجي المعاصر وتسعى إلى وضع التعلم عبر الشبكات في إطار اجتماعي فعّال.

و نطرح في هذه الدراسة سؤالين محوريين اثنين هما : ما هي الأسس التي انبنت عليها المقاربة الاتصالية في فهمها للعملية التعليمية، في ظل التطورات الهائلة في مجال استخدام التكنولوجيات الحديثة في التعليم ؟ وإلى أي حد يمكن اعتبار أن هذه المقاربة مثلت حلاً لبعض المشاكل البيداغوجية العالقة في الأنظمة والمقاربات الكلاسيكية، خاصة في علاقتها باستخدام الوسائط المتعددة والفضاءات الإلكترونية الجديدة في مجال التعليم؟

ويهدف المقال إلى رسم الملامح الأساسية للمقاربة الاتصالية في التعليم، من خلال التعرض لأهم المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية، في إطار منظومة تعليمية جديدة تركز على تكنولوجيات الاتصال والإعلام كرافد وكوسيلة للرفع من جودة التعليم.

وتبعاً لذلك، فإننا نقدّم في مرحلة أولى من هذه الدراسة المقاربة

1 - مفهوم النظرية الاتصالية ونشأتها :

مع بداية الألفية الثالثة، قام « جورج سيمنز » Siemens من جامعة « مانيتوبا » باقتراح النظرية الاتصالية، فبناء على خبرته وبحوثه العلمية، وجد « سيمنز » أن نظريات التعلم المتوفرة مثل السلوكية والمعرفية والبنائية ليس بمقدورها التعامل مع معطيات الطبيعة المتغيرة للتعلم والمعلمين نتيجة لتأثير التطورات التقنية الهائلة في العصر الرقمي الراهن.

ويرى « سيمنز » (Siemens, 2004) أن ما يشهده العصر الحالي من نمو سريع جداً و مستمر للمعرفة الإنسانية قد أجبر المؤسسات التعليمية على تعديل أساليبها التربوية. وقد ترتب على ذلك ظهور توجهات جديدة في التعلم منها:

- تعامل المتعلمين مع مجموعة متنوعة من المجالات المعرفية التي ربما لا تكون مرتبطة فيما بينها طوال مدة تعلمهم.
- النظر إلى التعلم غير الرسمي باعتباره مكوناً بارزاً من مكونات التعلم الإنساني.
- النظر إلى التعلم باعتباره عملية مستمرة مدى الحياة.
- إمكانية دعم وتنمية العديد من عمليات المعالجة المعرفية للمعلومات بواسطة التكنولوجيا المتقدمة.

إن ما يشهده العصر الحالي من نمو سريع في تقنيات الاتصال قد أجبر المؤسسات التعليمية على تعديل مناهجها التربوية.

التقليدية عن تفسير طبيعة التعلم الذي يحدث في إطارها. كما يعيب سيمنز على نظريات التعلم السلوكية والمعرفية والبنائية في كونها تفترض أن المعرفة هي بمثابة شيء موضوعي (أو حالة إنسانية)، يمكن الوصول إليها بشكل فطري أو مكتسب من خلال الخبرة أو الاستدلال العقلي، وأن التعلم يحدث داخل الفرد فقط. من هذا المنطلق يرى سيمنز أن هذه النظريات الكلاسيكية لا تشير إلى التعلم الذي يحدث خارج المتعلم، أي التعلم الذي يحدث ويتم تخزينه ومعالجته بواسطة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. هذه التكنولوجيا يرى فيها سيمنز أنها تقدم العديد من العمليات المعرفية التي كان المعلمون والأساتذة يؤدونها في الماضي (مثل عمليتي: تخزين واسترجاع المعلومات من الذاكرة الإنسانية) وهو ما لا تراعيه نظريات التعلم التقليدية .

وفي ضوء هذه الانتقادات، قدم سيمنز نظرية التعلم الاتصالية، بما يتوافق مع احتياجات القرن الحادي والعشرين، والتي تأخذ في الاعتبار الاتجاهات الحديثة في التعلم، واستخدام التكنولوجيا والشبكات، في الجمع بين العناصر ذات الصلة في كثير من نظريات التعلم، والهيكل الاجتماعي، والتكنولوجيا لبناء نظرية قوية للتعلم في العصر الرقمي. وقد لاقى هذه النظرية ترحيباً كبيراً من جانب الكثير من الباحثين التربويين كنظرية قادرة على تفسير التعلم في عصر الانفجار الكبير لوسائل الاتصال والإعلام الحديثة.

2 - مبادئ النظرية الاتصالية

/ L'approche communicationnelle

من المعلوم أن نظريات التعلم تختلف فيما بينها في ما يتعلق بمقاربة العملية التعليمية. فالسلوكية مثلاً تتعامل مع السلوك الظاهري للمتعلم والذي يخضع للملاحظة والقياس دون النظر إلى العمليات العقلية وراء حدوث هذا السلوك، بينما يهتم أصحاب النظرية المعرفية بالعمليات العقلية التي تحدث داخل عقل المتعلم وينتج عنها سلوكه. وتقوم النظرية البنائية على أن المعرفة تبنى بواسطة المتعلم⁹.

ونتعرض في هذه الفقرة إلى المبادئ العامة التي تقوم عليها النظرية الاتصالية في مقاربتها لاكتساب المعارف و المهارات.

وفي ضوء هذه المعطيات الجديدة، وجّه سيمنز في السنوات الماضية عدة انتقادات إلى نظريات التعلم السائدة، وهي السلوكية والمعرفية والبنائية، إذ اعتبرها لا تعكس طبيعة التعلم الذي يحدث في عصرنا الرقمي الراهن، وتقتصر على تفسير التعلم في البيئات التعليمية الرسمية والمنظمة دون أن تأخذ في الاعتبار ما يحدث في البيئات غير الرسمية والأقل تنظيمًا. ويرى سيمنز أنه في ظل انتشار خدمات الجيل الثاني من الويب وفي ظل تطور الوسائط المتعددة، ظهرت الكثير من شبكات ومجتمعات التعلم المعقدة البنية والتي تعجز نظريات التعلم

ولتدعيم عملية التعلّم المستمر والناجح وتعزيزها، يجب أن يسعى المتعلم إلى ربط أكثر ما يمكن من الصلات، مع الحرص على رعايتها والمحافظة عليها حتى يتمكن من اكتساب معارف آنية ودقيقة ومحينة، لأن ذلك يعدّ بمثابة الهدف الرئيسي لأنشطة التعلم الاتصالية.

كما يؤكد رائد المدرسة الاتصالية سيمنز أن عملية التعلم تتم بطرق ووسائل مختلفة، منها التقنيات الحديثة للإعلام والاتصال، مثل الحواسيب و البرمجيات التي تعتمد الوسائط المتعددة ومواقع الإنترنت والبريد الإلكتروني والبحث عن شبكة الإنترنت وقوائم البريد الإلكتروني وقراءة blogs والدراسة في الشبكات الاجتماعية الافتراضية. فالمقررات أو المدرسة أو الجامعة ليست المصدر الوحيد للتعلم.

وتتشابه النظرية الاتصالية مع النظرية البنائية في التأكيد على التعلم الاجتماعي، وإتاحة الفرصة للمتعلمين للتواصل والتفاعل فيما بينهم أثناء التعلم، وتؤكد هذه النظرية في المقابل على دور التكنولوجيا في اكتساب المعارف والمهارات .

3 - طبيعة التعلم ودور الأستاذ والمتعلم في ضوء النظرية الاتصالية :

يذهب مناصرو النظرية الاتصالية إلى أننا نعيش حالياً في زمن يقوم بالأساس على المعلومات والمعرفة في جميع شؤون الحياة، وأن الفرد محتاج إلى المعرفة باستمرار طيلة حياته ولا يقتصر ذلك على مجرد مرحلة التعليم الرسمي. كما أن الفرد يضطلع بدور هام في إنتاج المعرفة ولا يعتبر مجرد متلقٍ سلبي لها. وهذه المعرفة لازمة للأداء العملي الناجح في كل المجالات .

وتتسم المعرفة في العصر الحالي - خلافاً لمرحلة زمنية سابقة - بأنها ذات كمّ ضخم جداً ومتداخلة التخصصات، بمعنى أنه لكي يكتسب الفرد المعرفة في تخصص ما، يلزمه الإلمام بالمعارف في عدة مجالات أخرى. ويترتب على ذلك عدم قدرة المتعلم الفرد على معالجة كل المعارف التي يحتاجها وتكوين معنى لها بمفرده .

بصفة عامة يمكن القول بأن النظرية الاتصالية تشجع على بناء الخبرات انطلاقاً من التفاعل الاجتماعي عبر الشبكات. فالتعلم يمكن أن يحصل خارج المتعلم في أجهزة و أدوات غير بشرية، مثل الحاسوب أو قواعد البيانات أو المجتمع الافتراضي عبر الواب، وذلك على عكس الافتراض بأن عملية التعلّم تحدث بالكامل داخل المتعلم. ويعتمد التعلّم والمعرفة كذلك على تنوع الآراء ووجهات النظر المختلفة التي تعمل على تكوين كل متكامل .

كما تذهب هذه النظرية إلى أن اكتساب المزيد من المعرفة أكثر أهمية مما هو مألوف حالياً، فتعلم كيفية العثور على المعلومات أكثر أهمية من معرفة المعلومات .

إن الوتيرة المتسارعة للتغير الذي يحدث في العالم بسبب الانفجار التكنولوجي يتطلب من مقارباتنا التعليمية أن تعطي الأولوية لإعداد الأفراد في أساليب استخدام المعلوماتية وطرائق البحث عن مصادر متجددة لها.

والتعلّم هو عملية وصل العقد المتخصصة أو مصادر المعلومات وبالتالي فإن عملية التعلم تتضمن عملية فكرية تهدف إلى تكوين معارف و اتخاذ قرارات انطلاقاً من جملة من المعطيات الجديدة التي قد تتغير بمرور الزمن. من هذا المنطلق، فإن القدرة على معرفة المزيد في النظرية الاتصالية هو أكثر أهمية مما هو معلوم حالياً. وصنع القرار انطلاقاً من التفاعل مع الآخرين و المعطيات المتوفرة هو في حد ذاته عملية تعلّم، فاختيار مادة التعلم ومعرفة معنى المعلومات الواردة تتم من خلال واقع متحول. و باعتبار هذا الواقع المتحول فإن ما هو مقبول و صحيح اليوم يمكن أن يصبح خطأ غداً، بسبب التغيرات في مناخ المعلومات التي تؤثر في اتخاذ القرار .

و تعدّ القدرة على التعلم، في منظور المقاربة الاتصالية، أهم من محتوى التعلم، كما تعدّ القدرة على فهم الاتصالات أو الارتباطات connection بين المجال والأفكار والمفاهيم المختلفة بمثابة مهارة محورية للتعلم نظراً إلى أنّ المتعلم الفرد يشارك كنقطة التقاء node على شبكة تحدث من خلالها عملية التعلّم ككل .

ويمكن أن تتصرف كل نقطة التقاء بطريقةها الخاصة مستقلة عن الباقي، ومتى تمّ تكوين شبكة ما، يمكن للمعلومات التدفق بين نقاط الالتقاء المختلفة، وكلما قوي الاتصال بين نقاط الالتقاء، كلما زادت سرعة تدفق المعلومات.

ولاكتساب معارف مميّنة وحديثة، يحتاج المتعلم إلى الاستمرارية في البحث عن الجديد وهو مجبر على ذلك وليس مخيراً، نظراً إلى أنّ المعرفة في العصر الراهن تتطور بسرعة وباستمرار وما يصلح اليوم من المعرفة ربما لا يصلح بعد فترة وجيزة جداً. لذلك يمثّل هذا الأمر جزءاً حيوياً في عملية التعلم.

ولكي يحمّن المتعلم معرفته باستمرار ينبغي أن يكون منفتحاً على الشبكات المتنوعة حتى يسهل عملية التدفق الحر للمعلومات، وأن يحافظ على روابط وثيقة بمصادر المعلومات المختلفة وأن يعمل على تقوية روابطه بهذه الشبكات.

ويقوم المعلم أو الأستاذ في ضوء النظرية الاتصالية بدور الموجّه والمنشّط والمؤطر لعملية التعلم وذلك من خلال مساعدة المتعلمين على تعزيز شبكات تعلّمهم الشخصية وتسهيل عملية التواصل بينهم من أجل فهم وإنتاج المعرفة. كما يلعب الأستاذ دوراً محورياً في تصميم بيئات التعلم التي تشجع المتعلم على اكتساب المعرفة وفهمها في إطار تعاوني مفتوح.

يقوم المعلم في ضوء النظرية الاتصالية بدور المنشّط، من خلال مساعدة المتعلمين على تعزيز شبكات تعلّمهم الشخصية وتسهيل عملية التواصل بينهم من أجل فهم المعرفة وإنتاجها.

ويقترح «كوروس» 2010، Couros مفهوم «التدريس المفتوح» Open teaching كتوصيف ملائم لطبيعة الأدوار المنوطة بالمعلم في ضوء النظرية الاتصالية. ويعرّفه بأنه تيسير خبرات التعلم التي تتسم بالانفتاح والتعاون والطابع الاجتماعي. ويرى أن التدريس المفتوح يساعد على تكوين مجتمع معرفي حر ومنفتح، من شأنه أن يدعم قدرة المتعلمين على التواصل، وإنتاج وتركيب المعرفة من خلال البناء المشترك لشبكات تعلم¹⁴.

وتبعاً لذلك، فإن العملية التربوية، بحسب الاتصاليين، تستلزم الدراسة والتخطيط لتكوين قدرة بشرية متعلمة وواعية وقادرة على التكيف وتحمل أعباء التنمية والتقدم، وذلك من خلال تقديم تدريبات على المرونة وسرعة الاستجابة للتطورات والتركيز على التفكير المنهجي في التعامل مع هذه التغيرات، والاكتساب الذاتي للمعارف المتجددة والتوظيف السريع لها في مواجهة المستجدات والمشكلات الطارئة. فالوتيرة المتسارعة للتغيّر الذي يحدث في العالم بسبب الانفجار التكنولوجي والمعلوماتي والذي يؤثّر فينا يتطلب من مقارباتنا التعليمية أن تعطي الأولوية لإعداد الأفراد في أساليب استخدام المعلوماتية وطرائق البحث عن مصادر متجددة لها، لأن سرّ نجاح المنظومة التعليمية يكمن في إنتاج المعرفة باعتبار أن من يُنتج المعرفة يُنتج امتداداً لأتمته. والمستقبل من هذا المنطلق سيكون لمن يملك القدرة على التعامل مع التكنولوجيا والمعلوماتية ويواكبها ويلحق بمستجداتها المتلاحقة والسريعة.

من هذا المنطلق، تركّز النظرية الاتصالية على ضرورة أن ينخرط المتعلم في شبكات التعلم نظراً إلى عدم قدرته بمفرده على معالجة جميع المعارف التي يحتاجها وعدم قدرته على تكوين المعنى لكل هذه المعارف. في هذا الإطار، تلعب الشبكات الاجتماعية وكذلك الوسائل التكنولوجية، مثل الوسائط المتعددة والحواسيب والإنترنت والشبكات الاجتماعية الافتراضية دوراً كبيراً في معالجة المعلومات وتحيينها وتكوين المعنى للمعرفة.

والشبكة في نطاق النظرية الاتصالية مفهوم بسيط يتألف من عدة نقاط التقاء nodes واتصالات بين هذه النقاط. أما نقاط الالتقاء فهي قد تكون أفراداً مثل المتعلمين الآخرين أو خبراء في مجالات معرفية مميّنة أو معلمين. وهناك نقاط التقاء أخرى غير بشرية، مثل مصادر معلومات مميّنة، كالكتب الدراسية أو قواعد البيانات، أو مواقع على الويب أو مدونات لأفراد آخرين أو مواقع خدمات تفاعلية، مثل محركات الويكي أو برنامج للدردشة.

وتتسم نقاط الالتقاء بالاستقلالية، فمن الممكن أن توجد نقطة التقاء ما على شبكة مميّنة غير موصولة - بقوة - بباقي النقاط.

المعلومات واتخاذ القرارات ، وكذلك تحليل المحتوى وتنظيمه وتوفير أدوات للمتعلمين للوصول إلى المعرفة بأنفسهم، من خلال البحث في قواعد المعلومات ¹⁶.

إن مبادئ التصميم الفعال طبقاً للنظرية الاتصالية تتحدد وفق تحليل خصائص المتعلمين وتحديد مهارات الاتصال لديهم وكذلك استخدامهم للشبكات وجمع المعلومات واتخاذ القرارات.

كما تأخذ المقاربة الاتصالية بجملة من الإجراءات الأخرى التي نتعرض لها بأكثر تفصيل في الفقرات التالية.

1 - تحليل خصائص المتعلمين :

ركّزت المدرسة السلوكية في تحليلها لخصائص المتعلمين على النمو الجسمي للمتعلم، الذي يعدّ من أهم العوامل التي تؤثر في طريقة فهم الإنسان للعالم من حوله. بينما يرى المعرفيون أن المعلومة يزداد احتمال اكتسابها والاحتفاظ بها واسترجاعها إذا كانت مبنية بواسطة المتعلم، ومركزة على الخبرات السابقة له. في حين يؤكد البنائيون على أن المعرفة القبلية شرط أساسي لبناء التعلم ذي المعنى ¹⁷.

وقد جاءت المدرسة الاتصالية لتركّز على مسألة تحديد أساليب التعلم المفضّلة لدى المتعلمين من خلال محاولة استكشاف مهارات الاتصال لديهم، وكذا مهاراتهم في استخدام الشبكات، وقدراتهم في جمع المعلومات واتخاذ القرارات واتجاهاتهم. وبالتالي تضع هذه النظرية مهارة التواصل كركيزة أساسية في اكتساب وإنتاج المعارف، خاصة وأن المتعلم، ونظراً إلى التطور الكبير في مجال الإعلام والاتصال، مضطر للتعامل مع كمّ كبير من المعلومات، وهو ما يترتب عليه أن تكون مهارات التقويم السريع للمعلومات بمثابة جزء لا يتجزأ من عملية التعلم.

2 - تحليل المحتوى وتنظيمه :

إذا كانت المدارس الكلاسيكية تولي أهمية كبرى لمسألة تصميم المحتوى في العملية التعليمية، فإن المقاربة الاتصالية تذهب

المبحث الثاني : المقاربة التوافقية وتطبيق استخدام الوسائط التفاعلية المتعددة

تستهدف نظريات التعلّم بشكل عام الوصول إلى المبادئ والأساليب التي تحقق تعلماً أفضل للفرد في مواقف مختلفة، كما ترمي إلى مساعدة المختصين والباحثين في الميدان التربوي على إيجاد أمثل الظروف لتحقيق تعلّم فعال. والنظرية هي عبارة عن مجموعة من البنائات والافتراضات المترابطة التي توضح العلاقات القائمة بين عدد من المتغيّرات وتهدف إلى تفسير ظاهرة معيّنّة، والتنبؤ بها، وتزودنا بإطار نظري يمكّننا من فهم طبيعة التعلم وأنماطه السلوكية المتنوعة، وشروطه، وكيفية حدوثه وتفسير أسبابه، والتنبؤ به ¹⁵.

وقد جاءت النظرية الاتصالية خلال السنوات الأخيرة لتلبّي نقصاً في تمثّل العملية التعليمية، وارتبط ظهورها بالتطور التكنولوجي المعاصر وهي تسعى إلى توظيف الشبكات الاجتماعية (الواقعية أو الافتراضية) في خدمة العملية التربوية وتحقيق أهدافها.

ولئن اتفقت النظرية الاتصالية مع المقاربات الأخرى في أهمية التصميم في العملية التعليمية فإن الإضافة التي قدمتها هذه المقاربة هي في تصوّرها لإجراءات التصميم للوسائط المتعددة.

I- إجراءات التصميم التعليمي للوسائط المتعددة :

تأخذ إجراءات التصميم في المقاربة الاتصالية في الاعتبار استخدام الوسائط المتعددة في الفضاءات الافتراضية عبر الشبكة العنكبوتية، مما يتيح فرصة أكبر للتواصل والتفاعل بين الأفراد الذين يساهمون في العملية التعليمية.

من هذا المنطلق، فإن تحليلنا لخصوصية تطبيقات استخدام الوسائط المتعددة وفق هذه النظرية يندرج في إطار أوسع يشمل استخدامات هذه الوسائط داخل ما يطلق عليه بالتعليم الإلكتروني بأشكاله المتعددة، الرسمية منها وغير الرسمية.

ويشير جورج سيمنز 2009 إلى أن مبادئ التصميم الفعال طبقاً للنظرية الاتصالية تتحدد وفق تحليل خصائص المتعلمين وتحديد مهارات الاتصال لديهم وكذا استخدامهم للشبكات وجمع

أن يقتصر تركيز المصمم التعليمي على بلوغ أهداف سلوكية، يجب التركيز على تنمية قدرة الطلبة على التمييز بين المعلومات الهامة وغير الهامة في مجال التخصص. كما تعتبر تنمية مهارات إدارة المعرفة الشخصية ومهارات التشبيك الاجتماعي من بين المهارات العامة التي يركز عليها التصميم التعليمي الاتصالي¹⁹.

4 - صياغة أساليب التقييم :

انطلاقاً من أن العملية التعليمية أعقد و أشمل من أن يتم حصرها في الأهداف أو المحتوى الذي يتم تحديده مسبقاً من قبل المصمم، تذهب المقاربة الاتصالية إلى أن إتقان محتوى التعلم لا يمكن أن يمثّل إلا جزءاً بسيطاً مما يجب تقييمه لدى المتعلم.

من هنا، فإن التقييم يجب أن يركّز على اختبار قدرة الطلاب في الوصول إلى المعرفة الصحيحة والقرارات الصائبة في ضوء المعلومات المتوفرة في فترة زمنية محددة.

فمهارات الاتصال عبر الشبكة ومهارات إدارة المعرفة الشخصية والتشبيك الاجتماعي والقدرة على إدراك الروابط بين المعلومات التي يتم التوصل إليها من قبل المتعلم، والتفاعل والتواصل مع جميع عناصر الموقف التعليمي تعدّ من أبعاد التقييم الأساسية التي يجب أن يهتم بها الأستاذ وفق المقاربة الاتصالية.

والتقييم في إطار التصميم التعليمي الاتصالي يمكن أن يتخذ أساليب مختلفة تعكس الفكر الاتصالي، مثل²⁰ :

- الوسائط التي ينتجها المتعلمون: ويمكن استخدام هذه الوسائط لتقييم تعلّم المتعلمين بدلاً من بعض الأساليب التقليدية، مثل كتابة المقالات والعروض الشفهية المعززة ببرنامج PowerPoint ويتم نشر هذه الوسائط على الويب بحيث يمكن للمعلم والطلاب الآخرين ومستخدمي الويب بصورة عامة تحميلها والتعليق عليها.

- ملفات الأعمال والمدونات الشخصية / Personal Blog Digital Portfolio: وتعطي مثل هذه الأساليب فرصة للتقييم الشخصي لكل متعلم على حده، بحيث توضح طبيعة نشاط الطالب وخبراته وتأمّلاته ووجهات نظره الشخصية.

في اتجاه أن المحتوى يحدده المتعلم من خلال المصادر المتوفرة في شبكات وبيئات التعلم التي يشارك بها. وينظر المصمم التعليمي الاتصالي إلى محتوى المقرر الدراسي على أنه مجرد نقطة التقاء node من بين العديد من نقاط الالتقاء الأخرى التي سوف يتعامل معها المتعلم أثناء أنشطة التعلم الشبكية التي يقوم بها¹⁸ (Siemens, 2004).

و توفر الوسائط التفاعلية المتعددة بحسب هذه النظرية أدوات متميزة للمتعلمين بغية الوصول إلى المعرفة بأنفسهم من خلال بحثهم المستمر عن معلومات محيئة ودقيقة في قواعد مختلفة ومتعددة على شبكة الإنترنت، مما يمكنهم من اتخاذ قرارات «صحيحة ودقيقة» من بين ما تم التوصل إليه من معلومات.

3 - تحديد الأهداف التعليمية :

على عكس النظرية السلوكية التي تولي أهمية كبيرة لتحديد الأهداف التعليمية قبل البدء في التعلم ووصف السلوك المطلوب تعلّمه، وتحديد خصائص الأداء الجيد لهذا السلوك، فإن النظرية الاتصالية لا تعطي للأهداف التعليمية المحددة في التصميم التعليمي دوراً محورياً. فعملية التعلم وفق هذه المقاربة أشمل وأعقد من أن يتم حصرها في مجموعة من الأهداف السلوكية المحددة مسبقاً من قبل الأستاذ أو المعلم. فتركيز المصمم التعليمي يجب أن ينصبّ على مساعدة الطالب على التعلم وتهيئته لاكتساب الخبرات التربوية المناسبة وأن يساعد الطلاب كذلك ليكونوا معتمدين على أنفسهم ونشطين ومبتكرين وصانعي مناقشات ومتعلمين ذاتيين بدل أن يكونوا مستقبلي معلومات.

يرى الاتصاليون أن البيئات الافتراضية قد ساهمت في خروج التعليم من الخانات الضيقة التي كان محاصراً فيها طوال القرون الماضية.

وفي ضوء النظرية الاتصالية، يتم التركيز بشكل أكبر على أهمية تعليم الطلاب سبل البحث عن المعلومات، وتنقيحها وتحليلها وتركيبها من أجل الحصول على المعرفة في نهاية المطاف. فبدلاً من

كما يجب أن تكون بيئة التعلم مرنة بالقدر الذي يسمح للمتعلمين بتعديلها وفقاً لاحتياجاتهم، وأن تكون لا مركزية متصلة ببعضها البعض، وذلك على العكس من نمط بيئات التعلم السائد حالياً والذي يتسم بالمركزية وإدارته من قبل المعلم ويعاني فيه المتعلمون من الانعزال عن بعضهم البعض.

6 - إستراتيجية التعليم حسب النظرية الاتصالية:

يبنّ سيمنز خلال دراساته في السنوات الأخيرة أن الطرق التقليدية المعتمدة في التدريس، والتي غالباً ما تقتصر على تلقين المعلم لمحتويات تدريسية للطلبة، هي طرق لا يمكن أن ترفع من مستوى أداء الطالب وتحقق الأهداف المرجوة من العملية التعليمية. ودعا سيمنز في هذا الإطار إلى استخدام مداخل مختلفة في التعلم، وتوظيف المهارات الشخصية للمتعلمين في نشاطات التعلم. كما أكد على أن تتضمن الأنشطة والتدريبات المشاركة والتفاعل الاجتماعي بين الطلبة والمعلمين باستخدام الشبكات. وأوضح أن التفاعل بين المعلم والمتعلمين، سواء داخل غرفة الصف أو خارجها، يشكّل عاملاً هاماً في إشراك المتعلمين وتحفيزهم للتعلم، بل يجعلهم يفكرون في قيمهم و خططهم المستقبلية²³.

كما دعت النظرية التواصلية طريقة العمل التعاوني و التعلم النشط . فالمتعلم لا يتعلم فقط من خلال الإنصات و إنما عبر التحدث والكتابة عمّا يتعلمه وربطه بخبراته السابقة، بل وبتطبيق ما تعلم في حياته اليومية. ويذهب أكثر الاتصاليين إلى أن التعلم من خلال المشاركة في إنتاج المعرفة يقوّي لدى المتعلم الاعتماد على الذات والاستقلالية والثقة بالنفس.

في ذات السياق، تؤكد المقاربة الاتصالية على ضرورة أن يوفر المصمم التعليمي أكبر عدد ممكن من بدائل أنشطة التعلم التي تساعد المتعلم على الانخراط في شبكات التعلم والمشاركة فيها والاستفادة منها. وتلعب الوسائط المتعددة في هذا الإطار دوراً ريادياً في توفير هذه البدائل، كالمشاركة في تطوير محتوى الويكي والمشاركة في الكتابة والتدوين والمناقشات في الفضاءات الافتراضية...

• مشاريع الويكي²¹ التعاونية Collaborative Wiki وهي مشاريع يعمل الطلاب بشكل تعاوني وتشاركي على إنجازها من خلال الاشتراك في بناء محتوى «ويكي» يتناول بعض موضوعات التعلم.

إن استخدام الوسائط المتعددة في التعليم يجب أن يشجع على التفاعلية الخلاقة التي تجعل الطالب محورا للعملية التعليمية

5 - بيئة التعلم :

بيئة التعلم هي الفضاء الذي يهدف إلى دعم التعليم والتعلم. و تحتل بيئة التعلم دوراً محورياً في العملية التعليمية لدى أنصار المقاربة الاتصالية الذين يعتقدون أن دور المصمم التعليمي لا يقتصر فقط على تصميم المحتويات والأهداف، بل يتعدى ذلك إلى دراسة بيئة التعلم التي ينظر إليها كفضاء يجب أن تتوفر به خصائص معينة تشجع المتعلمين على التعليم المستمر والتواصل والانخراط في شبكات التعلم والمشاركة الفاعلة بها.

وتعتبر المقاربة الاتصالية أن الوسائط التفاعلية المتعددة يمكن أن تقوم بتوفير مجموعة من الأدوات المناسبة للعملية التعليمية، مثل التقييم والاتصالات وتحميل المحتوى وتسليم عمل الطلاب وإدارة المجموعات الطلابية والقيام بالاستبيانات... ويرى الاتصاليون أن البيئات الافتراضية قد ساهمت في خروج التعليم من الخانات الضيقة التي كان محاصراً فيها طوال القرن العشرين وهو ما يدعم فكرة أن التعلم لم يعد يقتصر على مبنى معين، أو على مكان واحد أو لحظة واحدة²².

و تخضع بيئات التعلم وفق هذه المقاربة لجملة من الخصائص، من بينها أن تكون غنية بأدوات التعلم التي توفر العديد من الفرص أمام المتعلمين للحوار والاتصال، و أن تكون غير رسمية وغير مخططة مسبقاً، وهو ما يعني عدم التحديد المسبق لطبيعة عمليات التعلم والمناقشات التي تحدث في إطار هذه العملية.

II المقاربة الاتصالية. الوسائط المتعددة :

آر أسر للتوظيف ؟

تعتمد المقاربة الاتصالية في التعليم بالدرجة الأولى على طبيعة التفاعل بين أطراف العملية التعليمية. وقد أكدت هذه النظرية على التعلم غير الرسمي باعتباره مكوّنًا بارزًا من مكوّنات التعلم الإنساني الذي هو عملية مستمرة مدى الحياة.

من هذا المنطلق، فإن التعلم ليس مفصولًا عن العالم الواقعي ولكنه من السياق الأكبر الذي يتشكل، وفقا للنظرية الاتصالية، من التفاعل الاجتماعي عبر الشبكات سواء أكانت واقعية أم إلكترونية.

وعليه، فإن استخدام الوسائط المتعددة في التعليم يجب، حسب اعتقادنا وفي إطار المقاربة الاتصالية، أن يأخذ في الاعتبار أربعة أسس هامة من أجل أن يكون هذا الاستخدام في خدمة العملية التعليمية.

1 - وسائط تشجّع على التفاعلية :

فالاتصال و التفاعل و تبادل المعلومات بين المتعلم و المتعلم، سواء داخل المؤسسة التعليمية أو خارجها، يشكّل عاملاً هاماً في إشراك المتعلمين و تحفيزهم للتعلم ، بل يجعلهم يفكرون في قيمهم وخططهم المستقبلية. فتشكيل الفرق الطلابية في الدروس وتكليفهم بمشروعات يخلق الفرص لهم لإبداء الرأي و الاستماع و تقييم نوع المعرفة للحلول، و يدرّبهم على التفكير النقدي و يشعّروهم بأنهم أفراد مشاركون في العملية التعليمية. و عليه فإن استخدام الوسائط المتعددة في التعليم يجب أن يشجّع على التفاعلية الخلاقة التي تجعل الطالب محورا للعملية التعليمية و يساهم في بناء مختلف مراحل العملية التربوية، كما تعزز لديه مهارات الاتصال من خلال تدعيم التفاعل مع أساتذته وزملائه من الطلبة.

كما يؤكد باري ويلز، وهو خبير في تقنيات الاتصال المرئي التفاعلي، أن خاصية الاتصال الجديدة قد صممت لإتاحة إمكانية الاتصال الصوتي والمرئي في اتجاهين بين عدة مواقع، مما يسمح بعملية الاتصال و التفاعل في زمن حقيقي بين الطلاب والمدرّس، أو بين الطلاب في مواقع مختلفة .

2 - وسائط تشجّع على العمل التعاوني :

يعرّف التعليم التعاوني بأنه مجموعة من الطرائق المستخدمة في التعليم والتي تساعد الطلاب ضمن مجموعات صغيرة على التفاعل فيما بينهم، لتحقيق هدف محدد أو الوصول إلى نتائج تعلّم محددة مسبقاً²⁵.

وقد وصف هوبر (Hooper، 1992) أساليب توسيع استراتيجيات التعلم التعاوني لبيئات التعلم المعتمدة على الحاسوب، حيث شدد على أن التعلم التعاوني هو أسلوب واحد فقط من أساليب التعلم في مجموعات صغيرة، وهو تعلم يتميز بدرجة عالية من الجودة (المساواة بين أعضاء المجموعة) والتعاون (الانهماك في نشاط التعلم بين أعضاء المجموعة). ولكي تستثمر مميزات استراتيجيات التعلم التعاوني في تصميمات الوسائط المتعددة فإن الأفكار التالية (مقتبسة من هوبر 1992، Hooper) تبدو مهمة²⁶ :

الاعتماد المتبادل والمسؤولية : يعني أن يساهم أداء كل عضو في مجموعة تعاونية في إنجاز المجموعة. وأن أي فرد لا يمكنه الوصول منفرداً إلى هدف المجموعة، والمجموعة لا يمكن أن تصل إلى هدفها عند الاستغناء عن مجهود أي فرد في الفريق. وفي هذا الإطار، فإن مواد الوسائط المتعددة يجب أن تشجّع المسؤولية الفردية المرتبطة بعمل المجموعة .

إن توظيف الوسائط المتعددة يجب أن يساهم في بناء شخصية المتعلم الاجتماعية التي تستطيع أن تعمل في مجموعة وأن تساعد على الحوار واحترام الرأي الآخر و تشجّع الطلبة على التواصل الفعال من أجل إنتاج المعرفة.

التدريب التشاركي : يمكن تدريب المعلمين بفاعلية على استخدام الاستراتيجيات التفاعلية (McDonald، Larson، Sparlin & Dansereau، 1985)، وينبغي أن يبنى التدريب على محتوى محدد، كما يجب أن يعطى تدريباً مستقلاً عن أي محتوى. وقد تحتاج مواد الوسائط المتعددة إلى وحدة نسقيّة

والمبادرة والفعل تنطلق من تربيته على الحس بالاستقلالية. يفترض إذن أن تشكل الاستقلالية هدفا محوريا للتعليم والتربية، حيث ينبغي للمؤسسات التعليمية في مراحلها الثلاث أن تمنح فرصا للمتعلم كي يتمرن على التدبير الذاتي لأموره، سواء على مستوى إدراكه لذاته ومحيطه المادي والاجتماعي والسيكولوجي أو على مستوى الأسلوب الذي يختاره لنفسه في التواصل والتفاوض والتكيف مع هذا المحيط²⁸.

ويذهب الأستاذ مختار الشعالي، مستشار في التوجيه التربوي إلى أنه لا يمكن أن يستقيم الحس بالاستقلالية دون الحس بالحرية والمسؤولية، حيث تمكن الحرية من الوعي بالمنطقية والأحكام القائمة والسائدة التي يروج لها الوسط، والتي تحد من الإدراك الواقعي للذات والمحيط الاجتماعي والثقافي، وتحد من قدراته على المبادرة والتجديد، وبالتالي فإن الحرية سترفع من إبداعية الفرد لتجاوز إكراه وسطه والقيود التي تحد من طموحاته. كما أن الحس بالمسؤولية سيمكّنه من اكتشاف ما هو مطلوب منه من جهد واستثمار لموارده، مما يدعم تفتح شخصيته وإنماءها وإطلاق طاقاته وإمكانياته.

هناك من الأدلة ما يبين أن الأفراد الذين يتعلمون من خلال برامج التعلم الذاتي يكونون أكثر حماساً للتعلم، وأكثر حرية في التفكير، من الأفراد الذين يتعلمون عبر برامج التعلم الجمعي التقليدي

ويقود الحس بالاستقلالية إلى ثقة أكبر بالذات، والرفع من فعالية قدرات الفرد واستعداد أكثر لمواجهة مخاوفه، وقابلية لفهم العالم الذي يعيش فيه دون تبني بالضرورة المواقف والقيم السائدة، ودون التقييد المفرط بالمعايير التي يفرضها المحيط، وبالتالي لا يكون دائما في حاجة زائدة إلى إقرار واستحسان ورضا الآخرين. إذ يستعمل موارده الذاتية وتلك المتوفرة في المحيط بشكل جيد في بناء معارفه وقيمه ومواقفه، كما أنه مؤهل أكثر للانخراط بحيوية في تحسين وتطوير الوضعيات التي يوجد عليها. ونتيجة ذلك، سيحقق نجاحا أكبر على المستوى الدراسي ويبدى تكيّفا جيدا على المستوى الشخصي²⁹.

ويرى الأخصائيون أن التعلم الذاتي هو الأسلوب الحديث الذي يمكن المتعلم من تحقيق قدر كبير من الاستقلالية، إذ يسمح

مستقلة لتنمية مهارات تعاونية عملية الطابع. كذلك، يتعين تشجيع المتعلمين بصفة دورية خلال تعلم محتوى الوسائط المتعددة لتطبيق المهارات من أجل تشجيع التعاون المعتمد على محتوى معين²⁷.

تطوير العمل الجماعي واستمراريته: إن حلقات النقاش التي تلي نشاط المجموعة يجب أن تتيح الفرصة لأعضائها بالتعقيب على الاستراتيجيات الفعّالة وغير الفعّالة التي استخدموها. ويمكن لتصميمات الوسائط المتعددة أن تشجع المتعلمين على المشاركة في هذا النوع من النشاط بعد الانتهاء من التعليم، ولكن لكي يكون هذا النشاط التعقيبي ناجحاً، ينبغي للمتعلمين توجيهه بشكل روتيني وتشجيع العمل الجماعي.

التفاعل الإيجابي بين المتعلمين والمسؤولية الشخصية لكل متعلم، والمسؤولية تعني أن يشعر كل فرد بالمسؤولية تجاه الأفراد الآخرين ضمن المجموعة.

ويذهب عديد الأخصائيين إلى أن التعلم التعاوني يحقق للمتعمّل مجموعة من الفوائد الاجتماعية والعلمية، كالوصول إلى مستوى أعلى من الإنجاز وتقليص زمن التعلم وبناء صداقات متنوعة وتعلّم احترام الآخر والتعايش معه و تنمية قدرات الإبداع و تقبل النقد...

وهكذا فإن توظيف الوسائط المتعددة يجب أن يساهم في بناء شخصية المتعلم الاجتماعية التي تستطيع أن تعمل في مجموعة ولها قائد هو رئيس المجموعة، وأن تساعد على الحوار وعرض الرأي واحترام الرأي الآخر، وتشجع الطلبة على استخدام كافة أساليب التواصل بينها (هواتف، بريد إلكتروني، دردشة ...). وتحثهم على وضع أسئلة لمناقشتها وإدارتها وتقديم مفاهيم هامة...

3 - وسائط تشجع على استقلالية المتعلم :

إن الاستقلالية تعني المبادرة والإبداع، كما أنها تعني المسؤولية. وكلما كان المتعلم مستقلا في القيام بعمل ما، كان مسؤولا عن جودته. لذا فإن تحرير إرادة الفرد وإطلاق قدراته على التعبير

الوسائط المتعددة أيضاً في إطار ما يُعرف بالتعليم الإلكتروني فرصاً للمشاركة النشطة من جانب المتعلم في أنشطة البرنامج، كما توفر له قدراً كبيراً من الحرية في كيفية السير في دراسته للبرنامج، فهو الذي يحدد متى ينتقل من جزء إلى جزء تالٍ له في البرنامج، ويحدد كذلك مدى حاجته إلى إعادة دراسة جزء محدد من البرنامج في حالة عدم فهمه له، أو عدم إتقان تعلمه بالمستوى المطلوب³².

4 - وسائط تشجّع على العمل التشاركي :

التعلم التشاركي هو أسلوب من أساليب التعلم التي تقوم على مشاركة المتعلم بفاعلية في العملية التعليمية. وبمعنى آخر هو الذي يقوم على تشارك كل من المعلم والطالب بأداء العملية التربوية وتحقيق مخرجاتها. أي أنه لا يعتمد بشكل وحيد على المعلم كمصدر أول وأخير للمعلومة، ولا يعتمد على فئة قليلة من الطلاب يكون لها الفاعلية والنشاط داخل الحلقة دون غيرهم، بل يعتمد على تفعيل كافة الطلبة بجميع قدراتهم العقلية والدراسية. وهناك مبدآن رئيسيان يقوم عليهما التعلم التشاركي هما :

- لا يوجد شخص يعلم كل شيء عن أي شيء.
- كل منا لديه ما يعطيه وما يقدمه.

وقد أظهرت بعض الدراسات أن استخدام هذا النوع من التعلم يحقق متعة للطلاب، وأنه يشجعهم على تحقيق مستوى عالٍ من الأداء. و يقوم هذا النوع من التعلم على جملة من أنشطة البحث والاستكشاف والتجريب، وعلى المعلمين توجيه المتعلمين نحو مناقشة وتحليل النتائج الفردية والتوصل إلى نتيجة موحدة بخصوص هذا النشاط³⁴.

ولا يقتصر التعلم التشاركي فقط على التعاون والعمل الجماعي والتجارب ولكنه يشمل أيضاً جهداً جماعياً لإنهاء مشروع معين أو جهداً تعاونياً لكتابة تقارير لأنشطة وإنجازات جماعية.

ويعدّ التعليم الإلكتروني، عبر استخدامه للوسائط المتعددة التفاعلية، أفضل أنماط التعليم التشاركي الذي يتعلم فيه الطلاب من خلال مجموعات تشاركية على الشبكة العنكبوتية، متحدّين بذلك عاملَي الزمان والمكان.

للفرد بأن يعلّم نفسه بنفسه وفقاً لقدراته ولسرعته في التعلّم، وبما يتوافق مع ميوله واهتماماته، أي أن أسلوب التعلم الذاتي يقوم على أساس المتعلم، فهو الذي يختار المادة الدراسية التي يريد دراستها، وهو الذي يحدد نقطة البداية ونقطة النهاية، وهو الذي يحدد سرعة التعلم في ضوء سرعته الخاصة في التعلم وفي ضوء إمكاناته وقدراته، كما أنه يحدد أسلوب التقييم الذي يتم تقويمه من خلاله، وكل ذلك يساهم في تطور المجتمع ورقية³⁰.

ويحظى موضوع التعلّم الذاتي والأساليب الجديدة التي تشجع على استقلالية المتعلّم في وقتنا الحاضر باهتمام متزايد من جانب الأكاديميين والمهتمين بالتجديد البيداغوجي واستخدام التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال في تحسين أساليب التعليم والتعلم وزيادة فاعليتها. ولقد أوضحت بعض الدراسات التي عنيت باستقصاء شروط التعلم الجيد، أنه عندما يتعلم كل فرد وفقاً لقدراته فإنه يستجيب لما يقدم إليه على نحو أفضل، كما أن المشاركة النشطة الإيجابية من جانب الفرد في مواقف التعلم تمثّل عنصراً فعالاً للتعلّم وتساهم في أن يقبل الفرد بدافعية وإيجابية على تعلم أنواع معينة من أداء وسلوك التعلم وتحقيق النمو الذاتي، وفضلاً عن ذلك، هناك من الأدلة ما يبيّن أن الأفراد الذين يتعلمون من خلال برامج التعلم الذاتي يكونون أكثر اهتماماً وحماساً للتعلم، وأكثر استقلالية وحرية في التفكير، كما أنهم أكثر كفاءة في أسلوبهم العام للتعلم من الأفراد الذين يتعلمون من خلال برامج التعلم الجمعي التقليدي³¹.

**عندما يتعلم كل فرد وفقاً لقدراته فإنه يستجيب
لما يقدم إليه على نحو أفضل**

ويرى عديد المختصين في المجال التربوي أن الوسائط المتعددة يمكن أن تساهم في تطوير أساليب التعلم الذاتي المبرمج عبر مساعدة المتعلم على التعويل على نفسه في اكتساب قدر من المعارف والمهارات والاتجاهات والقيم التي تتناسب مع قدراته ووقته واحتياجاته. كما أن الوسائط المتعددة تعتبر وسائل مثالية لتدعيم التعلم الذاتي، إذ أنها تراعي الفروق الفردية والسرعة الذاتية للمتعلم. وتوفر

الهوامش :

المقررات الإلكترونية المشتقة من نظريات التعلم وتطبيقاتها التعليمية - دراسة مقدمة إلى مؤتمر «دور التعلم الإلكتروني في تعزيز مجتمعات المعرفة» المنعقد بمركز زين للتعلم الإلكتروني - جامعة البحرين في الفترة من 6-8 / 4 / 2010.

10- المصدر السابق.

11- حنان علي أحمد آل كباس الغامدي - مصدر سابق

12- سناء أحمد الخطيب - إعداد الطالب لمواجهة العولمة وعصر

الانفجار المعلوماتي،- منتدى النوافذ التربوية - مقال غير مؤرخ - انظر الرابط التالي :

[http:// www.alnawafeth.com/vb/showthread.php?t=600](http://www.alnawafeth.com/vb/showthread.php?t=600)

13- حنان علي أحمد آل كباس الغامدي - مصدر سابق.

14- المصدر السابق.

15- أمين المازرو - نظريات التعلم وتطبيقاتها باستخدام الوسائط المتعددة -

[http:// knol.google.com/k/aimanalm-zrou](http://knol.google.com/k/aimanalm-zrou)

16 - عبد الكرم الشمري - النظرية الاتصالية - عن كتاب تربويات تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين للدكتور : إبراهيم عبد الوكيل الفار - 2012

[http:// abdulkrem556.blogspot.com/2012/03/blog-post.html](http://abdulkrem556.blogspot.com/2012/03/blog-post.html)

17 - د. السيد عبد المولى السيد أبو خطوة - مصدر سابق

• 18 George Siemens.- Connectivism: A Learning Theory for the Digital Age.- December 12, 2004. In website: elearnspace.-[http:// www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm](http://www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm)

19 - حنان علي أحمد آل كباس الغامدي - مصدر سابق

20 - المصدر السابق -

21 - ويكي (بالإنجليزية: wiki) هو نوع من المواقع الإلكترونية التي تسمح للزوار أن يحرروا مواضيع الموقع جماعياً. و ما يميز مواقع الويكي بشكل عام هو: سهولة إنشاء مواضيع جديدة أو تحديث مواضيع قديمة وتعديلها دون الحاجة إلى وجود رقابة توافق على إنشاء

1 - د. سلوى السعيد عبد الكريم أحمد - دور التعليم الإلكتروني في تحسين جودة المحتوى الرقمي للبرامج الأكاديمية : دراسة تقييمية لتطبيق برنامج المودل Moodle في برنامج قسم «علم المكتبات والمعلومات» بكلية الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة السلطان قابوس - جامعة السلطان قابوس. 2011 على الموقع الإلكتروني <http://wessam.allgoo.us/t15582-topic>

2 - حنان علي أحمد آل كباس الغامدي - مبادئ التصميم التعليمي للتعليم الإلكتروني في ضوء النظرية الاتصالية - ماجستير تقنيات تعليم - المملكة العربية السعودية، إدارة تعليم البنات بمكة المكرمة، 2011.

• 3 - George Siemens.- Connectivism : A Learning Theory for the Digital Age.- December 12, 2004. In website : elearnspace.- [http:// www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm](http://www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm)

4 - المنهج الوصفي وإشكالاته، منتدى اللسانيات قائمة المنتديات قضايا وإشكالات لسانية

<http://www.lissaniat.net/viewtopic.php?t=826&start=0&postdays=0&postorder=asc&highlight=&id=4a5d77d141ef4919f4fea3b6a5552cd9> تاريخ الزيارة : 11 فيفري 2011

5 - ترابطية (نظرية تعلم) - موسوعة ويكيبيديا، تاريخ زيارة الموقع أفريل 2012

[http:// ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D9%8A%D8%A9_\(%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%85](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B1%D8%A7%D8%A8%D8%B7%D9%8A%D8%A9_(%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9_%D8%AA%D8%B9%D9%84%D9%85)

• 6 George Siemens.- Connectivism : A Learning Theory for the Digital Age.- December 12, 2004. In website : elearnspace.-[http:// www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm](http://www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm)

عن : حنان علي أحمد آل كباس الغامدي - مصدر سابق -

7 - المصدر السابق -

8 - المصدر السابق -

9 - د. السيد عبد المولى السيد أبو خطوة - مبادئ تصميم

المغرس : أكتوبر 2010. [http:// www.maghress.com/alittihad/117125](http://www.maghress.com/alittihad/117125)

• 29 - المختار شعالي. - التربية على استقلالية المتعلم. - موقع المغرس أكتوبر 2010 ، [http:// www.maghress.com/alittihad/117125](http://www.maghress.com/alittihad/117125)

• 30 - أمينة بنت عبد الله السناني : التعلم الذاتي، صياغة نظرية وتجربة ميدانية، وزارة التربية و التعليم، سلطنة عمان، 2005 [http:// forum.moe.gov.om/~moeoman/vb/attachment.php?attachmentid=2655&d=1160601551](http://forum.moe.gov.om/~moeoman/vb/attachment.php?attachmentid=2655&d=1160601551)

• 31 - أمينة بنت عبد الله السناني : التعلم الذاتي، صياغة نظرية وتجربة ميدانية، وزارة التربية و التعليم، سلطنة عمان، 2005 [http:// forum.moe.gov.om/~moeoman/vb/attachment.php?attachmentid=2655&d=1160601551](http://forum.moe.gov.om/~moeoman/vb/attachment.php?attachmentid=2655&d=1160601551)

• 32 - المصدر السابق.

• 33 - دورة في أساليب التدريس من خلال التعلم التشاركي، منتديات ستار تايمز، <http://www.startimes.com/f.aspx?t=5308403>

• 34 - حسين محمد أحمد عبد الباسط. - التعلم التشاركي نهاية حتمية لمصطلح التعلم التعاوني. - مقال مترجم عن الرابط التالي: [http:// axelmeierhoefer.wordpress.com/2011/05/10/utilizing-collaborat-ve-learning-in-teaching](http://axelmeierhoefer.wordpress.com/2011/05/10/utilizing-collaborat-ve-learning-in-teaching) ، تاريخ زيارة الموقع: 16 أكتوبر 2011

• 35 - المصدر السابق.

الصفحات أو تعديلها عادةً، وبعض مواقع الويكي لا تتطلب حتى تسجيل الدخول في الموقع لإنشاء أو تعديل مواضيع فيها.

• 22 <http://ar.wikipedia.org/wiki>

• 23 George Siemens.- Connectivism : A Learning Theory for the Digital Age.- December 12, 2004. In website : elearnspace.-[http:// www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm](http://www.elearnspace.org/Articles/connectivism.htm)

• 24 - باري ويلز. - دور الاتصال المرئي في عملية التعليم عن بعد- عن نادبة آمال شرقي بتاريخ الخميس، 06 يناير 2011 [http:// edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.shtml?id=748](http://edutrapedia.illaf.net/arabic/show_article.shtml?id=748) ،

• 25 - التعلم التعاوني. - منتديات النايفات التعليمية [http:// www.alnayfat.net/vb/](http://www.alnayfat.net/vb/).- (2008)

• 26 Hooper, S. (1992). Cooperative learning and computer-based instruction. Educational Technology Research and Development. 40(3), 21-38

• 27 Hooper, S. (1992). Cooperative learning and computer-based instruction. Educational Technology Research and Development. 40(3), 21-38

ريتشارد شواير. - قضايا في التقنيات التفاعلية الجديدة، الفصل العاشر، ص 255، على الرابط التالي : [/faculty.ksu.edu.sa/840/1/doc.%2010](http://faculty.ksu.edu.sa/840/1/doc.%2010)

• 28 - المختار شعالي. - التربية على استقلالية المتعلم. - موقع

تكنولوجيات الإعلام والاتصال الجديدة والعملية التربوية : أية علاقة ؟

م. منجبي المنصوري

باحث في التكنولوجيات الجديدة للمعلومات والاتصال

وفاعلية التحرك نحو إرساء دعائم بناء هذا المجتمع، وتحديدًا بمدى التزام السلطة السياسية بوضع أسس تعامل جديّة مع منهجيات وآليات إعداد الأجيال القادمة بغية تأهيلها للمشاركة الفعّالة في بناء مجتمع المعرفة وولوج مجالاته الرحبة.

وبما أنّ الركيزة في بناء مجتمع المعرفة والغاية منه هو المواطن، فإنّ تحسين وتطوير أدوات التعليم ومراجعة مناهجه وطرقه، هي المدخل الرئيسي لإعداد النشء العربي وتسلّحه بالمهارات. فثورة المعلومات اليوم، ومختلف الآثار المادية والرمزية التي تتركها، فتحت وستفتح إمكانيات هائلة جديدة

في مجال تطوير العيش وتعزيز المساعي الرامية إلى مزيد من المعارف المساعدة على تحقيق الرفاهة الإنسانية². وهنا يثير موضوع التربية والتعليم في علاقته بمجتمع المعرفة قضايا متعدّدة بحكم الترابط القائم بين التكوين والتربية والتعليم وبين اكتساب المعرفة ثم إعادة إنتاجها وإبداعها. وإذا ما أقرنا أنّ دور التعليم أساسيٍّ ومحوريٍّ في عملية تعميم المعرفة ونشرها، فإنّ أدواته التكنولوجية التربوية ووظائفه في التنشئة المعرفية والاجتماعية على نفس قدر الأهمية.

يذهب بعض الباحثين إلى اعتبار أنّ تطوير وسائل اتصال فاعلة في أيّ مجتمع يفضي إلى تحولات ثقافية وسياسية واجتماعية ومعرفية. ومن أشهر من اهتموا بدراسة هذه الظواهر، الباحث

الكندي «هارولد إنيس»، الذي يرى أنّ تاريخ الحضارة في مختلف أطوارها تأثر بالاتصال تأثراً عميقاً، إذ نجمت تغييرات في كلّ مرحلة استعمل فيها الإنسان وسيلة اتصال فاعلة¹.

وميزة عصرنا الاتصالي الحالي، تكمن في أنه عصر يشهد تطوير تكنولوجيا اتصال عديدة ومتنوعة. فهي إلكترونية رقمية وتفاعلية (تبادلية)

ومندمجة أو متلاقية بعضها مع بعض. ومن هنا، فإنّ تأثيرها الحاصل في المجتمعات العربية المتلقية لرسائلها ومضامينها سيكون واضحاً وجليّاً.

يرتبط مستقبل تطور الشعوب العربية ومدى حضور مقولة التنمية البشرية فيه، حاضراً ومستقبلاً، بأهميّة الموقع الذي يحتله المواطن العربي في صلب عملية بناء مجتمع المعرفة، ومدى سرعة

إنّ تطوير أدوات التعليم ومراجعة مناهجه وطرقه، هي المدخل الرئيسي لإعداد النشء بهدف تأهيله للمشاركة الفعّالة في بناء مجتمع المعرفة.

سنحاول في هذا البحث أن نبرز مدى تدخل تكنولوجيا الاتصالات والإعلام الجديدة في العملية التربوية وكيف أن الحتمية التقنية أصبحت اليوم عنصراً محددًا في الاستخدامات السوسيوولوجية لتكنولوجيا الاتصالات والإعلام لعل المجال التعليمي أهمها.

التقنيات الحديثة للاتصال وتطوير العملية التعليمية

إن بناء أسس مجتمع المعرفة يتطلب أولاً توفر إرادة سياسية تتبنى إستراتيجيات واضحة المعالم، تهدف إلى وضع طاقات المجتمع البشرية المادية على طريق وفي صلب مسار المعرفة، وثانياً دعم وتشجيع دور مؤسسات الخدمة العامة والمؤسسات الخاصة، ومؤسسات المجتمع المدني، في صناعة إنتاج ونشر وتوزيع المحتويات الرقمية الموجهة نحو المعرفة بجميع أشكالها، والتي تعتبر قطبا من أقطاب مجتمع المعرفة الذي لا يصلح بدونه الاستثمار في البنية الأساسية، مهما كان حجمه وشكله، وثالثاً تهيئة شرائح المجتمع المؤهلة لبناء واحتضان مجتمع المعرفة في المستقبل، والتي ينبغي أن تستفيد من التحويلات الحاصلة في المجال، وأعني بها الناشئة، وكذلك الفئات الاجتماعية التي لها دور محوري في تأطير وإسناد عملية بناء مجتمع المعرفة، وتشمل كل المتدخلين في عملية التنشئة، من إطار تربوي، و مجتمع مدني، وأولياء.

تتكوّن هذه البنية التي يتيحها التطور التكنولوجي اليوم، من شبكات الاتصالات القارة والجوّالة من الجيل الثالث، وربما في المستقبل القريب جدا الجيل الرابع، وشبكات البث التلفزيوني والإذاعي الفضائي الرقمي، أو الأرضي الرقمي. وتوفّر هذه الوسائل بيئة اتصالية وإعلامية جديدة، تتيح بدورها الفرصة للفرد امتلاك أكثر من وسيلة ووسيط اتصالي وإعلامي، فضلا عن أنّ تنوع هذه الوسائل ومحتوياتها أنتج أنماطا، عادة ما تكون خارجة عن التقاليد الاجتماعية المعهودة في زمن وسائل الإعلام التقليدية³. كما توفّر هذه البيئة الاتصالية المستحدثة إمكانية التوسع والانتشار في مجال أشكال التفاعلية، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى تحويل جماهير وسائل الإعلام إلى مستخدمين مشاركين ومتفاعلين مع تكنولوجيا الاتصال.

وما أردنا تبيانه هنا، أنّ البيئة الاتصالية الجديدة أدّت إلى تفعيل

لقد ازدادت أهمية التعليم في مجتمع المعرفة بفضل التقنيات الهائلة التي أصبحت توفّر في العملية التربوية : فغدونا نتحدّث عن التعليم والتعلّم عن بعد، وعن المختبرات الجماعية والأدوات التعليمية، وعن التقنيات والبرمجيات التفاعلية التي تقدّم الدروس والاختبارات والشهادات عن بعد، وتقنيات التعليم التي تركّب الفضاءات الافتراضية وبرامج التعلّم التفاعلية بواسطة الصورة والصوت.

إنّ قياس درجات ولوج المجتمعات العربية إلى مجتمع المعرفة، انطلاقاً من مستويات تحصيلها واكتسابها لتقنيات المعلومات والاتصال، مؤشّر على مكوّن مركزي من مكوّنات مجتمع المعرفة.

غير أنّ هذه الوسائل التقنيّة والمضامين الحديثة قد لا تكون وثيقة القرب من واقع التعليم في المنطقة العربية، ذلك أنّ تعميم التعليم لم يحصل كليّة في جميع الأقطار العربية و بنفس المستوى، كما أنّ نسب الأمية، وبخاصة الأمية التكنولوجية، عند الكبار والصغار والشباب لا تزال تحدّياً يواجه سياسات التعليم في كثير من البلدان. ويعني ذلك أنّ مقوّمات ومتطلبات مجتمع المعرفة المتعلقة بجودة التعليم واستخدام التقنيات الحديثة التي تفرزها التحويلات التكنولوجية في التدريس والتعلّم، وإنشاء شبكات التعليم التي تعرض المحتويات التعليمية المتجدّدة باستمرار، لا تتوفّر في الواقع العربي، وإن توفرت في بعض الأقطار فبمستويات متفاوتة، أو هي في صورة تجارب متفرّقة صعبة التعميم، في الوقت الراهن على الأقل، إضافة إلى ضعف محتوى التعليم وغياب سياسة وبرامج تكوين للإطارات التربوية ووضعية الجامعات و خريجها، حتى المتخصصة منها في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أو الاختصاصات الشبيهة، والمدارس وأحوال البحث العلمي.

وبما أنّ الدعامة التقنية لمجتمع المعرفة تحتل اليوم مكانة هامة في باب التطوير وتحصيل المعلومات، فإنّ ذلك يعني أنّ قياس درجات ولوج المجتمعات العربية إلى مجتمع المعرفة، انطلاقاً من مستويات تحصيلها واكتسابها لتقنيات المعلومات والاتصالات، هو مؤشّر على مكوّن مركزي من مكوّنات مجتمع المعرفة.

أهمية دور تقنيات البث التلفزيوني في عملية

التعلم عن بعد

هناك قناعة حاصلة واعتراف متزايد لدى الجميع بأن خدمات الإنترنت بواسطة الكمبيوتر لن تحلّ وحدها المشاكل المتعلقة بتعزيز فرص التعلّم عن بعد، أو ما يُعرّف بالتعلم الإلكتروني (e-learning). وإن اختلفت المعطيات من منطقة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر داخل المنطقة الواحدة، حول مدى انتشار الإنترنت بواسطة الكمبيوتر في البيوت، فإن المؤكد هو أنه يتراوح بين 40 بالمائة و60 بالمائة. في المقابل، نجد أن نسبة امتلاك أجهزة التلفاز يقارب 98 بالمائة. ويستنتج من هذه الأرقام أن أسباب تعاضم دور ومكانة التقنيات الرقمية للتلفزيون لا تزال وستظل قائمة بقوة في عصر التلاقي التكنولوجي. ومع تطوّر التقنيات الرقمية التي شهدتها قطاع الإنتاج والتخزين والبث التلفزيوني والإذاعي عموماً، فإن استعمالات هذه التقنيات في عدة أشكال تفاعلية باتت ممكنة ومتاحة في مستوى واسع.

وتعتبر ظاهرة التفاعلية من أهمّ الخصائص والامتيازات التي توفرها اليوم تقنيات البث الإذاعي والتلفزيوني الرقمي بمختلف تطبيقاتها ومجالات استخدامها (DVB-S, DVB-T, MMDS, DVBH, DVB-HTML) في عملية التعلّم التفاعلي أو التعلّم عن بعد.

في هذا السياق، يتوجّب على الدول العربية وضع خطط وبرامج واضحة المعالم للاستفادة مما توفره التقنيات الحديثة في عملية إنتاج وتخزين وتوزيع وبث المحتويات التعليمية والترفيهية والتثقيفية، واستعمالها في تطبيقات التعلّم عن بعد. وهذا يتطلب:

- العمل على أن يكون المستعمل والمستخدم في مركز ومحور هذا البرنامج،
- تدعيم مشاركة المستخدم والمستعمل بفتح المجال كاملاً

نظرية « الجماهير الفاعلة» على اعتبار أنّ الجماهير، كمستخدمين، أضحى تفاعلهم في تزايد، يتميّز بالانتقائية والتوجيه الذاتي ويحوّلهم إلى منتجين ومستهلكين للمحتوى في ذات الوقت. وهذا يعني التعدّد والتنوع والتجزئة. فالبعض يرى أنّ الإنترنت طوّرت من قدرة مستعمليها على القراءة والكتابة والبحث والاستيعاب والخوض في تفاعلية تعود بالفائدة عليهم.

فإذا كان مصطلح المستخدم أو المستعمل يشمل مجالاً أكثر وأوسع، يغطي مجموعة من الأنشطة والتفاعلات التي تنجم عن علاقة الفرد بوسائل الإعلام التقليدية والجديدة، فإنّ مصطلح الجمهور يعبر عادة عن مستهلك وسائل الإعلام، وليس ذلك الفرد الذي صار يختار ما يستهلك ويتفاعل معه ويشارك في المحتوى ويساهم في صناعته. فالمستخدم أصبح مستقبلاً ومرسلاً، أي مستهلكاً ومنتجاً، كما أصبح حارس بوابة ينتقي ما يريد ويلغى ويحذف ما يريد.

تقليدياً يتميز الجمهور بخاصية الجماعية، في حين يفتقر إليها مستخدم وسائل الإعلام الجديدة. كما أفرزت تكنولوجيا الاتصال أنماطاً مستحدثة من الاستهلاك والإنتاج، لم تكن موجودة في الوسائل التقليدية، على غرار اللهو بألعاب الكمبيوتر، والإبحار في الإنترنت، والبحوث في بنوك المعطيات والمعلومات، والتواصل عبر البريد الإلكتروني، والتسوّق والتعلم عن بعد، والتواصل عبر الشبكات الاجتماعية الافتراضية، وغيرها من أنماط الاستهلاك والإنتاج التفاعلية.

إنّ الفرد في عصرنا اليوم، سواء كان في البيت أو في العمل، في مكان خاصّ أو مكان عام، في المدرسة أو في مركز تسوّق، أضحى باستطاعته أن يتفاعل مع البيئة الاتصالية والإعلامية الجديدة، ويستطيع أن يستقبل و يرسل، يتلقّى أو يستهلك وينتج، ويتبادل الأخبار والمعلومات والبيانات، سواء كجمهور أو كمستهلك أو كمستخدم.

إنّ خدمات الإنترنت بواسطة الكمبيوتر لن تحلّ وحدها المشاكل المتعلقة بدعم فرص التعلّم عن بعد، ممّا يعزّز بقوة وفعالية مكانة التقنيات الرقمية للتلفزيون في العصر الاتصالي الجديد.

الثالثة في الهرم التصاعدي لمنوال « ترابط النظم المفتوحة » (OSI Model)، القائم على سبع طبقات، فإن تلفزيون الإنترنت يوفر تقنية التبديل المباشر (Switched Video Service) المستخدمة من قبل مشغلي الاتصالات أو مزودي الخدمات، والتي لا تتطلب سوى شاشة عرض و وسيلة اتصال بالإنترنت (Broadband/online access). في المقابل، يعرض تلفزيون بروتوكول الإنترنت خدمة التحميل (Downloading Service) انطلاقاً من بوابات أو مواقع الإنترنت، والقائمة على مبدأ الدفع مقابل المشاهدة بواسطة علبه تحويل خاصة (STB).

ويعتمد بث تلفزيون الإنترنت طرقاً مختلفة، بعضها يتم في شكل مباشر آخر من نقطة إلى أخرى، وذلك بإرسال ملفات من جهاز إلى جهاز، عبر طرف وسيط يمثلها خدوم الإنترنت (Internet Server)، وبرمجيات تطبيقية وتشغيلية ومراقبة النفاذ والولوج إلى الخدمة. والطريقتان هما:

- طريقة البث المعروفة باسم الند للند (Peer-to-Peer)، ويتم بفضلها البث في شكل ملفات ترسل من طرف واحد إلى طرف آخر (Unicast)، أو إلى عدة أطراف (Multicast)،
- طريقة البث بتقنية التدفق (Streaming) والمستخدمه عادة في الإرسال من قبل محطات البث بواسطة الإنترنت.

كما بدأ انتشار و تعميم خدمة البث الأرضي للتلفزيون بجيولها الأول والثاني (DVB-T and DVB-T2)، وهذا ما سيوفر، وطنياً ومحلياً، إمكانيات تقنية وفرصاً فعلية لتوزيع وبث ونشر المحتوى المعرفي بتكلفة منخفضة، بفضل ما تتيحه الآن تقنية الضغط العالي المستخدمة في هذه الخدمة (MPEG-4/AVC) من زيادة في عدد القنوات التلفزيونية التقليدية و التفاعلية عن طريق قناة العودة (Return channel)، سواء بالدقة العالية (High Definition) أو بالدقة العادية (Standard Definition)، وما ستوفره كذلك تقنيات الهرم الرقمي التزامني (Synchronous Digital Hierarchy)، المستخدمة في شبكات نقل الإشارات (Transport Networks)، من فرص إدماج قنوات تلفزيونية

أمامه لتطوير مهاراته،

- اتخاذ تدابير عملية و حاسمة تخدم الاحتواء الإلكتروني (e-inclusion) على مختلف الأصعدة: الوطني

والإقليمي والعربي والعالمي،

ومن أهم الإجراءات والأدوات التي من شأنها أن تحقق ما سبق توضيحه، هي إنتاج المضامين التعليمية الرقمية وتخزينها، والإعداد لتوفير التجهيزات المتعددة الاستخدامات لدى جميع شرائح المجتمع، إضافة إلى ضمان الخدمات العامة الموصولة بالإنترنت (services Online)، وإتاحة الولوج إليها عبر سائر التجهيزات الطرفية للمستخدم، كالتلفاز، وتجهيزات فك الرمز (Decoders)، والهاتف الجوال.

غير أنه، وعلى الرغم من الفرص المتأكدة التي توفرها التقنيات الحديثة للبث والتوزيع التلفزيوني والإذاعي، في اتجاه نشر التعلم التفاعلي عن بعد، فإن عدة معوقات تحول دون تطوير واستعمال التلفزيون التفاعلي في هذه العملية، والتي يصعب بوجودها إدراك الطريقة التي تمكن من تحقيق هذه الرؤية على أرض الواقع. من بين هذه الإشكالات، على سبيل المثال لا الحصر، عدم تحكّم ومشاركة القائمين على التعليم والتكوين (كوادر، وإدارات، وهياكل وزارية) في التخطيط، ووضع البرامج والتصورات المتعلقة بتطوير البنية الأساسية للتكنولوجيا التعليمية وإنتاج مضامين المعرفة، بما في ذلك المحتويات التعليمية، مما يجعل نسق نشر وتوزيع هذا النوع من الخدمات التفاعلية عن بعد بطيئاً.

سينتج تعميم خدمة البث الأرضي الرقمي
للتلفزيون، إمكانيات تقنية هائلة لتوزيع و بث
المحتوى المعرفي.

تلفزيون بروتوكول الإنترنت و تلفزيون الإنترنت

تجدد الإشارة إلى أن هناك فروقاً بين تلفزيون بروتوكول الإنترنت (IPTV) وتلفزيون الإنترنت (Internet TV)، وذلك لوجود خلط بينهما. فإذا كان كلاهما من نوع التلفزيون الشبكي (Networked TV) الذي يعتمد على بروتوكول الإنترنت (Internet Protocol) (Internet Protocol layer)، وهي الطبقة

إلى التكنولوجيا، تعتمد تقنية التلفزيون التفاعلي على ثلاثة أنواع من تكنولوجيا المعلومات والاتصالات: التلفزيون الرقمي (DTV) - بروتوكول الإنترنت (IP) والهاتف الجوال (Mobile). أما بالنسبة إلى أنواع التعلّم والتعليم، فتشمل ثلاثة أقسام مصنّفة حسب الأهداف الخاصّة بكل قسم:

- التعلّم والتعلّم الرسمي (Formal learning)
- التعلّم والتعلّم غير الرسمي (Informal learning)
- التعلّم والتعلّم الترفيهي (Edutainment learning)

المستوى الوظيفي للتعليم والتعلم بواسطة التلفزيون التفاعلي

يشمل المستوى الوظيفي لعملية التعلّم والتعليم التفاعلي درجات التعلّم التفاعلي في مستوى الدرس وحصّة التعلّم، والمادة التعليمية التفاعليّة، ومستويات التفاعل، وعملية التعلّم في حد ذاتها و دورها في تطوير مهارات المتعلّمين والمتلقّين.

خدمة التلفزيون التفاعلي للتعلّم تتلاقى فيها أربع تقنيات كاملة وهي بذلك توفر فرصاً حقيقية في مجال التعليم والتعلم.

أ - درجات التفاعل في مستوى الدرس أو حصّة التعلّم

على الرغم من أنّ التعليم والتعلم التفاعلي يمكن أن يكونا الشكل التعليمي الوحيد المستعمل، غير أنه بالإمكان إدراج التعلم عن طريق ما يسمى التعليم بطريقة الوجه لوجه (Face-to-face learning) و التعلم القائم على بوابات الإنترنت (Web based education/WBE).

ب - المادة التعليمية التفاعلية

يقدم هذا النوع الجديد من القنوات التلفزيونية التفاعلية المتخصصة في التعلّم والتعليم عن بعد، خدمة التعلّم التفاعلي عن بعد، من خلال تمكين المتلقي من النفاذ والوصول إلى محتويات التعلّم التي تعتمد على الفيديو، أو هي في شكل مشاهد فيديو ثرية، انطلاقاً من البيت، باستعمال جهاز طرفي تفاعلي أشبه إلى جهاز التلفاز منه إلى الحاسوب. وتتكوّن المادة التعليمية التي تعرضها هذه

تبثّ بمدى تغطية محدود، على غرار القنوات التعليمية التفاعلية المحلية وتطبيقات التعلّم عن بعد اعتماداً على الفيديو والصوت، وتوزيع وبث وتخزين مضامين التسلية والترفيه التي تُعرف بالألعاب الجدية (Serious games).

أ - القنوات التلفزيونية التعليمية التفاعلية (T-learning)

يوصف التلفزيون التعليمي التفاعلي عن بعد (T-learning) بأنه نتاج التلاقي بين التلفزيون التفاعلي (iTV) والتعلّم الإلكتروني (e-learning).

وإذا كانت تقنية التعلّم الإلكتروني (e-learning) تعتمد أساساً على تكنولوجيا المعلومات والكمبيوتر التي تستخدم في أنشطة التكوين والتعلّم، فإنّ تقنية التلفزيون التفاعلي للتعلّم (T-learning) تلتقي فيها أربع تقنيّات كاملة تعتبر خلاصة تطبيقات وتقنيات تكنولوجيا العصر الحالي للمعلومات والاتصالات والتلفزيون: تقنية التلفزيون الرقمي (DTV)، وتقنية الإنترنت (IP)، وتقنية المحطات المحمولة أو الجوّالة (Mobile)، وتقنية التعلّم الإلكتروني (e-learning).

ب - نماذج من التلفزيون التعليمي التفاعلي

تبيّن عدة نماذج للتلفزيون التفاعلي التي تم وضعها حيّز التشغيل والاستعمال في بعض البلدان الأوروبية والأمريكية خلال الفترة الحالية (فرنسا - البرتغال - إيطاليا - بريطانيا - البرازيل...)، سواء في إطار مشاريع معرفية جديدة أمجّزتها مؤسّسات تلفزيونية عمومية أو خاصة، بالاشتراك والتعاون مع وزارات التربية والتعليم والتكوين في تلك البلدان، وكذلك مصمّمو ومنتجو المحتويات الرقمية، أهمية الإمكانيات التي توفرها تقنية التلفزيون الرقمي التفاعلي في مجال التعليم والتربية والتكوين، والتي تشمل عدة مستويات.

المستوى العام للتعليم والتعلم بواسطة تقنية

التلفزيون التفاعلي

يشمل المستوى العام لهذه الوسيلة الحديثة للتعلّم والتعليم عن بعد، التكنولوجيا وأنواع التعليم والتعلّم الممكنة. فبالنسبة

التعليمية عن بعد نظراً إلى توفر قناة صاعدة مخصصة للتشوير (signalling) تستخدم تقنية تعدد الإرسال بتقسيم الزمن أو تقنية تعدد الإرسال بتقسيم الرمز (WCDMA).

ث - أنماط تراسل المعلومات في التلفزيون التفاعلي

تعتمد هذه الخدمة التفاعلية على نمط التراسل التزامني للمعطيات (Synchronous communication)، أو اللاتزامني. ففي بيئة اتصالية تعتمد على شبكة الإنترنت، يكون النمط اللاتزامني هو الأنسب والأفضل لتطبيقات التعلم عن بعد، كالفديو كنفرنس (video conference)، مقارنة بالنمط التزامني.

وما ينبغي ملاحظته في هذا المضمار، أن التوجهات الجديدة في مجال التعلم والتعليم التفاعلي عن بعد، لم تعد تقتصر على المبادرات الخاصة، كما كان ذلك في الماضي القريب، بل أصبحت تنال مزيداً من اهتمام الهيكل العمومية للتربية والتعليم والتكوين في البلدان المتقدمة، مثل فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والبلدان الآسكندنافية واليابان، وكذلك بعض البلدان النامية ذات التجارب الناجحة أو المشجعة (ماليزيا- سنغافورة).

إنتاج المحتوى الرقمي التعليمي

في سياق متصل، يبقى تطوير المحتوى أو المضمون الرقمي ذي العلاقة ببرامج التعليم والتدريب من أبرز أولويات المرحلة القادمة بالنسبة إلى الدول التي قطعت شوطاً في عملية إرساء البنية الأساسية للمعلومات والاتصالات، لأنّ مردودية وفاعلية، وبالتالي مشروعية الاستثمار في مثل هذه البنى، مرتبطة أساساً وتحديدًا بمدى استخدامها في توزيع ونشر وتسويق المحتوى أو المضمون المعرفي والإعلامي. وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بالشراكات التي تقيمها وتشجعها الدولة بقطاعها العامة المعنية مع منتجي المضامين الرقمية، والناشرين، وقنوات التلفزيون العمومية والخاصة، والمتاحف، والمكتبات الوطنية، في اتجاه التطوير المستمر للمحتوى الرقمي التعليمي والتربوي والمعرفي عموماً على نطاق واسع يشمل كافة القطاعات النشطة في المجالات الواعدة.

الخدمة الجديدة من مادة الفيديو الموجهة إلى التنشيط (تقديم الدرس - القيام بتجارب إيضاحية - التفاعل مع المدرّس عن بعد...)، والمادة النصية بميزات جديدة، والألعاب الترفيهية والتثقيفية. ويمكن أن تكون بنية المادة التعليمية القائمة على النص خطية أو لاختية. ويسمح نسق النص التشعبي (Hypertext format) بالحصول على بنية لاختية، بحيث يستطيع المتلقي استعمال المادة التعليمية حسب اختياراته للترتيب والقطع. كما يتيح نظام « المنصة المنزلية المتعددة الوسائط » (MHP) استخدام نسق النص التشعبي (HTML) في نظام البث للفيديو الرقمي (DVB system)، في ما يعرف بنظام DVB-HTML، وتلفزيون بروتوكول الإنترنت (IPTV)، في حين يمكن إنجاز مقاطع الفيديو بواسطة « لغة تزامن الوسائط المتعددة المتكاملة » (Synchronized Multimedia Integrate language/SMIL).

يبقى تطوير المحتوى الرقمي، المتصل ببرامج ومناهج التعليم والتعلم والتدريب، من أبرز أولويات المرحلة القادمة في عملية إرساء البنية الأساسية للمعلومات والاتصالات.

ت - الطرق التفاعلية بواسطة التلفزيون

- تفاعل الطالب المتلقي مع المادة التعليمية المعروضة (Student-learning material interaction/ Person-information interaction)،
- تفاعل الطالب المتلقي مع الأستاذ أو الخبير (Person- Person interaction)،
- تفاعل طالب مع طالب آخر (Student-Student Interaction).

و تتغير قناة التفاعل (قناة العودة أو الوصلة الصاعدة) حسب الوسيلة المستعملة للغرض. فالتفاعل عن طريق الإنترنت يتطلب مثلاً جهاز التشكيل وفك التشكيل (المودم Modem)، أو ربطاً بواسطة خط المشترك الرقمي غير المتناظر (ADSL).

كما يمكن استعمال الهواتف الجوالة في التفاعل أثناء العملية

ولعلّ من أبرز مقوّمات الهيكلة التربوية الناجعة، دعم التقدّم والاستثمار في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، ووضع خطط لتطوير إنتاج المعرفة، بما يساعد على تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية، إذ في علاقتها بالمنظومة التعليمية الجيدة تقود إلى تغيير القيم المجتمعية، بما يخدم الحريات والانفتاح الديمقراطي، ويرسخ روح المواطنة والمسؤولية الفردية والجماعية، ويحفّز الناس على المشاركة في إدارة الشأن العام، وسط مناخ اجتماعي يقوم على مبدأ قبول الآخر وحق الاختلاف. كما توفر القدرة على قيام نظم تعليمية شاملة ومتطورة تساهم في تعميق الوعي لدى المواطنين، وتنمّي في نفوسهم قيم التسامح والحوار والاعتدال، وهي قيم لا غنى عنها لولوج مجتمع المعرفة.

ومما يمكن استخلاصه أن الثورة الرقمية التي اكتسحت مختلف مجالات الحياة، مكنت من ربط أجهزة و أدوات الاتصال بعضها ببعض⁴، وظهر التقارب والتلاقي الرقمي الذي أتاح دمج الصورة والصوت واللون، بما أدى إلى الإعلام الإلكتروني المتعدد الوسائط، وبثّ محتوياته وتوزيعها عبر شبكة الإنترنت، ومكنت التقنيات الرقمية من حمل الصوت والصورة ورموز الاتصال إلى أيّ مكان استقبال وتلقّ تتوفر فيه أجهزة طرفية للاستقبال، وهو ما انعكس على المنظومة التربوية بكلّ جلاء.

إنّ تبني مشروع إصلاح مستدام على نطاق واسع للمنظومة التربوية والتعليمية، يتطلب ممارسات مختلفة عن تلك التي تستهدف تحسين جودة التعليم و التعلم في نطاق محدود.

المراجع :

- 1 - إنيس في « الإمبراطورية والاتصال » ص. 35
- 2 - تقرير مجتمع المعرفة العربي لعام 2009 ص 1- .
- 3 - قياس الجمهور في المؤسسات الإعلامية العربية : غياب الدراسات وتحديات الصناعة الإعلامية- الجمهور في العملية الاتصالية- من الجمهرة إلى التجزئة والاستقلالية والتفاعلية (سلسلة بحوث ودراسات إذاعية (73) - اتحاد إذاعات الدول العربية- تونس (2012)
- 4 - ريتشارد كامبل في « الإعلام والثقافة : مدخل إلى وسائل الاتصال الجماهيري » الطبعة الثالثة (بوستون- أم أي - نيويورك ص. 9)

من الأساليب الحديثة المستخدمة في تطوير ونشر و توزيع المحتوى الرقمي التعليمي والتربوي المتصل مباشرة بعملية التنشئة على المعرفة، « جزئيات التعلم » (Learning details)، التي تستند إلى صُفَيّفات و وحدات من المحتوى التعليمي تتضمّن قسطاً معيناً من ذلك المحتوى على شكل نصوص أو صور أو تسجيلات صوتية أو مقاطع فيديو. ولا يتعدّى الزمن اللازم لتقديم الواحدة منها بضع دقائق، كما يمكن ربط الصفيفات الواحدة بالأخرى بحيث تشكل، مجتمعة، جانباً متكاملًا من المنهج المنشود، فضلاً عما يؤدي إليه اعتماد المصادر المفتوحة (Open sources) من تطوير ملموس للمواد التعليمية التفاعلية.

إنّ تبني مشروع إصلاح مستدام على نطاق واسع للمنظومة التربوية والتعليمية، بالتزامن مع تشجيع ابتكار وإنتاج المحتويات الرقمية التربوية والتعليمية والثقافية والترفيهية، وتطوير المناهج وطرق التدريس والتقييم والتطوير المهني، والإدارة، وتحفيز الكوادر التربوية، وبناء شراكات التعلم بين المدارس والمعاهد والجامعات، والأعمال التجارية، والبيوت، و هياكل المجتمع ، يتطلب سياسات وممارسات، مختلفة تماماً عن تلك التي استهدفت تحسين جودة التعليم والتعلم في نطاق ضيق ومحدود، على غرار مشاريع المدارس والمعاهد النموذجية، التي يقتصر التعليم فيها على النخبة المتميزة، والتي لن تكون لها سوى آثار محدودة، لا تساعد البتة على الانتقال نحو مجتمع المعرفة الموسوم بأقطابه الثلاثة: مجتمع المعرفة وتكنولوجيا المعرفة واقتصاد المعرفة.

خاتمة :

يشكّل النظام التعليمي الجيد حجر الزاوية في أيّ تطوّر اقتصادي واجتماعي، وهذا ما يجعل الحاجة ملحة إلى إصلاح المنظومة التربوية في البلدان العربية من خلال المبادرات والمقاربات الدورية والمنتظمة الهادفة إلى تحسين التعليم كما ونوعاً.

التجربة المصرية في مجال القنوات التعليمية

د. وليد فتح الله بركات
كلية الإعلام جامعة القاهرة

كما عرفت مصر التلفزيون بصورة دائمة ومستقرة مع افتتاح هذه الخدمة في 21 يوليو (تموز) 1960 ، في صورة قناة واحدة ، تطورت بعد عام واحد لتصبح قناتين ، ثم تكاثر العدد بصورة كبيرة خلال السنوات الموالية وبصفة خاصة مع عصر الفضائيات ليحتضن (اتحاد الإذاعة والتلفزيون) في مصر عشرات القنوات التلفزيونية التابعة للملكية الدولة ، ناهيك عن غيرها من القنوات ذات الملكية الخاصة .

ويعتبر (اتحاد الإذاعة والتلفزيون) المؤسسة الحكومية المسؤولة عن البث المرئي والمسموع في مصر في الوقت الراهن، ويتكون من مجموعة

قطاعات برامجية وأخرى معاونة ، وتشمل القطاعات البرامجية:

- قطاع الإذاعة
- قطاع التلفزيون
- قطاع القنوات المتخصصة
- قطاع القنوات الإقليمية
- قطاع الأخبار
- قطاع الإنتاج

عندما نتطرق إلى الدور التعليمي لكل من الإذاعة المسموعة (الراديو) والإذاعة المسموعة المرئية (التلفزيون) سنجد أن الواسيلتين قد حققتا إنجازات واسعة في مختلف دول العالم ، سواء على مستوى خدمة التعليم النظامي لطلاب المدارس والجامعات أو على مستوى خدمة طلاب التعليم غير النظامي باختلاف مسمياته، سواء اتخذ مسمى الجامعة المفتوحة أو التعليم عن بعد أو غيرها ، أو على مستوى تعليم اللغات أو تعليم المهارات ، وكلها مجالات أثبتت هاتان الواسيلتان قدرات متميزة فيها في دول متقدمة أو في دول نامية.

وبالنسبة إلى مصر، فهي تعتبر من الدول الرائدة في مجال البث الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة العربية، فقد عرفت مصر الإذاعة المسموعة عام 1925 في شكل إذاعات خاصة أو أهلية غير منظمة، ما لبثت أن أخذت شكلاً منظماً مع إنشاء الإذاعة الحكومية في 31 مايو (أيار) عام 1934 ، تلك النواة التي انبثقت منها عشرات الخدمات الإذاعية على مدى ما يقرب من ثمانين عاماً، تتنوع بين الجاد والترفيهي ، وتنوع بين الحكومي والخاص .

حقق التلفزيون والإذاعة إنجازات واسعة في مختلف دول العالم ، سواء على مستوى خدمة التعليم النظامي لطلاب المدارس والجامعات أو على مستوى خدمة طلاب التعليم غير النظامي.

مجال الخدمات التعليمية في أواخر الستينات لتصل إلى 12 ساعة أسبوعياً، مع إضافة مرحلة التعليم الابتدائي على كل من القناة الأولى والقناة الثانية.

وقد روعي في هذه البرامج التي يتم بثها في المساء بعد انتهاء اليوم المدرسي أن ترتبط بالمنهج الدراسي للطلاب، بحيث تمثل إعادة للدرس الذي تلقاه الطالب بالمدرسة، مستخدمة في ذلك كل إمكانيات التلفزيون في استعمال وسائل الإيضاح.

واستمر التوسع في الخدمة التعليمية بإضافة برامج ومقررات لصفوف دراسية مختلفة بدأت بالسنوات النهائية للمراحل التعليمية الثلاث، وامتدت في العام الدراسي 1993/1992 لتشمل المقررات الدراسية لصفوف النقل في المراحل التعليمية المختلفة والتي أذيعت على القنوات التلفزيونية المحلية، الثالثة والرابعة والخامسة، علاوة على برامج محو الأمية التي قدمها التلفزيون بالتعاون مع الهيئة العامة لمحو الأمية وتعليم الكبار.

ومن بين مظاهر التوسع والنمو، شهدت الفترة من عام 1969 حتى عام 1977 إنتاج برامج تلفزيونية تعليمية يتم بثها في الفترة الصباحية لكي يستقبلها الطلاب داخل الفصول، فيما عرف وقتها باسم (مشروع التلفزيون المدرسي)، حيث تم تزويد المدارس التي غطاها المشروع وعددها 100 مدرسة ثانوية في نطاق العاصمة المصرية (القاهرة) بأجهزة الاستقبال التلفزيوني وتم التنسيق مع وزارة التربية والتعليم في هذا الشأن.

كما تطورت البرامج التعليمية التلفزيونية على المستوى الإداري والتنظيمي، فقد بدأت في شكل (مراقبة) وظلت في ارتقاء حتى وصلت إلى مستوى (إدارة مركزية) يرأسها مسؤول بدرجة (وكيل وزارة).

ويتم حالياً إنتاج البرامج التعليمية لمقررات طلاب السنة النهائية لكل من المرحلة الابتدائية والمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية في استديو خاص بهذه الخدمة داخل مبنى اتحاد الإذاعة والتلفزيون بالقاهرة، وذلك اعتماداً على مجموعة كبيرة من المدرسين الذين يعملون أساساً في وزارة التربية والتعليم، ومجموعة من المخرجين المتخصصين.

ويمكن تحديد الخدمات التعليمية المقدمة من خلال اتحاد الإذاعة والتلفزيون في مصر فيما يلي:

1. البرامج التعليمية المقدمة من التلفزيون المصري تحت مظلة (الإدارة المركزية للبرامج التعليمية) بقطاع التلفزيون.
2. البرامج التعليمية المقدمة عبر (القنوات التعليمية المتخصصة) تحت مظلة قطاع القنوات المتخصصة.
3. قناة التعليم العالي تحت مظلة قطاع القنوات المتخصصة.
4. البرامج التعليمية المقدمة من (الإذاعة التعليمية) تحت مظلة قطاع الإذاعة.
5. البرامج التعليمية المقدمة لطلاب (الأزهر الشريف) من خلال (إذاعة القرآن الكريم) وهي إحدى الخدمات العاملة تحت مظلة قطاع الإذاعة.

1 - البرامج التعليمية المقدمة من التلفزيون المصري:

يقصد بهذه البرامج تلك التي يتم بثها عبر التلفزيون المصري بثاً أرضياً من خلال قناتين مركزيتين تغطيان سائر أرجاء الدولة وست قنات إقليمية تخدم كل منها عدداً من المحافظات المصرية ذات السمات المتقاربة، وتعود الخدمة التعليمية بالتلفزيون المصري إلى أوائل الستينات من القرن العشرين، حيث واكبت إنشاء التلفزيون، وقد بدأ التلفزيون إنتاج برامج تعليمية من خلال (مراقبة البرامج التعليمية) التي أنشئت خصيصاً لهذا الغرض.

تعود الخدمة التعليمية بالتلفزيون المصري إلى أوائل الستينات من القرن الماضي من خلال قناتين مركزيتين تغطيان سائر أرجاء الدولة وست قنات إقليمية تغطي كل منها عدداً من المحافظات المصرية فقط.

وقد بدأ التلفزيون المصري منذ عام 1961 تنفيذ خطة البرامج التعليمية لطلبة مرحلتَي الإعدادية والثانوية وبعض أقسام الكليات الجامعية بواقع أربعة برامج يومياً، مدة كل منها 30 دقيقة، واتسع

وبعد النجاح في تسويق القمر الأول (نايل سات 101) ، تزايدت الحاجة إلى تصنيع وإطلاق قمر ثان ، وفي 18 أغسطس (أب) عام 2000 ، تم إطلاق القمر الصناعي المصري الثاني (نايل سات 102) من قاعدة كورو في دولة جيانا الفرنسية التي تقع شمال قارة أمريكا اللاتينية .

ويعتبر القمر الثالث (نايل سات 201) أحد أقمار الجيل الثاني لأقمار النايل سات، وتم إطلاقه بواسطة الصاروخ أريان سبيس في 4 أغسطس (أب) 2010 ، ويستهدف تلبية الحاجة المتزايدة على النايل سات في منطقة شمال إفريقيا والشرق الأوسط، والإبقاء على المركز المتقدم للنايل سات بين مشغلي الأقمار الصناعية في المنطقة، وتقوم مجموعة أقمار النايل سات حالياً بث حوالي 600 قناة تلفزيونية تبث أكثرها إلى منطقة الشرق الأوسط ذات اللغة والثقافة المشتركة.

وقد استبقت الحكومة المصرية عدداً من القنوات المتاحة عبر النايل سات لبث مجموعة من القنوات التلفزيونية المتخصصة تحت اسم (قنوات النيل المتخصصة) أفردت لها قطاعاً مستقلاً داخل اتحاد الإذاعة والتلفزيون في مصر، وبدأت بثها المنتظم في أكتوبر (تشرين أول) عام 1998، ومن بينها قناة النيل للأخبار، وقناة نايل دراما ، وقناة النيل الثقافية، وقناة نايل سبورت ، وقناة الأسرة والطفل، وقناة المنارة للبحث العلمي، وقناة التعليم العالي ، بالإضافة إلى قنوات النيل التعليمية.

بلغ إجمالي عدد ساعات بث البرامج التعليمية التلفزيونية على القنوات الإقليمية الست مجتمعة خلال عام 2011 حوالي 1491 ساعة إرسال بمتوسط يومي حوالي 5 ساعات.

تعتمد فكرة قنوات النيل التعليمية المتخصصة التي يتم بثها فضائياً على تخصيص قناة لكل مرحلة دراسية، وقد بدأت هذه القنوات بعدد سبع قنوات، حيث تم تخصيص قناة للمرحلة الابتدائية، وقناة للمرحلة الإعدادية (المتوسطة)، وقناة للتعليم الثانوي العام ، وقناة للتعليم الثانوي الفني (التقني) بتخصصاته

وحتى بضع سنوات مضت، كانت هذه البرامج تبث على القنوات المركزيتين الأولى والثانية اللتين تغطيان سائر أرجاء الدولة، بالإضافة إلى القنوات الإقليمية الست التي تغطي كل منها عدداً من المحافظات المصرية فقط، غير أن هذه الخدمة تعرّضت منذ عام 2010 لانكماش في مساحة البث، واقتصار الأمر في الوقت الراهن - بسبب الرغبة في ضغط النفقات- على بث هذه البرامج على القنوات الإقليمية فقط .

وتبث القنوات الإقليمية الست يومياً ساعتين من البرامج التعليمية لطلاب السنوات النهائية في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية (العامة) من الساعة 4:00م-6:00م حيث يتم توحيد إشارة البث لهذه القنوات ، وتغطي هاتان الساعتان أربعة مقررات يومياً بواقع ثلاثين دقيقة لكل حلقة، علاوة على بث ساعتين إضافيتين من الساعة 8:00م - 10:00م يوم الجمعة من كل أسبوع لإذاعة برامج تعليمية خاصة بمقررات السنة النهائية بمرحلة التعليم الثانوي (الفني)، ويوم السبت من كل أسبوع لإذاعة برامج تعليمية خاصة بالطلاب الذين يدرسون مناهجهم باللغات الأجنبية، الإنجليزية أو الفرنسية، وقد بلغ إجمالي عدد ساعات بث البرامج التعليمية التلفزيونية على القنوات الإقليمية الست مجتمعة خلال عام 2011 حوالي 1491 ساعة إرسال بمتوسط يومي حوالي 5 ساعات يومياً ، غير أنه يتم بث برامج للمراجعة إلى طلاب السنة النهائية بالمرحلة الثانوية على القناة الثانية (المركزية) خلال فترة أدائهم امتحانات نهاية العام الدراسي.

2 - القنوات التعليمية المتخصصة :

في أبريل (نيسان) 1998، تم إطلاق القمر الصناعي المصري (نايل سات 101) ، وهو من فئة أقمار البث المباشر Direct Broadcast Satellites ، تلك التي تقوم بإرسال إشارات البرامج الإذاعية والتلفزيونية مباشرة إلى هوائيات منزلية طبقية الشكل، صغيرة الحجم ، ويبلغ العمر التشغيلي للقمر (نايل سات 101) حوالي 12 سنة.

وعلى صعيد التعاون بين هذه القنوات ووزارة التربية والتعليم في مصر، فإن التعاون يتمثل في اعتماد هذه البرامج على مجموعة من المدرسين الأكفاء من العاملين في الوزارة بعد إجراء الاختبارات اللازمة لهم للتأكد من صلاحيتهم للتقديم التلفزيوني، بالإضافة إلى قيام الوزارة بمراجعة محتوى الدروس المقدمة على شاشة هذه القنوات للتأكد من مطابقتها للمقررات الدراسية، غير أن اتحاد الإذاعة والتلفزيون ينفرد بتحمل نفقات هذه القنوات التعليمية.

وقد تجلّى التعاون بين القنوات التعليمية ووزارة التربية والتعليم عام 2009 عندما انتشر في مصر مرض (انفلونزا الخنازير) واضطر عدد كبير من التلاميذ للتغيب عن المدارس، فرصدت الوزارة ميزانية إضافية لتكثيف بث البرامج التعليمية التلفزيونية، فتم بث هذه البرامج على القنوات الإقليمية بواقع ست ساعات يومياً تحت مسمى (مدرسة في بيتك)، لكي يتاح استقبالها أرضياً، كما هو متاح استقبالها -عبر القنوات التعليمية- فضائياً.

وتطبّق القنوات التعليمية المتخصصة أسلوب بث البرنامج ثم إعادة إذاعته في أوقات مختلفة حتى يتمكن كل أفراد الجمهور المستهدف من مشاهدته، وفقاً لظروف حياة كل منهم، بالإضافة إلى أن هذا الأسلوب يفيد الطلاب المقيمين خارج مصر ويتلقون المناهج الدراسية المصرية، حيث يعينهم على متابعة دروسهم في الأوقات المناسبة لظروف البلد الذي يقيمون فيه، بما يؤهلهم لأداء امتحانات آخر العام الدراسي التي تنظمها لهم الحكومة المصرية في عدد من السفارات المصرية بالخارج، فيما يعرف باسم (امتحانات أبنائنا في الخارج).

وتعتمد القنوات التعليمية في تقنيات إنتاج البرنامج التعليمي على توظيف كل إمكانيات وسيلة التلفزيون، من حيث تقنيات الخدع المرئية والرسومات الحاسوبية Computer Graphics والتصوير في الأماكن التي تثرى معلومات الطالب وتضيف إلى ما درسه داخل حجرة الدراسة.

وقد استحدثت القنوات التعليمية اعتباراً من أكتوبر/ تشرين أول عام 2011 فترة تعليمية مفتوحة على الهواء بعنوان (مدرسة على الهواء) تمتد لمدة ست ساعات يومياً، متاح فيها الفرصة أمام

المختلفة الزراعية والصناعية والتجارية والفندقية، وقناة لتعليم اللغات، وقناة المعارف وهي قناة إثرائية تقدم المعرفة العامة، وقناة محو الأمية التي تقدم دروساً لمن يرغبون في تعلّم القراءة والكتابة من المتقدمين في العمر.

وتعرض كل قناة من هذه القنوات مجموعة من البرامج التي تغطي مختلف المقررات الدراسية للمرحلة التعليمية التي تستهدفها. فعلى سبيل المثال، تقدم قناة المرحلة الابتدائية برنامجاً للغة العربية إلى طلاب الصف الأول الابتدائي، وبرنامجاً آخر للغة العربية إلى طلاب الصف الثاني الابتدائي، وبرنامجاً ثالثاً إلى طلاب الصف الثالث، وهكذا في مختلف المقررات وفي مختلف المراحل التعليمية.

أدت عملية الضغط على النفقات إلى قيام اتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري بتقليص عدد القنوات التعليمية إلى 4 قنوات خاصة بالمراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية العامة والثانوية الفنية (التقنية)، وتم إيقاف بث قناتي تعليم اللغات ومحو الأمية.

وبطبيعة الحال، فإن عدد المقررات يزداد مع المراحل الدراسية الأعلى. فقناة التعليم الثانوي تحتاج إلى عدد ضخم من ساعات البث لكي تغطي مختلف المقررات التي يدرسها طلاب الصفوف الثلاثة في المرحلة الثانوية بقسميها العلمي والأدبي، ولذلك اعتمدت على انتقاء بعض المقررات لتقديمها، وكلما ازدادت ساعات إرسال القناة تزداد البرامج وتزداد المقررات التي تغطيها، وقد بلغ إجمالي ساعات بث تلك القنوات مجتمعة خلال عام 2011 أكثر من ثلاثين ألف ساعة بمتوسط يزيد على 128 ساعة يومياً.

غير أن اتحاد الإذاعة والتلفزيون -بسبب الرغبة في ضغط النفقات- قام اعتباراً من أكتوبر (تشرين أول) عام 2009 بتقليص عدد القنوات التعليمية، فاقترنت على 4 قنوات فقط خاصة بالمراحل الابتدائية والإعدادية (المتوسطة) والثانوية العامة والثانوية الفنية (التقنية)، وتم إيقاف بث قناة تعليم اللغات وقناة محو الأمية.

وتبث القناة يومياً من الساعة 10:00 ص حتى 12:00 م
منتصف الليل ، ومن بين البرامج التي تقدمها:

- في الجامعة
- الجامعة والبيئة
- أنشطة جامعية
- ندوات ومؤتمرات
- رسالة علمية
- ينابيع اللغة
- لوحة شرف
- أستاذ وكتاب
- محاضرات على الهواء
- جامعات عالمية
- نجوم الغد
- الإعجاز العلمي

وتتولى قناة التعليم العالي بث الدروس
المتلفزة لطلاب (برنامج التعليم المفتوح) بجامعة
القاهرة، وهو شكل من أشكال الدراسة الجامعية
غير النظامية يطبق أسلوباً أقرب إلى الجامعة
المفتوحة .

تقدم الإذاعة التعليمية
في مصر، خدمات متنوعة
لطلاب مراحل التعليم الثلاث
وخدمات تربوية إثرائية في
مختلف المجالات .

الطلاب للاتصال هاتفياً بالمدرّس داخل الاستديو لتوجيه ما
يرغبون من أسئلة واستفسارات ليحجب عنها المدرّس على الفور ،
وتخصص الفترة من الساعة 2:00م - 4:00م والفترة من الساعة
8:00م - 10:00م لمقررات المرحلة الثانوية (التعليم العام) ، بينما
تخصص الفترة من الساعة 5:00م - 7:00م لمقررات المرحلة
الابتدائية والمرحلة الإعدادية والمرحلة الثانوية (التعليم الفني)،
وتتنوع المقررات الدراسية التي تغطيها هذه الفترات كل يوم .

ويعتزم القائمون على أمر القنوات التعليمية إعادة تقديم برامج
تعليم اللغات الأجنبية من خلال عقد اتفاقات ثنائية مع بعض المراكز
الثقافية في مصر لرعاية مثل هذه البرامج ، وذلك من خلال إمداد
التلفزيون بالمادة التعليمية والمدرّسين وغيرها من مستلزمات إنتاج
البرنامج ، وستكون البداية مع المركز الثقافي الياباني في مصر .

وقد خضعت القنوات التعليمية المتخصصة للعديد من
الدراسات التقييمية خلال عمرها الذي يمتد لأربعة عشر عاماً، ومن
بين أحدث هذه الدراسات، دراسة أجراها اتحاد الإذاعة والتلفزيون
عام 2009 أظهرت نتائجها إقبال 59% من الطلاب (عينّة
الدراسة) على مشاهدة البرامج التعليمية
بصورة عامة، كما أشارت النتائج إلى إقبال
الطلاب على مشاهدة هذه البرامج على القنوات
المتخصصة (الفضائية) بنسبة 69% مقابل
القنوات الإقليمية (الأرضية) بنسبة 12% .

3 - قناة التعليم العالي :

تستهدف هذه القناة الإسهام في رفع كفاءة منظومة التعليم
الجامعي من خلال إثراء الجانبين التطبيقي والنظري في مختلف
التخصصات الدراسية بالجامعات المصرية، بالإضافة إلى إتاحة
فرص التعليم بعد الجامعي والتعليم المستمر لأكبر عدد ممكن
داخل مصر وخارجها، ومن بين برامجها برنامج (محاضرات على
الهواء) الذي يقدم محاضرات مسجلة من داخل قاعات الدراسة
بالجامعات المصرية المختلفة، بالإضافة إلى البرامج والمواد التي تهتم
بربط الجامعات بالمجتمع وتغطية الأنشطة الطلابية المتنوعة .

4 - البرامج التعليمية المقدمة من (الإذاعة التعليمية) :

الإذاعة التعليمية، تقدم خدمات متنوعة تشمل الخدمات
التعليمية المنهجية لطلاب المراحل التعليمية المختلفة ، بالإضافة
إلى الخدمات التعليمية والتربوية الإثرائية في مختلف المجالات .

تركز البرامج التعليمية المنهجية على مقررات السنة النهائية في
كل من المراحل التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانوية (العامة) ،
وتتكون من برنامج مسجل لأحد المقررات الدراسية لمدة 15 دقيقة

المعاهد الأزهرية تشمل المرحلتين الإعدادية الأزهرية والثانوية الأزهرية ، وذلك بواقع حلقة واحدة كل يوم لمدة 10 دقائق على مدى أيام الأسبوع السبعة، وتغطي المقررات التي تنفرد بها الدراسة في (المعاهد الأزهرية) عن نظيرتها في المدارس المدنية التابعة لوزارة التربية والتعليم وهي المقررات الشرعية، مثل تفسير القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والفقه الإسلامي وغيرها ، وكذلك فروع اللغة العربية التي يدرسها هؤلاء الطلاب بتفصيل وتوسع عن نظرائهم في المدارس المدنية ، مثل النحو والصرف والبلاغة وغيرها.

وعلاوة على ذلك، تقدم هذه الإذاعة مراجعة شاملة لكل مقرر عشية أداء الطلاب الامتحان النهائي للمقرر في حلقة تمتد لمدة 30 دقيقة ، ويتولى تقديم هذه البرامج مجموعة من صفوة المدرسين والموجهين بالمعاهد الأزهرية.

تبث إذاعة القرآن الكريم برامج تعليمية لطلاب معاهد الأزهر تشمل المرحلتين الإعدادية والثانوية (الأزهرية)

وقد استفادت هذه الخدمة الإذاعية من التطورات التكنولوجية الحديثة ، حيث يتم استقبال استفسارات الطلاب وأسئلتهم قبل تسجيل كل حلقة عبر الرسائل النصية SMS وموقع الإذاعة على الإنترنت، فضلاً عن الاتصالات الهاتفية ، كما يتم وضع تسجيلات صوتية لهذه البرامج على موقع إذاعة القرآن الكريم على الإنترنت حتى تكون مرجعاً لأي طالب يرغب في الاستماع إليها في أي وقت كما أن إذاعة القرآن الكريم تبث فضائياً عبر القمر (نايل سات)، مما يوسع دائرة المستفيدين من برامجها خارج حدود مصر.

الخاتمة:

بنظرة مدققة على الإنتاج البرامجي التعليمي لمؤسسة الإعلام المرئي والمسموع المصرية على مدى أكثر من عشرين عاماً، يمكن التأكيد على حدوث قفزة كبيرة في جودة البرامج إعداداً وإخراجاً وتقديمياً، جودة تبدو واضحة في تعدد مصادر بث البرنامج التعليمي.

يوميًا، يعقبه برنامج على الهواء بعنوان (أستاذ على الهواء) لمدة ساعة كاملة ، حيث يستقبل مدرس هذا المقرر استفسارات الطلاب عبر الهاتف ليحيب عنها فوراً من داخل الاستديو، وتنوع البرامج كل يوم لتغطي مختلف المقررات الدراسية على مدار الأسبوع .

ويتم بث برامج المرحلة الابتدائية الساعة 3:45 يومياً ، وبرامج المرحلة الإعدادية الساعة 5:15 م ، والمرحلة الثانوية العامة الساعة 8:00م لطلاب المرحلة الأولى من الثانوية العامة (الصف الثاني الثانوي)، والساعة 10:05م لطلاب المرحلة الثانية من الثانوية العامة (الصف الثالث الثانوي).

ويتم بث برنامج تعليمي (مسجل) يوميًا لطلاب السنة النهائية بمرحلة التعليم الثانوي الفني (التقني) من الساعة 11:45م ، لمدة 45 دقيقة تتوزع بين تخصص (التجاري) و(الزراعي) (الصناعي) بواقع 15 دقيقة لكل برنامج .

وقد بلغ عدد ساعات بث الإذاعة التعليمية 4900 ساعة خلال عام 2011 ، ويمتد البث اليومي لهذه الإذاعة من الساعة 12:00 ظهراً وحتى الساعة 2:00 بعد منتصف الليل، ومن برامجها الإثرائية: دنيا جديدة ، المبرمج الصغير ، الإعلام الطبي، العلم والحياة، كنوز علمية ، مع العلماء، قاموس اللغة العربية .

5 - البرامج التعليمية المقدمة لطلاب (الأزهر الشريف) من (إذاعة القرآن الكريم):

تتخذ الدراسة الدينية في مصر خطأً موازياً للدراسة المدنية ، وتضم (المعاهد الأزهرية) التابعة للأزهر الشريف مئات الألوف من الطلاب في مراحل الدراسة المختلفة بدءاً بالمرحلة الابتدائية وحتى المرحلة الثانوية .

إذاعة القرآن الكريم هي إحدى الخدمات التابعة لقطاع الإذاعة المصرية والتي يعود تاريخ إنشائها لعام 1964 ، وتبث على مدار الساعة تلاوة لآيات القرآن الكريم، بالإضافة إلى عدد من البرامج المتنوعة والتي تستهدف التثقيف الديني للمستمع.

وتبث هذه الإذاعة مجموعة من البرامج التعليمية لطلاب

- اتحاد الإذاعة والتلفزيون، (2009). محمود أحمد مزيد. ”البرامج التعليمية التي تقدمها قناة النيل للتعليم الثانوي التي تستقبلها المدارس وعلاقتها بتلاميذ الثانوية العامة“ مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية جامعة حلوان، المجلد7، العدد4، أكتوبر 2001، ص111.
- ميرهان حسين الحلواني. ”البرامج التعليمية التي تقدمها قناة النيل التعليمية المتخصصة وعلاقتها بالطفل، دراسة ميدانية“ مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية جامعة حلوان، المجلد6، العدد1، يناير 2000، ص97.
- اتحاد الإذاعة والتلفزيون. الإدارة العامة لبحوث المستمعين والمشاهدين. ”بحث تقييم البرامج التعليمية المقدمة من الإذاعة والتلفزيون لطلبة الثانوية العامة بمحلتها“ بحث غير منشور (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتلفزيون، سبتمبر 1997).

- Jamal Al-Sharhan. “Education an the Satellite: Possibilities for Saudi Arabia” International Journal of Instructional Media. V. 27, # 1, 2000. pp. 51-56.
- Grant Bage. “How can we teach History through television?” Journal of Educational Media. V. 23, # 2/3, 1997, p. 204.
- P. Kelly & B. Gunter. “Helping viewers learn from Television: a new approach to increasing the impact of the medium” Journal of Educational Media. V.22, #1, 1996, p.23.
- Drew Tiene. “Educational Television in the nineties: a global survey” Journal of Educational Media V.22, #3, October 1996, p.151.
- Dennis Blezard. “Schools Television in Egypt” Educational Broadcasting International. V.13, #1, March 1980, p.11.
- Peggy Bresnick Kendler. “Turning TV into a tool” Curriculum Administrator, V.36, #4, April 2000, p.28.
- Mashala Kwape. “The use of Public Broadcasting in the Service of Educational Reconstruction and Development: a South African Perspective” Journal of Educational Media. V.25, #1, 2000, pp.45-46.

بين قنوات أرضية مركزية أو محلية أو قنوات فضائية أو قنوات إذاعية، وتبدو واضحة في جودة تقنيات الإنتاج المستخدمة في عرض المضمون التعليمي، فقد كانت إحدى السلبيات الواضحة التي أشارت إليها دراسة كاتب المقال عام 1992، فالكاميرات وأجهزة المونتاج والجرافيك وغيرها واكبت التكنولوجيا المعاصرة، وتبدو الجودة واضحة في تنوع أساليب عرض المادة العلمية، فمقدم المادة التعليمية لم يعد معلماً فقط بل أصبح معلماً أو مديعاً محترفاً لديه قدرات (تدريسية)، وتنوعت أساليب تقديم المادة العلمية، فلم يعد (الحديث المباشر) أو ما يعرف في أدبيات الاستخدام التعليمي للتلفزيون باسم الرأس المتكلم Talking Head هو النمط السائد في تقديم المضمون التعليمي، بل وجدنا الحوار والمناقشة بين أكثر من مقدم للمادة العلمية ومجموعة من الطلاب يوجدون داخل مكان جذاب قد يكون معملاً أو مسرحاً أو حتى حديقة، وحتى أسلوب (اللعب) استخدم كأحد أساليب عرض المضمون التعليمي بالنسبة إلى طلاب المراحل التعليمية الأولى.

فالموضوعية تقتضي القول بأن القائمين على أمر الخدمة التعليمية التلفزيونية يبذلون جهداً متميزاً ولم يخلوا بالمال أو الجهد من أجل التطوير الدائم، غير أن النجاح يستلزم تضافر كل الجهود من جانب الإعلاميين بالتعاون مع التربويين .

المراجع والمصادر:

- وليد فتح الله مصطفى بركات. «البرامج التعليمية الموجهة من التلفزيون المصري لطلاب شهادة إتمام التعليم الأساسي: دراسة تحليلية وميدانية». رسالة دكتوراه غير منشورة (القاهرة: كلية الإعلام جامعة القاهرة، قسم الإذاعة والتلفزيون، 1992).
- وليد فتح الله بركات. ”الاتجاهات الحديثة في الاستخدامات التعليمية للتلفزيون“ دراسة مقدمة إلى اللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين في تخصص الإعلام (القاهرة: المجلس الأعلى للجامعات، أغسطس 2000).
- اتحاد الإذاعة والتلفزيون. الكتاب السنوي 2011 (القاهرة: اتحاد الإذاعة والتلفزيون، 2011)
- اتحاد الإذاعة والتلفزيون. الإدارة العامة لبحوث المستمعين والمشاهدين. ”بحث استخدام طلبة وطالبات الشهادات الابتدائية والإعدادية للبرامج التعليمية بالتلفزيون“ بحث غير منشور (القاهرة:

الإذاعة من التأسيس.. إلى الرقمنة .. وماذا بعد ؟

د. عباس مصطفى صادق
باحث في الإعلام الجديد

تبحث هذه المقالة في تطور الإذاعة وتصل إلى مستقبله وتطرح مداخل جديدة في نشأتها وتطورها، ثم تورد أهم المحطات التي مرّت عليها سنوات التطوير وصولاً إلى الرقمية، وتوضّح الآفاق التي تفتحها رقمية الإذاعة لتفصّل في التحديات التي تواجهها، وتنتهي المقالة إلى الحديث عن إذاعة الإنترنت والإذاعة الفضائية.

مسيرة تطور الإذاعة

الإذاعة¹ نشأتها تطورت داخل المعامل ، وهو مزيج ودمج أخذ ومذهل لعدد من التكنولوجيات ابتداء من عام 1864 عندما أكمل جيمس ماكسويل James Clerk Maxwell ، وهو أستاذ في جامعة كامبردج تأليف كتاب عن التواترات في الفضاء والتي نعرفها اليوم باسم موجات الراديو. ثم قام هينريش هرتز Hei-rich Rudolf Hertz بتجربة أثبتت صحة ما وصل إليه ماكسويل واستخدم جهازاً بسيطاً عبارة عن مكثف في شكل وعاء أنتج به شرارة كهربائية تم الكشف عليها في الطرف الآخر للغرفة بواسطة وعاء مكثف آخر. كانت تلك أول تجربة لتوليد وإرسال الموجة اللاسلكية، ثم طبّق الإيطالي غيغليمو ماركوني G-glielmo Marconi المبادئ السابقة واستطاع أن يرسل موجات الراديو، إلى أن نجح عام 1901 في نقل موجات الراديو عبر المحيط الأطلسي، وقام بتسجيل اختراعه في إنجلترا خلال عام 1896. وفي عام 1906، أوصل الكندي ريجنالد إيه فيسيندن - وهو فيزيائي كنديّ المولد، سماعة الهاتف بجهاز برق لاسلكي، وأصبح واحداً من أوائل الأشخاص الذين نقلوا الكلام. وفي مساء عيد الميلاد لعام 1906، التقط عدد من مشغلي الراديو، أول بث إذاعي بواسطة فيسيندن، ثم ظهرت منذ سنة 1908 محطات راديو تجريبية عديدة في أماكن متخصصة، مثل كليات الهندسة وما إليها. لم يكن فيسيندن وماركوني وحدهما ولكن كان معهما ، حتى وقتها، امبروس فيلمنغ ولي دي فروست كمشاركين أساسيين في فتح الطريق أمام تطور الإذاعة.

الإذاعة هي مزيج
ودمج أخذ
ومذهل لعدد من
التكنولوجيات .

الإبراق اللاسلكي أولاً

في الأصل كانت تكنولوجيا الإذاعة يطلق عليها تعبير الإبراق اللاسلكي Wireless Telegraphy . أما البادئة راديو - بمعنى إرسال لاسلكي - فقد سجّلت أولاً في الكلمة Radio conductor التي نحتها الفيزيائي الفرنسي إدوارد برانلي Edouard Branly في 1897، مستندا على كلمة Radiate بمعنى إشعاع . أما كلمة الراديو Radio كإسم، فقد قيل إنها جاءت من قبل خبير الإعلان والدو وارن Waldo Warren . وظهرت الكلمة في مقالة نشرت في 1907 كتبها دي فروست ، ثم تبنتها البحرية الأمريكية في 1912، ثم أصبح أمراً شائعاً في ذلك الوقت استخدامها للتعبير عن الإذاعات التجارية في الولايات المتحدة أثناء العشرينات. أما كلمة Broadcasting فقد جاءت من تعبير زراعي يستخدم في أمريكا بمعنى : ينثر البذور Scattering seeds ثم تمّ تبني الكلمة باللغات الأخرى في أوروبا وآسيا ، بالرغم من أن بريطانيا احتفظت بتعبير اللاسلكي Wireless لوصف الراديو حتى منتصف القرن العشرين .

تكنولوجيا الإذاعة
باتت واقعا في
عام 1906 ولكن
الاستخدام في
الاتصال الجماهيري
لم يحدث إلا بعد
وقت طويل ..

يقول ميتشل ستيفنز² Mitchell Stephens : « إن تكنولوجيا الراديو أصبحت واقعا في عيد الكريسماس عام 1906، ولكن استخدام هذه التكنولوجيا كأداة للاتصال الجماهيري لم يحدث إلا بعد وقت طويل . فالراديو الذي اخترعه ماركوني في 1895 كان تلغرافا لاسلكيا أو وسيلة لإرسال رموز مورس عبر الهواء، لكن، وفي 24 ديسمبر 1906، سمع مشغلو اللاسلكي الذين يعملون على السفن في المحيط الأطلسي صوتا يقرأ من إنجيل لوقا. كان هذا هو ريغنالد فيسيندين Reginald Fessenden الرجل الذي ابتكر وسائل لنقل موجات الراديو، فحمل بها الإشارات الصوتية ليبدأ بعدها عمل الإرسال اللاسلكي الهاتفي حسب مسماه وقتها³ .

يواصل ستيفنز « بعد ذلك بقليل أصبح مشغلو الإذاعة من الهواة في الولايات المتحدة وفي أماكن أخرى يستعملون هذه التكنولوجيا للدردشة مع بعضهم البعض . وبعد الحرب العالمية الأولى، بدأ مستقبل الراديو كأداة لإرسال المكالمات الهاتفية البعيدة . وبمرور الوقت نصّب بعض كبار الهواة من أنفسهم مديعين أو عازفين موسيقيين وقرأ للصحف، فيما يقول المؤرخ دانيال سشتروم Daniel Czitrom، إنه عمليا لا أحد في الجهات العلمية أو العسكرية أو حتى من الهواة كان يتوقع أن تصبح الإذاعة الأداة الرئيسية لتكنولوجيا اللاسلكي » .

وفي خريف عام 1920، كان للمدير التنفيذي لشركة ويستينغهاوس ، Harry P. Davis ، رأي آخر ، فقد جذب انتباهه إرسال إذاعي لأحد المهندسين الشباب الهواة في بيتسبيرغ ، فأدرك أن الإرسال الإذاعي يمكن أن يكون جماهيريا (بما يمكن أن يحقق أرباحا لشركته) . وفي الثاني من نوفمبر 1920، دشنت ويستينغهاوس ما يعتبر محطة الإذاعة التجارية الأولى KDKA في بيتسبيرغ بتقرير إخباري للتصويت لهاردنغ كوكس -Harding Cox في الانتخابات الرئاسية . وبنهاية سنة 1922 كانت هنالك 576 محطة إذاعة تجارية تعمل في الولايات المتحدة، وفي نفس العام بيع مائة ألف جهاز استقبال في الولايات المتحدة من قبل ويستينغهاوس وغيرها . وظهر مدخل جديد للأرباح لشركة أخرى هي أي تي أند تي AT&T من استخدام محطاتها للثبات الإذاعي . وبحلول سنة 1925، أصبح هناك 5.5 مليون جهاز استقبال كانت قيد الاستعمال في الولايات المتحدة، وحدها⁴

ماركوني ليس وحده

الطريف أنّ براءة اختراع الراديو ظلت مسجلة بإسم ماركوني، إلى أن حكمت المحكمة الأمريكية العليا Supreme Court في 1943 بتحويل براءة الاختراع إلى الكرواتي نيكولا تيسلا⁵ Nikola Tesla. كما ظل الراديو ملتزماً إلى نصف قرن تقريباً بعد ظهوره بموقعه ضمن منظومة الاتصالات البحرية والاستخدامات العسكرية، إلى أن تم استخدامه إعلامياً في العشرينات من القرن العشرين. وشهدت تلك الفترة إلى الثلاثينات أوج ازدهار الراديو، فكانت الأجهزة تباع بالملايين للجماهير التواقفة إلى سماع الموسيقى والأخبار والبرامج الكوميديّة والدراما الإذاعية. واستخدم الراديو كأداة أساسية بيد السياسيين في الحرب العالمية الثانية للدعاية والتعبئة، وكأداة الإعلام الدولي بعد الحرب وكمجلة دولة غازية مسموعة بيد بعض الحكومات لا يستمع الجمهور لغيرها، وظل هكذا في بعض بلدان الكتلة الشرقية إلى أن انهارت. وقد دخله التغيير التكنولوجي مرات كثيرة بعد انتشاره خاصة باستخدام الترانزستور الذي طورته مختبرات «بل» في 1947 وتم تصغير حجمه وتوسيع إمكانياته ووصولاً إلى الأجهزة الرقمية وراديو الأقمار الصناعية، ثم ظهرت تطبيقات مستحدثة وغير مسبقة للراديو.

كان الراديو التقليدي - مع التلفزيون - يعمل بطريقة الإرسال عبر قناة Channelized أي في اتجاه أحادي، وما على المستمع والمشاهد سوى تغيير القناة، إذا أراد أن يستمع أو يشاهد شيئاً آخر، وبالتالي أن يغيّر المحطة التي كان يستمع إليها، وهي الطريقة الوحيدة التي كانت متاحة والتي بدأت في التغيير.

بدأ البثّ الإذاعي التجريبي نحو عام 1910، حينما نقل «لي دي فورست» برنامجاً، من مسرح غنائي، في مدينة نيويورك، بالولايات المتحدة الأمريكية، نجمه المغني الشهير، إنريكو كاروسو. ثم بدأت خدمات البثّ الإذاعي، في العديد من الدول، في عشرينيات القرن العشرين. ومن المحطات التجارية الأولى محطة تجارية، في مدينة ديترويت الأمريكية، التي بثّت بثاً منتظماً، ابتداءً من 20 أغسطس 1920؛ ومحطة بثّ إذاعية تجريبية، في مدينة بتسبيرج الأمريكية، وهي محطة كدكا، التي شرعت في البثّ عام 1916، واضطلعت بنقل نتائج الانتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1920.

عصر الترانزستور

هذا هو الجيل الثاني من الراديو وكل الأجهزة التي تعمل على منصة الكومبيوتر الذي شغل الفترة من منتصف الخمسينيات إلى بداية الستينيات، وفيها تم استخدام تكنولوجيا الترانزستورات التي تتميز بأنها صغيرة الحجم وحلّت محلّ «الصمام المفرغ من الهواء» مما ساعد في تصغير حجم الأجهزة، كانت مختبرات بل كشفت عن الترانزستور الذي اخترعه فريق مكوّن من والتر براتين وجون باردين وويليام شوكلي، وقد تقاسموا جائزة نوبل في عام 1956 بسبب اختراعهم. وقد سجّل الفيزيائي «جوليس ادجر لينيفلد» أول براءة اختراع للترانزستور في كندا عام 1925، وكان هذا الاختراع مشابهاً لترانزستور تأثير المجال «FET»، ولكنه مع ذلك لم ينشر أبحاثاً عن هذا الترانزستور ولم يحقق عملياً باستخدام نبائط واقعية. وفي عام 1934 قام الألماني «أوسكر هيل» بتسجيل براءة اختراع لترانزستور مشابه للترانزستور السابق ..

في عام 1942، قام «هبرت مارتين» بعمل تجربة باستخدام ما يسمّى «الديو دايو» أو الوصلة الثنائية المزدوجة أثناء العمل على لاقط بنظام رادار دوبلر، وهذه الوصلة الثنائية المزدوجة مكوّنة من اثنتين من الوصلات الثنائية

براءة اختراع الراديو
ظلت مسجلة بإسم
ماركوني إلى أن
حكمت المحكمة
الأمريكية العليا في
1943 بتحويل براءة
الاختراع إلى نيكولا
تيسلا

ووصلات معدنية على قاعدة من شبه الموصل، ولكنه اكتشف عدداً من الظواهر التي لم يتمكن من تفسيرها عن طريق الوصلتين المنفصلتين، واستتبع هذا ظهور الفكرة الأساسية لترانزستور التوصيل ...

في عام 1947، قام «جون باردين» و«التر براتين» في معامل «AT & T bell» في الولايات المتحدة الأمريكية بملاحظة أنه عند توصيل مصدر كهربائي على بلورة من الجرمانيوم أن الطاقة الناتجة أكبر من طاقة المصدر الكهربائي الداخلة، وقد قام «وليام شوكلي» بمعرفة السبب في ذلك، وعلى مدار شهور قليلة عملوا على التوسع الكبير لعلوم أشباه الموصلات، وقد جاء اسم الترانزستور من الكلمة الإنجليزية «Transfer resistor» التي تعني ناقل المقاومة.

من الترانزستور إلى الدوائر المتكاملة

في الواقع أن الترانزستور هو أهم المكونات الإلكترونية الحديثة، ويعتبر من أعظم الاختراعات في القرن العشرين ويستمد أهميته في حياة المجتمع من القدرة الفائقة على إنتاجه باستخدام عمليات تلقائية آلية «عمليات تصنيع أشباه الموصلات» مما يجعل إنتاجه قليل التكلفة.

وعلى الرغم من أن العديد من الشركات تنتج سنويا ما يزيد على البليون من الترانزستورات المنفصلة، إلا أن الغالبية العظمى من الترانزستورات التي تنتج، تكون في الدوائر المتكاملة «Integrated circuit» والتي تختصر إلى «IC»، وتحتوي هذه الدوائر المتكاملة على العديد من الترانزستورات والوصلات الثنائية والمقاومات والمكثفات والمكونات الإلكترونية الأخرى، والتي تمثل دائرة إلكترونية كاملة تقوم بعمل وظيفة معينة، وهناك أيضا «البوابات المنطقية» Logic gates والتي تتكوّن من عدد من الترانزستورات، والتي قد تصل إلى العشرين لعمل بوابة منطقية واحدة، وفي المعالجات الدقيقة «Microprocessors» المتقدمة وصل عدد الترانزستورات إلى 3 بلايين في شريحة واحدة في عام 2011، حيث كان قد وصل إلى 60 مليون في الشريحة في عام 2002. ومن أهم مميزات الترانزستور التكلفة الضئيلة المرونة في الاستخدام والثبات، مما جعله واسع الاستخدام والانتشار. وقد دخلت الترانزستورات في دوائر التحكم الميكانيكية وحلّت محلّ الأدوات الميكانيكية التي كانت تستخدم في ذلك، ويمكن أيضا استخدام متحكّم دقيق «Micro controller» في كتابة برنامج صغير لأداء وظيفة التحكم المطلوبة والمكافئة للمهمة التي يقوم بها التصميم الميكانيكي.

الانتقال إلى الرقمية

تتحول الكثير من الأجهزة التي نستخدمها في حياتنا اليومية حاليا إلى التكنولوجيا الرقمية، كالتلفزيون وأجهزة الراديو والهاتف وكاميرات التصوير ومشغلات ملفات الموسيقى وأجهزة المطبخ وغيرها من الأدوات المنزلية والمكتبية ووسائل المواصلات والتسلية، ويحدث بين الكثير منها حالة اندماج هائلة.

فالرقمنة تطوّر تكنولوجيا ذو تداعيات كبيرة فرضت أنماطا غير مسبوقه لاستغلال ونقل وتخزين جميع أنواع المعلومات المتوفرة، ومكنت من تقارب وتزاوج التطبيقات التكنولوجية للإعلام والاتصال. وقد ظلت إلى وقت قريب، مستقلة ومهنتها مختلفة وأسواقها معروفة. وبفضل الرقمنة بدأت هذه التطبيقات تتداخل، فاقتربت أجهزة التلفزيون من أجهزة الكمبيوتر ووصل الهاتف إلى عالم الصورة.

الرقمنة تطوّر
تكنولوجيا
تداعيات كبيرة
فرضت أنماطا غير
مسبوقة لاستغلال
ونقل وتخزين جميع
أنواع المعلومات

وقبل ظهور التكنولوجيا الرقمية، فإن الإرسال الإلكتروني كان حكرا على التكنولوجيا التماثلية. وفي حين أن التكنولوجيا التماثلية كانت تستخدم في الإرسال التلفزيوني والهاتفي، فإن التكنولوجيا الرقمية تستخدم الآن في جميع وسائل الاتصال الحديثة، مثل الإرسال عبر الأقمار الصناعية أو عن طريق الألياف البصرية.

وما يهمنا من هذا التحول، فهم آثاره على الإعلام باعتباره أحد مداخل الإعلام الجديد، فالنقلة ليست فقط محصورة في تحول من تكنولوجيا تماثلية إلى رقمية، ولكنها تمثل انقلابا هائلا في الأسس التي تعمل بها وسائل الإعلام.

فهم النظام التماثلي

قبل الانتقال الهائل الذي نشهده حاليا إلى الرقمية، كان السائد معالجة البيانات تماثليا أو تشابها أو قياسيا أو تناظريا Analog. «والتماثلية حسب كريس وودفورد Chris Woodford تشير إلى الطريقة التي يحدث فيها تفاوت في مستوى البيانات ارتفاعا وانخفاضا، غلظة ونعومة، سرعة وبطء، ليس بسبب المصدر فقط، ولكن لعوامل المعالجة والتوصيل وغيرها. التماثلية هي أيضا تلك الحالة التي يتم فيها تقديم كمية من بيانات يمكن أن تتفاوت في القيم باستمرار، وذلك على خلاف التكنولوجيا الرقمية التي، إذا قدمت فيها تلك الكمية في أي مستوى، فإنها تكون متساوية دائما ولا تتفاوت في مقدارها»⁶.

«معلومات التماثلية في تفسير آخر هي تلك المعلومات ذات الشكل الطبيعي الذي لم يتم معالجته، حيث تكون المعلومات عبارة عن كميات مادية متماثلة ومتتالية ومستمرة ويمكن لقيمتها أن تتغير، كالحرارة أو التيار أو السرعة أو الصوت. مثلا: الصوت، إذا تكلم شخص بصوت ولنفترض أنه مرتفع، فإن الشخص القريب منك سيسمعه بشكل عال، أما الشخص الأبعد قليلا فسيسمعه أقل علوا، ولكن الشخص البعيد نسبيا، فسيسمعه بشكل ضعيف، ذلك أن الطريقة التي يعالج بها الصوت هنا نطلق عليها «تماثلية»، حيث إن ارتفاع الصوت يتماثل في المراحل المتجاورة، ولكنه لا يتطابق تماما فيها بسبب أنه يقل تدريجيا»⁷.

إن مثال الصوت يمكن أن يشبه أمثلة أخرى كالحرارة أو السرعة أو غيره، وقس على ذلك صوت الراديو المرسل عبر الأثير، وصورة التلفزيون وتسجيلات الفيديو، وهي من الأمثلة المشهورة التي كثيرا ما يتساءل البعض عن تفسير لها عندما نقوم بعمل نسخة مكررة بجهاز الفيديو، فيه غالبا ما تكون ذات جودة أقل من الأصل، ويسوء الأمر أكثر عندما نقوم بعمل نسخة جديدة عن الشريط المنسوخ وهكذا. السبب هو أن التكنولوجيا المستخدمة في هذا العمل هي تكنولوجيا التماثلية التي تتأثر بالعوامل المختلفة.

ففي المثال الأول الخاص بالصوت، نجد أن العوائق في طريق الصوت وهو الهواء هنا، كان سببا في التدهور التدريجي لشدة الصوت. كما أن مقاومة التوصيلات المختلفة داخل الفيديو ونوعية الشريط وشدة أو انخفاض التيار الكهربائي وغيره كان سبب تدهور جودة التسجيل في مثال الفيديو، وهكذا.

وتستخدم تكنولوجيا التماثلية في الإرسال الإلكتروني الذي يتم فيه إنتاج ترددات متغيرة من أجل إنتاج تغيير في التيار الإلكترومغناطيسي. يحدث هذا مثلا، في الإرسال الإذاعي والهاتفي منذ بدأ وحتى الآن، حيث بدأت التكنولوجيا الرقمية تحل محلها بالتدريج. وتلخيصا فإن أي تكنولوجيا تتضمن تغييرا أو عدم ثبات أو تباين أو تغيير المستمر هي تكنولوجيا تماثلية.

النقلة ليست فقط
محصورة في تحول
من تكنولوجيا
تماثلية إلى رقمية،
ولكنها تشكل انقلابا
هائلا في الأسس التي
تعمل بها وسائل
الإعلام.

فهم النظام الرقمي

إن النظام الرقمي Digital System هو نظام ثنائي Binary يستخدم الأعداد المنفصلة Discrete Numbers، مثل الأعداد الثنائية، أو الرموز غير العددية كالحروف أو الأشكال الإيقونية Icons، للعمليات التي تقوم بها الأجهزة الإلكترونية، بما في ذلك الكمبيوتر، حيث يتم تمثيل جميع مراحل العمل رقمياً وهي:

- عملية الإدخال، وفيها تدخل المعلومات إلى النظام في شكل إشارات رقمية.
- عملية الإرسال، حيث يتم نقل الإشارات رقمياً.
- عملية التخزين وهي أيضاً تتم رقمياً.
- عملية المعالجة، وفيها تعالج الإشارات بطريقة رقمية.
- عملية العرض، وفيها تتغير الإشارات المعالجة إلى شكل يفهمه المستخدم.

وتتم العمليات كبديل تكنولوجي للنظام التماثلي، ومصطلح رقمي جاء من نفس مصدر كلمة رقم Digit وهي من كلمة Digitus اللاتينية بمعنى الإصبع، إذ كانت عملية العدّ تتم اعتماداً على الأصابع ثم أصبحت تشير إلى الرقم⁸.

تطور الأنظمة الرقمية

بالرغم من أن الإشارات الرقمية الحالية ترتبط بالأنظمة الرقمية الإلكترونية الثنائية عموماً، كذلك المستخدمة في الإلكترونيات وأجهزة الكمبيوتر، لكن هنالك أنظمة رقمية قديمة، وهي ليست بالضرورة ثنائية أو إلكترونية، المرشد الناري البدائي ربما يمثّل النموذج الأسهل للإشارة غير الإلكترونية الرقمية بحالتيه المعروفتين، مضيئاً أو منطفئاً، وإشارات الدخان تمثّل واحدة من أقدم أمثلة الإشارة الرقمية، التي تحمل معلومات محددة ومتفقاً عليها، وقد احتوت شفرة مورس على خمس فقرات رقمية لتوجيه الرسائل في التلغراف. ويعتبر نظام بريلا أول نظام يقوم على الصيغة الثنائية للتشفير، والسيمافور أو عمود الإشارة الذي يستخدم في محطات السكك الحديدية، يقوم على فكرة الإشارة الثنائية، كذلك الأمر بالنسبة إلى الإشارات البحرية الدولية التي تمثّل رسائل الأبجدية للسماح للسفن بتوجيه الرسائل إلى بعضها البعض.

وفي العادة أصبح يستخدم تعبير رقمي لتوصيف العمليات التي يقوم بها الكمبيوتر والأجهزة الإلكترونية بشكل عام، إذ تتحول المعلومات الحقيقية إلى الشكل العددي الثنائي، كما هو الحال في التسجيلات الصوتية الرقمية والتصوير الفوتوغرافي الرقمي. أمّا حالياً فإن كلمة رقمي أصبحت تستخدم للتعبير عن الأنظمة الإلكترونية، على الرغم من أنه ليس كل أنظمة الإلكترونيات رقمية.

«ولفهم رقمنة المعلومات بشكل أدق، يجب إدراك أنّ الإشارة التي تمثّل المعلومات بشكل عام، كالصوت والصور والحروف، هي تيار كهربائي محوّر، أو فولتية كهربائية محوّرة. أمّا النوع الرقمي من الإشارات التي تنقل البيانات تحمل إما إحدى النبضتين الإلكترونيتين أو البصريتين، هما 1 أو 0، والإشارات الرقمية تمثّل كل المعلومات بعدد محدود من الإشارات. وفي الترميز الثنائي تستخدم إشارتان فقط⁹»

عبارة «رقمي»
تستخدم لتوصيف
العمليات
التي يقوم بها
الكمبيوتر
والأجهزة
الإلكترونية حيث
تتحول المعلومات
الحقيقية إلى الشكل
العددي الثنائي .

إذن فالتكنولوجيا الرقمية هي عبارة عن اختزال المعلومات الخاصة إلى رموز ثنائية. ولأن معلومات الرقمية تتكون من رقمي 1 و 0 كما ذكرنا، فإنه من السهل المحافظة على المعلومات نظيفة كما في حالتها الأصلية.

يستفيد البث الرقمي Digital Broadcasting من مزايا التكنولوجيا الرقمية التي تحدثنا عنها بالتفصيل في الفصل الخاص بها. وقد أشرنا أيضا إلى تطبيقاتها تلفزيونيا في فصل لاحق، ونعرض هنا تطبيقاتها في الإذاعة الصوتية من خلال الراديو الرقمي Digital Radio أو بشكل أدق ما يطلق عليه البث الإذاعي الرقمي Digital Audio Broadcasting ويختصر DAB، وقد تم تطويره بواسطة ائتلاف من الإذاعات والمطورين، وهو النوع المطبق في عدد كبير من البلدان، باستثناء الولايات المتحدة. ويمكن للراديو الرقمي اعتمادا على تكنولوجيا النقل «الببت والبايت» Bits und Bytes التقاط الصور والنصوص المختلفة.

ويمتاز البث الرقمي بتقديمه عددا هائلا من الخدمات الجديدة التي يمكن تقديمها للمشاهدين والمستمعين، فبدلا من تحويل الصورة والصوت إلى موجات، فإن التكنولوجيا الجديدة تحولها إلى سلسلة من الأرقام التي يمكن نقلها عبر الهواء، ثم استقبالها بواسطة الهوائي الخاص بالتلفزيون أو الراديو. ولأنه ليس أرضيا فحسب بل فضائيا أيضا، فإن البث الرقمي خلق نوعا جديدا من الراديو هو الراديو الفضائي.

فالراديو الرقمي يقدم للمستمع نبرة مختلفة تماما عما كان معهودا من قبل، فجودة الصوت نقية بدرجة عالية جدا وخالية من أي تشويش، أما أجهزة الراديو الرقمية الجديدة فتحتوي على لوحة عرض تبث الصور والبيانات والأرقام المرتبطة بالبرامج التي تستمع إليها.

البث الإذاعي الرقمي إذن هو تكنولوجيا حديثة ترجع إلى نهاية الثمانينات، وكان الهدف الرئيسي للتحويل إلى الرقمية الحصول على أعلى درجة من النقاء الصوتي وتجنب التشويش وإنتاج خدمات إذاعية محمولة جديدة. وقد سمح البث الإذاعي الرقمي بتوسيع إمكانيات إنتاج البرامج وبثها، الأمر الذي ضاعف الإذاعات المتخصصة وحقق اللامركزية في البث، فأخذت الإذاعات المحلية والإقليمية في الانتشار محققة فكرة الراديو الفضائي بواسطة الأقمار الصناعية، فأصبح المسافرون عبر الطائرات قادرين على متابعة أخبار العالم.

كان تعبير البث الإذاعي الرقمي يستخدم للإشارة إلى تكنولوجيا البث الإذاعي الرقمي وإلى المعايير التكنولوجية الخاصة به، خصوصا معيار إيروكا Eureka 147 147 الخاص بهذه التكنولوجيا. وقد تم الاتفاق على توحيد قياس البث الإذاعي الرقمي بواسطة منتدى البث الإذاعي العالمي Forum على : [http:// www.worlddab.org](http://www.worlddab.org) الذي يمثل أكثر من 30 بلدا ما عدا الولايات المتحدة، فقد اختارت لجنة الاتصالات الاتحادية الأمريكية FCC نظاما يطلق عليه راديو اتش دي HD Radio أو نظام إيبوك IBOC كمعيار خاص يتم تطبيقه في الولايات المتحدة.

مزايا الراديو الرقمي

تتمثل الحالة الممتازة للبث والانتقاط للراديو الرقمي في التخلص من مشاكل التداخل الصوتي المتمثلة في الفحيح والبهتان Hiss and fade التي تفسد البث الإذاعي، وهي حالة من الحالات الرئيسية التي تميز البث التماثلي. فالراديو الرقمي مجهز بمعالجات ترشح التداخل وتصحح الأخطاء. كما أن البث الرقمي لا يتأثر كثيرا

الإذاعة الرقمية
تقدم للمستمع نبرة
مختلفة تماما عما
كان معهودا من
قبل، فجودة الصوت
نقية بدرجة عالية
جدا وخالية من أي
تشويش.

بحالات الطقس غير الملائمة ومصادر التداخل المحلية، مثل الإذاعات المقرصنة Pirate radio stations التي لا تلتزم بقواعد البث الإذاعي أو المناطق المغلقة، فيمكن الاستماع إلى الراديو بصوت نقي داخل المنزل، خارج المنزل، في السيارة، تحت الأرض في الأنفاق وغيرها.

بجانب ذلك، تسمح تكنولوجيا الراديو الرقمي لمحطات الإذاعة بث أفضل بكثير ضمن الطيف الإذاعي مقارنة بإذاعات الأم أم FM . وبالإضافة إلى المحتوى المبتوث ، فإن نفس الطيف يحمل بيانات إضافية وهي في شكل نصوص وربما رسومات جرافيك، ويمكن قراءة هذه البيانات على شاشة جهاز الراديو. هذه البيانات قد تحمل دليل برنامج إلكتروني E.P.G شبيها بذلك الموجود في أجهزة الالتقاط التلفزيونية من الأقمار الصناعية. وربما تحمل هذه البيانات معلومات إضافية مثل نتائج المباريات والدليل الثقافي وحركة البورصة في بلد ما. وهذا يحقق حالة الارتقاء بالبث الرقمي، بما يفسح المجال أمام الإذاعات لكي تستفيد من آليات التفاعلية.

الرقمية والتنقية من التشويش

هنالك من يرى أن تحويل المعلومات من التماثلية إلى الرقمية يسبب بعض الفقد في حقيقتها الأصلية. ولكن الجميع متفقون على أنه إذا تمت هذه العملية بشكل جيد فإن الرقمية أفضل، وخاصة على المدى البعيد.

« مثلا يمكن تشغيل إسطوانة الليزر مليون مرة، وفي كل مرة تحصل على نفس الجودة الخالية من التشويش، بينما إذا تم تشغيل الشريط العادي كالكاسيت أو الإسطوانة المعتادة فستقل الجودة بعد فترة من الزمن. كما أنه، وكما ذكرنا سابقا، يمكنك أن تحصل باستخدام النظام الرقمي على أجيال من التسجيلات الصوتية أو المرئية بدون فقدان في الجودة، بينما تقل الجودة تدريجيا في كل جيل من التسجيلات باستخدام النظام التماثلي»¹⁰.

« هذا الوضع كان يعاني منه الذين يقومون بعمليات المونتاج لتسجيلات الفيديو من أجل عمل مسلسلات التلفزيون وبرامج الفيديو أو عمل النسخ المتعددة. التكنولوجيا الرقمية إذن، تجعل المعلومات أكثر سهولة عند معالجتها بالكمبيوتر، مما يسمح لك بالقيام بإنتاج أعمال ومهمات ومؤثرات صوتية أو ضوئية كان من المستحيل الوصول إليها»¹¹.

ولعل أقرب الأمثلة لحالة التشويش هذه يمكن ملاحظتها عندما يتم إرسال أي نوع من الإشارات، فإن كمية من الضوضاء تدخل إلى الإشارة لأسباب لا تعد ولا تحصى : فالإشارات التي يتم إرسالها بالراديو قد تتعرض إلى التداخل من قبل المصادر الإذاعية الأخرى، وميكروفونات الصوت تلتقط أي شيء، ربما تلتقط ضوضاء لإشارات راديوية خلفية موجودة في الأثير بدون أن يحدث تمييز بين الإشارات الصوتية والضوضاء.

« كذلك الأمر بالنسبة إلى النبضات الكهربائية التي يتم إرسالها سلكيا، فهي أيضا يقلل مستواها وقوتها بسبب مقاومة السلك، والاختلافات في الحرارة يمكن أن تزيد أو تخفض هذه التأثيرات. وبينما يمكن أن يقل مستوى الإرسال الرقمي أيضا، فإن أي اختلافات تكون طفيفة ويمكن التغلب عليها أو تجاوزها، فيما أن أي اختلاف داخل الإشارة التماثلية، يمكن أن يحدث حجما كبيرا من التشويه»¹².

بالإضافة إلى ذلك، فإن التكنولوجيا الرقمية تجعل المعلومات أكثر سهولة ودقة عند معالجتها. ولو عدنا إلى مثال شريط الفيديو الذي ترغب في نسخه، ونفترض أن النسخ يتم بجهاز تسجيل فيديو يستخدم طريقة الرقمية،

هنالك من يرى أن
تحويل المعلومات
من التماثلية إلى
الرقمية يسبب بعض
الفقد في حقيقتها
الأصلية. ولكن
الجميع يتفقون على
أنه إذا تمت هذه
العملية بشكل جيد
فإن الرقمية أفضل .

في البداية يقوم جهاز التسجيل بنقل المعلومات الضوئية الناجمة عن مكونات كل كادر يتألف منها التسجيل إلى شريط التسجيل كمعلومات رقمية. أي تتكون من سلاسل من رقمي (0 و1). الآن لو أخذنا هذا الشريط، وجهّزنا منه نسخة (نطلق عليها كلمة جيل) ومن كل نسخة (جيل) عملت منها جيلاً تالياً وهكذا. إن الجيل رقم مائة أو أكثر سيكوّن من نفس سلاسل الأرقام، أي المعلومات الرقمية، وبالتالي نستطيع المحافظة على الجودة.

استشراف المستقبل

أدى تطور الراديو إلى ثورة في الاتصالات. ففي وقت تطوره لم يكن هناك سوى وسيلتين للاتصال السريع بين المناطق البعيدة، هما: البرق والهاتف، وكلاهما يتطلب أسلاكاً لحمل الإشارات بين المناطق المختلفة. ولكن الإشارات التي تحملها موجات الراديو تنتقل خلال الهواء، مما مكن المجتمعات البشرية من الاتصال بسرعة بين أي نقطتين على الأرض أو البحر أو الجو وحتى في الفضاء الخارجي.

كما أدى البث الإذاعي الذي بدأ بشكل واسع خلال عشرينيات القرن العشرين إلى تحولات رئيسية في الحياة اليومية للناس، وجلب تنوعاً كبيراً في طرق التسلية داخل المنازل، ومكّن الناس ولأول مرة من الاطلاع على تطور الأحداث أثناء حدوثها أو بعد حدوثها مباشرة.

أمر مشابه نشهده اليوم في التطور الجاري في كافة أجهزة التواصل الرقمية الجديدة، ويلعب الصوت دوراً رئيسياً في الوسائط المتعددة مع الفيديو والصور والجرافيك. ولم تعد الإذاعات وسيلة تسيطر عليها الحكومات والمؤسسات الإعلامية وإنما أصبح بإمكان أي فرد منا تأسيس إذاعته الخاصة في شبكة الأترنت.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يجري التطور الآن في البث الإذاعي الذي يطلق عليه (HD radio) ويتميز بما يلي:

- قنوات بث نقية وبجودة صوت الأقراص الممغنطة (CD) بدون الحاجة إلى موجات إضافية أو عرض نطاق ترددي إضافي Bandwidth .
- استقبال أفضل مع خفض استهلاك الطاقة.
- إمكانية برمجة العديد من القنوات في تردد واحد.

يستطيع هذا الراديو الرقمي اعتماداً على تقنية النقل «بالبت والبايت» Bits and Bytes التقاط الصور والنصوص المختلفة، بهذا يكون قد أحدث معياراً منتشرًا في العالم بأسره يستخدم بث البرامج الإذاعية عبر الهوائي .

إنّ هذا البث الرقمي¹³ الذي يشار إليه اختصاراً بالحرفين HD، هو طريقة بث إذاعي تعتمد على البث العادي العامل بموجات «إيه أم» AM أو بموجات «أف أم» FM. والفرق بينه وبين البث الإذاعي التقليدي التناظري هو في طبيعة الإشارة المرسلّة؛ إذ خلافاً للإشارات الراديوية الحالية، تقوم محطات الإذاعة الرقمية بإرسال إشارة مختلطة مركّبة من البث العادي التناظري والرقمي معاً.

لقد ظلت¹⁴ هذه التقنية قيد التطوير لفترة تزيد على عقد من الزمن. وقد أقرت لجنة الاتصالات الاتحادية - FCC - في الولايات المتحدة باستخدامها عام 2002، كتحسين إضافي لنطاق الموجات الحالية AM و FM. منذ ذلك الحين، بدأ عدد من المحطات يتبنى نظام الراديو الرقمي ولكن ببطء وحذر. وقد يعزى ذلك إلى التكلفة العالية لإعادة تأهيل المحطات لبث الإشارات الرقمية، إذ أنه يتطلب استثمارات كبيرة في البنية - التحتية - الأساسية للنظام، كذلك قد يستغرق وقتاً طويلاً لجني الأرباح.

في ثمانينات القرن الماضي، حاول أرباب صناعة الإذاعة «المحافظة على استمرار موجات AM بتقديم مواد ستيريو، لكن معظم المحطات كانت تقدم إما مواد حوار استديو أو أخباراً بدون أن تقدم أيّ فائدة ملموسة. في ظلّ هذا العرض التاريخي، هل يمكن أن يقدم الراديو فائق الوضوح على الإيه ام والإف ام الوصفة السحرية لإعادة الراديو إلى مجده الكبير خاصة في ظل الحقائق التالية :

- توحيد المعايير الصناعية عالمياً
- تحديات وجود الراديو الفضائي
- التنافس مع راديو الإنترنت
- التطور المستمر للمشغلات الإعلامية المحمولة
- ويلخص الدكتور سعود كاتب¹⁵ مزايا البث الإذاعي الرقمي فيما يلي :
- يوفر البث الإذاعي الرقمي إرسالاً صوتياً فائق نقاوة يماثل نقاوة الصوت في الأقراص المدمجة مع تحرره من المؤثرات الخارجية التي قد تؤثر على البث التقليدي.
- عدد أكبر من المحطات، مع توفير خيارات أكبر للمستمعين من القنوات المتخصصة.
- إمكانية استقبال البيانات على شاشات الراديو الرقمي وبث المعلومات الرقمية عن حالة المرور وإمكانات التسوق على الخطوط الإلكترونية، حيث سيتم تزويد بعض أجهزة الاستقبال بأزرار خاصة لإتمام عملية الشراء عند الرغبة في اقتناء أيّ بضاعة تعلن عنها المحطة ، ويرتبط جهاز الراديو بهاتف ينفذ عملية الاتصال لشراء البضاعة.

البث الإذاعي الفضائي

يعتبر البث الإذاعي الفضائي ثورة في عالم الراديو، حيث تنقله من النظام القديم والموجة المتوسطة والقصيرة إلى عصر الفضاء، وتربطه بتكنولوجيا الاتصال الحديثة، مما يشكل بعثاً جديداً لجهاز الراديو يعتمد على الاستقبال المباشر من القمر الصناعي، دون اللجوء إلى محطات تقوية عالية التكاليف ومحدودة الأثر. والراديو الفضائي أو راديو الأقمار الصناعية Satellite Radio أو راديو الاشتراك (Subscription Radio SR) هو راديو رقمي يستقبل إشارات البث من الأقمار الصناعية التي تغطي مجالاً أرضياً جغرافياً واسعاً لا يقارن معها البث الإذاعي الأرضي بأي حال من الأحوال. إذ يستطيع المستمع متابعة إشارات البث في مجال تغطيتها بصرف النظر عن الموقع، إلا إذا كان هنالك عائق، مثل الأنفاق أو البنايات التي تحول دون وصول هذه الإشارات إلى جهاز الراديو.

يوفر البث الإذاعي
الرقمي إرسالاً
صوتياً فائق
النقاوة يماثل نقاوة
الصوت في الأقراص
المدمجة ، مع
تحرره من المؤثرات
الخارجية التي قد
تؤثر على البث
التقليدي

ويقوم عمل نظام البث الإذاعي الرقمي المباشر عن طريق إرسال الإشارات الإذاعية من خلال طبق إرسال صغير إلى قمر صناعي ثابت في المدار الجغرافي، ويعيد القمر الصناعي مباشرة إرسال الإشارات إلى الملايين من أجهزة الاستقبال (الراديو الفضائي)، ولا يحتاج التقاط إشارات القمر الصناعي إلى أطباق أرضية بل هناك هوائيات صغيرة مثبتة في كل جهاز راديو تلتقط الإشارة مباشرة، ويحمل كل قمر من الأقمار الصناعية حمزا موجهة، وتمثل كل منها المساحة التي تغطيها قناة إرسال واحدة.

وتعني إعادة إرسال البرنامج الإذاعي من قبل القمر الصناعي توسيعا كبيرا للمنطقة التي تغطيها محطة الإذاعة، حيث تغطي 14 مليون كيلو متر مربع لكل قناة إرسال، فيما تعطي في الوقت نفسه إشارة عالية النوعية تتراوح ما بين نوعية أفضل من البث على موجة ايه ام (AM) إلى نوعية تماثل صوت الإسطوانة الرقمية (سي دي CD).

حاليا توفر بعض الجهات خدمات البث الإذاعي الفضائي مع وجود عدد هائل من الإذاعات التي تبث عبر الأقمار الصناعية، ويتم التقاطها باللاقط التلفزيوني المنزلي، ولكن النوع المقصود هنا يتم التقاطه براديو مجهز أصلا لالتقاط الإشارات الفضائية مثل ورلدسبيس WorldSpace في أوروبا وآسيا وأفريقيا، وراديو اكس ام XM Radio وسيروس Sirius ، وهذه الخدمات وغيرها تقدم الأخبار والموسيقى والرياضة ومتابعة الطقس ، وغير ذلك الكثير من البرامج.

إذاعة الإنترنت

تم تطوير أولى إذاعات الإنترنت وهي Internet Talk Radio بواسطة كارل مالود Carl Malamud في عام 1993، وقد استخدمت هذه الإذاعة الناشئة تكنولوجيا ناشئة أيضا وقتها يطلق عليها: MBONE IP Multicast Backbone on the Internet. وفي فبراير من عام 1995 بدأ بث أول راديو إنترنت على مدار الساعة، وهو راديو Radio HK وكان يبث برامجه الموسيقية إلى فرق مستقلة، وقد أنشأه نورمان هاجار Norman Hajjar من معمل نيوميديا New Media Lab وهي شركة إعلانات في كاليفورنيا. قبل هذه الخدمة أعلنت محطة WXYC وهي راديو اف ام في تشرين الأول 1994 انطلاقتها على الشبكة ، وقد توالى انطلاق الإذاعات من النوعين بمرور الوقت في الولايات المتحدة ثم أوروبا التي بدأ فيها بث راديو فيرجين Virgin Radio من بريطانيا في مارس 1996 على مدار اليوم. ثم تلاحق تطور المبادرات الفردية ، فقد أطلق غاي جيوليانو Guy W. Giuliano في 1996 خدمة برامجية كاملة باسم GBS Radio Networks تطورت إلى خدمتين إذاعيتين في 1998 ، هما راديو بمب BombRadio وراديو لاود LoudRadio ليتيم شراؤها في ما بعد بواسطة مؤسسة إي ميوزيك Emusic.com بصفقة مالية ضخمة وقتها .

في عام 1999، أطلقت شركة اسمها BMP أداة برامجية تمكن أي شخص من بث برامج صوتية إذاعية في عشر دقائق باسم مايكاستر MyCaster وهي برمجة تعتمد على ملفات MP3 تمكن الفرد من إرسال المواد الصوتية، من موسيقى وغيرها إلى الآخرين، بينما يكون هو شخصا يستمع إليها، ويقوم البرنامج بمعالجة البث وتسجيل الصوت في قائمة خاصة ضمن موقع البرنامج نفسه، ليسمح لمن ليس لهم خبرات فنية متعمقة بتقديم المواد الصوتية بأصواتهم، وإنشاء إذاعاتهم الخاصة بهم، ولكن هذا البرنامج ذهب بانهيار فقاعة الإنترنت في عام 2001.

الراديو الفضائي
يتم التقاطه بجهاز
معد أصلا لالتقاط
الإشارات الفضائية
مثل ورلدسبيس
في أوروبا وآسيا
وأفريقيا، وراديو
اكس ام وسيروس.

نظم البث الإذاعي في الإنترنت

بجانب نظام البث بواسطة تكنولوجيا الند للند Peer to peer والذي يطلق عليه أيضا البيركاستنغ Peercasting ، يوجد نوعان من طرق البث الإذاعي، أحدهما البث المتدفق، والنوع الثاني البودكاستنغ Podcasting ، وهو طريقة مستحدثة تنتشر بسرعة حاليا في شبكة الإنترنت .

ونقدم هنا شرحا مفصّلا للطريقتين، ونبدأ بنظام البث المتدفق، علما بأن البودكاستنغ يختلف عن راديو الإنترنت، فالأول يتم الحصول على محطاته بطريقة أشبه بما يتم في الراديو التقليدي، أي بتحريك موجّه الموجات وبالبث عن الإذاعة المعنية، أما البودكاستنغ فهو بالدخول إلى مواقع معيّنة ونقل مواد صوتية منها إلى جهاز المستخدم ثم الاستماع إليها.

راديو الويبكاست

هذا النوع من البث يطلق عليه بشكل عام الويبكاست¹⁶ Webcast وقد كان وراءه بريان رايبلا Brian Raila منذ عام 1989، وقدمه في منتصف التسعينيات، ويمثّل نمطا للبث الإذاعي والتلفزيوني الحي عبر الإنترنت، باستخدام نظام تكنولوجيا البث المتدفق أو طريقة الانسياب لنقل مادة واحدة لتوزيعها تزامنيا للمستمعين والمشاهدين في الشبكة، ويعرف بالإنجليزية هكذا :

. Transmission of linear audio or video content over the Internet

تعبير الويبكاست الذي نحتة في 1988 الروائي دانييل موران Daniel Keys Moran في روايته Armageddon Blues تستخدمه جهات معتبرة وقانونية للمنظمة الدولية للملكية الفكرية (الوايو) وتمنح بموجبه بعض الجهات تصريحا خاصا للبث Webcasting licenses للذين يرغبون في بث مواد صوتية ومواد فيديو عبر الإنترنت بشكل قانوني، وتبث به الجهات ذات السمعة في مجالات مختلفة، مثل البي بي سي BBC والسي ان ان CNN وراديو وتلفزيون الأمم المتحدة وآلاف الجهات من مثيلاهم.

وتعتبر تكنولوجيا البث المتدفق أو طريقة الانسياب Streaming في الإنترنت هي أهم الطرق الأكثر شيوعا للبث الصوتي وبث إذاعة الإنترنت، وهي تمثّل بديلا عن الصوت المسجل، مثلما هو الحال في ملفات واف WAV files والتي لا تبدأ في العمل حتى يتم وصول جميع مكونات الملف. فبدلاً من إرسال إشارات ثابتة، ترسل المحطة حزما سمعية عبر الإنترنت لتصل إلى الكومبيوتر، وفي العادة تنتقل الحزم عبر موجات منفصلة لتصل إلى الكومبيوتر، وقد تصل غير مرتبة ويعمل الكومبيوتر على تخزينها بداية، بدل تشغيلها كي يستقبل قادراً كافيا لشغل مساحة زمنية تكفي لوصول أية حزمة متأخرة، قبل أن يحين دورها. وتحمل كل حزمة رقما خاصا ليتم ضغط البيانات التي تحملها بهدف التوصيل الأسرع. وعندما يستقبل الكومبيوتر الحزم يعيدها إلى حجمها الطبيعي أو يعيد صياغة البيانات، ثم يقوم بتشغيلها بترتيبها الصحيح. والنتيجة نفس المعلومات التي تصل بالإشارات الثابتة.

وتعتبر تكنولوجيا الضغط المعروفة بـ: MP3 هي الأكثر شعبية في إتمام هذه العملية، وتليها في الأهمية طريقة أوغ فوربيس Ogg Vorbis، والتكنولوجيا الخاصة بمايكروسوفت Windows Media Audio، ونظام

البث عن طريق
البودكاستنغ يختلف
عن إذاعة الإنترنت،
فالأول يتم الحصول
على محطاته
بطريقة أشبه بما
يتم في الإذاعة
التقليدية.

ريل أوديو RealAudio. ويتم بث البتات بواسطة بروتوكول الإنترنت TCP/IP ثم تتم إعادة تجميعها وتشغيلها، كما ذكرنا، خلال ثوان معدودة. لذا، فإن راديو الإنترنت يعمل متأخرا عدة ثوان من بداية البث. وتتم عملية البث المتدفق بوجود ثلاثة مكونات رئيسية، هي:

- مصدر نظام البث الصوتي Audio stream source
- أداة إعادة البث (الملقم) - server Audio stream repeater
- مشغل البث Audio stream playback

وهناك العديد من الطرق لخلق مصدر أو ملقم لنظام البث الصوتي، مثل خدمة شاونتكاست Shou-cast التي تستخدم بكثرة لبث تسجيلات الإيم بي MP3. وتتضمن الطرق الأخرى تكنولوجيا يطلق عليها المصدر المفتوح Open source مثل ستريمكاست Streamcast، بجانب التطبيقات المجانية مثل أوغ فورييس التي أشرنا إليها. وهذه الملقمات تحمل قوائم لعشرات الآلاف من إذاعات الإنترنت تغطي مجموعة لا حصر لها من الأنواع البرمجية.

وتسهّل الملقمات عملية الإرسال وتوجيه البث إلى برامج التشغيل، فيما يتم استخدام أداة توجيه افتراضية Virtual tuner هي عبارة عن موقع يتولى تجميع الوصلات Aggregator Links المتصلة بإذاعات الإنترنت والمواد المذاعة حول العالم، وهذه طريقة شعبية منتشرة للاستماع، يقوم خلالها الموجّه الافتراضي بمساعدة المستمع للوصول إلى الإذاعة بسهولة بالنوع، واللغة، أو الموقع. فعندما يقوم المستمع بالضغط على وصلة الاستماع يقوم الموجّه الافتراضي بالاتصال بملقم إذاعات الإنترنت ليستمع إلى من يختار منها.

وللاستماع إلى إذاعة الإنترنت، يجب أن يحتوي الكمبيوتر على مودم بسرعة نقل جيدة، بالإضافة إلى اتصال مع الإنترنت وبطاقة صوت وسماعتين مناسبتين، مع وجود برامج تشغيل الملفات الصوتية والضيئية، مثل ريل بلاير Real player وبرنامج ميديا بلاير Media Player وغيرهما، ومتى تتوفر شروط النقل، فإن نوعية الصوت الناجمة تكون أحيانا أفضل من معظم محطات الراديو التقليدية، خاصة في حال عدم الاستخدام الإضافي للإنترنت في أي عمل آخر أو تصفّح مواقع أخرى. أما في حالة الاستخدام المزدوج للشبكة، وكان تدفق الصوت يشغل حزم الذبذبات Bandwidth المتوفر كله، فإنه ينجم عن ذلك بعض الأثر السلبي في الصوت مثل حدوث اختناق وسماع تقطعات ووقفات في الإرسال.

للاستماع إلى إذاعة الإنترنت ، يجب أن يحتوي الكمبيوتر على مودم بسرعة نقل جيدة واتصال مع الإنترنت وبطاقة صوت وسماعتين مناسبتين وبرامج تشغيل الملفات الصوتية

المراجع

1 هناك الكثير من الادعاءات في شأن أول بث إذاعي لصوت بشري عبر الهواء. ولكن أغلب المؤرخين، يُرجعون الفضل إلى الفيزيائي الكندي المولد، ريجنالد فنسندن، الذي تحدّث، عام 1906، بواسطة موجات الراديو، من برانت روك، في ماساشوسيتس، بالولايات المتحدة الأمريكية، إلى سفن مبحرة في المحيط الأطلسي. كذلك، كان للمخترع الأمريكي، إدوين أرمسترونج، إسهامه الكبير في تطوير مستقبلات الإذاعة؛ إذ طوّر، عام 1918، الدائرة المغايرة الفوقية، من أجل تحسين الاستقبال في المذياع؛ ذات قدرة اختيارية عالية، ولا تزال تستخدم حتى اليوم. وأخيراً، طوّر أرمسترونج، عام 1933، البثّ الإذاعي، بتضمين التردد.

2 انظر ميتشل ستيفنس :

Mitchell Stephens. History of Newspapers. Collier's Encyclopedia. University of New York <<http://www.nyu.edu/classes/stephens/Collier's%20page.htm>> Accessed May 2006.

3 ميتشل ، على :

Mitchell Stephens . History of Radio. How the Earlier Media Achieved Critical Mass: Radio; From Dots and Dashes To Rock and Larry King .The New York Times Nov. 20. 1995. P 5.

4 Stephens . History of Radio. ibid.

5 ولد نيكولا تسلا Nikola Tesla في سنة 1856 في كرواتيا، ودرس الهندسة في المعهد الفني بالنمسا Austrian Polytechnic School وعمل في الهندسة الكهربائية في بودابست، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة ليعمل منذ 1884 مع توماس إديسون وتوفي في 7 يناير 1943 بنيويورك وقد ترك الكثير من المخترعات، أهمهما يدخل في عمل الراديو ولكمية الإضاءة المعروفة بالفلورسنت.

6 انظر :

Chris Woodford ,Digital Technology (Science in Focus).Chelsea House Publications; 1 edition 2006.

7 Woodford. ibid.

8 Woodford. ibid.

9 انظر :

Robert L Hartwig,Basic TV Technology, Digital and Analog (Media Manuals).Focal Press USA 2005.

10 Hartwig. ibid.

11 Hartwig. ibid

12 Hartwig. ibid

13 الراديو الرقمي.. تقنية واعدة ، الشرق الأوسط ، الثلاثاء 27 جمادى الأولى 1428 هـ 12 يونيو 2007 العدد 10423

14 ا. د. عوض بن خزيم آل سرور الأسمرى ، الراديو الرقمي .. ما له وما عليه ، الاقتصادية الإلكترونية . . http://www.aleqt.com/2009/10/23/article_292003.html

15 سعود كاتب ، الإعلام القديم والإعلام الجديد، هل الصحافة القديمة في طريقها للانقراض ؟ <http://www.ekateb.net>

16 حول الويبيكاست ، انظر :

<Webcast. Webopedia. <<http://www.webopedia.com/TERM/W/Webcast.html>

قنوات الأطفال العربية الواقع وآفاق التطور

د. هبة شاهين
جامعة عين شمس - مصر

يصف العديد من الباحثين ارتباط الأطفال بالتلفزيون بمصطلح «الإدمان التلفزيوني» وبصفة خاصة بالنسبة إلى الأطفال دون سن المدرسة ممن يمثلون الشريحة الأوسع مشاهدة للتلفزيون، مقارنة بالمجموعات العمرية الأخرى، وتشير التقارير إلى أن أطفال ما قبل المدرسة يمضون أكثر من ثلث ساعات يقظتهم في مشاهدة التلفزيون. (2)

تؤدي برامج وقنوات الأطفال التلفزيونية دوراً هاماً في تكوين شخصية الطفل وتزويده بالمعارف والأفكار لتقدم عوالم يسعى الطفل إلى معرفتها، مما يساهم في توعيته وثقافته وإمتاعه وتوسيع مداركه وآفاقه العلمية والفكرية وبلورة شخصيته. وتؤكد معظم الدراسات التي أجريت على الأطفال ارتفاع معدلات مشاهدتهم لبرامج وقنوات الأطفال. (3)

تشير الدراسات إلى دور البرامج والقنوات التلفزيونية في توجيه سلوك الأطفال الذين يقضون وقتاً طويلاً أمام الشاشات التلفزيونية يعادل الوقت الذي يقضونه في المدرسة، بحيث يمكن النظر للتلفزيون بوصفه مدرسة أخرى في حياة الطفل، تضاف إلى مدرسة البيت والمدرسة التعليمية التقليدية.

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، فيها يتم تكوين ملامح شخصيته، حيث تتشكل القيم والعادات والاتجاهات وتنمو الميول والاستعدادات ويتخذ مسار نموه الجسمي والعقلي والاجتماعي والوجداني. ويعتمد الطفل إلى حد كبير على عوامل التنشئة الاجتماعية، لاسيما الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام في ما يكتسبه من معارف وعادات. ويعتبر التلفزيون من أقوى وسائل الاتصال الجماهيري على الأطفال، لما تتميز به برامجه وقنواته من قدرة على تجسيد الأفكار والمعلومات والخبرات للأطفال في مشاهد متكاملة تعتمد على الصورة الحية والصوت والألحان والمؤثرات الصوتية والألوان والحركة لجذب الانتباه وإثارة الاهتمام وإضفاء مزيد من الواقعية.

يتزايد تأثير القنوات التلفزيونية في الأطفال بالنظر إلى قابليتهم للتأثر والتوجيه وارتفاع معدلات مشاهدتهم للتلفزيون بوصفهم الفئة الأكثر مشاهدة وفقاً لطبيعتهم البيولوجية والنفسية، وهو الأمر الذي أطلق عليه الناقد الإيطالي داكاتالانو صفة «عبيد التلفزيون» قياساً بطول الساعات التي يقضيها الأطفال أمام شاشات التلفزيون خصوصاً ممن تقل أعمارهم عن السادسة عشرة. (1)

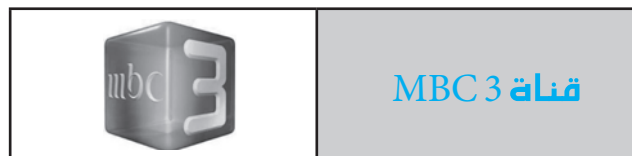
يمثل الأطفال الفئة الأكثر مشاهدة للبرامج والقنوات التلفزيونية، خاصة ممن تقل أعمارهم عن 16 سنة

للأطفال من مختلف الأعمار وبرامج المسابقات المثيرة والكارتون، بالإضافة إلى مجموعة من الأفلام الوثائقية التعليمية والثقافية التي تعكس الثقافة والقيم العربية، تم إغلاق القناة عام 2007 في إطار تصفية مجموعة القنوات التابعة للشبكة، حيث بيعت «قناة الموسيقى 5»، لمجموعة روتانا السعودية الشريكة لart، وانتقلت ملكية قنواتها الرياضية إلى شبكة الجزيرة الرياضية في 2009، تم بيع قنوات: الأفلام والحكايات لمجموعة Orbit Showtime Network (9).



شرعت قناة النيل للأسرة والطفل في بث إرسالها يوم 31 مايو 1998، بدأ البث الرسمي للقناة مع أوائل أكتوبر 1998، وتبث قناة النيل للأسرة والطفل 14 ساعة إرسال يومياً. وهي تهدف إلى تقديم برامج تخدم الأسرة وتساهم في التوعية الصحية والنفسية والسلوكيات وتربية الأطفال، وخاصة الأطفال الموهوبين وذوي الحاجات الخاصة، بالإضافة إلى تعريف أطفال الأمة العربية بالثقافات المختلفة في الوطن العربي والعالم. (10)

تتبع قناة النيل للأسرة والطفل قطاع قنوات النيل المتخصصة باتحاد الإذاعة والتلفزيون المصري، ويتم تمويل القناة من خلال ميزانية الاتحاد. تقوم الاستراتيجية العامة لقناة النيل للأسرة والطفل على أن القناة جزء من الأسرة المصرية والعربية تلعب مع أطفالها وتساعد في أعمال المنزل وتضحك مع الجميع لتصنع جواً إنسانياً أسرياً مرحاً تدوب فيه المعرفة والثقافة والعلوم والرياضة. (11)



أطلقت مجموعة MBC قنواتها MBC 3 في عام 2004، وتعدّ هذه القناة متخصصة في البرامج والمسلسلات الكرتونية للأطفال. كما أنها تستهدف الجيل الجديد من المشاهدين الصغار لتقدّم لهم برامج الكارتون والمغامرات العلمية وبرامج الأطفال المختلفة. تعمل قناة MBC 3 على إشاعة المتعة والفائدة للأطفال

وتتفوق مدرسة التلفزيون لكونها الأكثر حيوية والأقرب إلى قلب الطفل، فهي مدرسة غنية بالمعلومات لا تغلق أبوابها ولا يتغيب معلّموها وتتسم بالنشاط والحيوية والترفيه. (4)

تناولت عدّة دراسات عربية وأجنبية موضوع تأثيرات التلفزيون على الأطفال، سواء كان التأثير مباشراً أم غير مباشر، إيجابياً أم سلبياً في إطار فهم الدور الذي يقوم به التلفزيون في مجال تنشئة الطفل، وفي إطار دراسات الاتصال وعلم النفس والتربية والاجتماع. (5)

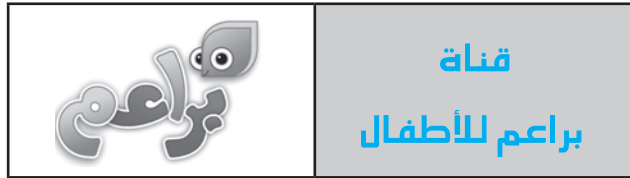
خطت الكثير من المؤسسات العربية خطوة هامة في مجال إنتاج أعمال متكاملة للأطفال عبر القنوات الفضائية المتعددة، واتسعت فرص التعرض للقنوات الفضائية والاختيار بالنسبة إلى الأطفال من خلال كمّ كبير من القنوات التي تقدّم برامج الأطفال متميزة بالإثارة والجاذبية. (6) ونضجت التجربة بإطلاق قنوات متخصصة للأطفال شرعت في إنتاج عربي متخصص للطفل لمواجهة طوفان الإغراق للبرامج التلفزيونية المنتجة في الخارج والمعروضة على شاشات القنوات العربية والتي تهدد الأنساق الثقافية والقيمية للمجتمع العربي، ويوصف الطفل العربي أساس مستقبل الأمة العربية ومكمن تطورها. (7)

وفيما يلي تعرض الدراسة نماذج من قنوات الأطفال العربية لرصد واقعها واستشراف مستقبلها.



بدأت شبكة راديو وتلفزيون العرب بث إرسالها من روما في أكتوبر 1993، وتمتلكها مجموعة دلة البركة السعودية بهدف تقديم خدمة إعلامية للعرب والمسلمين حول العالم. تعتبر شبكة ART أولى الشبكات العربية التي تمدّ أعضاء الأسرة من مختلف الأعمار والاهتمامات بمجموعة من القنوات المتخصصة. ضمّت قنوات راديو وتلفزيون العرب مجموعة من القنوات المتخصصة في الأفلام والسينما والرياضة والموسيقى والمنوعات والأطفال. (8) تمثّل قناة ارتينز أول قناة عربية متخصصة للأطفال، تنتمي إلى مجموعة ART (راديو وتلفزيون العرب)، قدّمت قناة ارتينز الترفيه

والاطلاع على ما يحترم عقولهم. تعرض القناة برامجها باللغة العربية الفصحى لتخاطب الأطفال العرب داخل الوطن العربي وفي أوروبا. وهي تمتلك عدة مكاتب إقليمية في كل من: القاهرة والرباط وعمّان وبيروت وباريس، فضلاً عن مقرّها الرئيسي بالمدينة التعليمية في الدوحة. تنتج قناة الجزيرة للأطفال حوالي 60% من البرامج التي تبثها على مدى 20 ساعة يومياً، وتنتقي بقية برامجها من السوق العالمية للإنتاج والتوزيع. وتقدّم برامج متنوعة تضمّ المجالات التربوية والألعاب الترفيهية والرسوم المتحركة العالمية، وكذلك برامج حوارية مع الأطفال. موقعها الإلكتروني jccvtv.net وهو موقع تربوي ترفيهي متعدد الوسائط. (14)



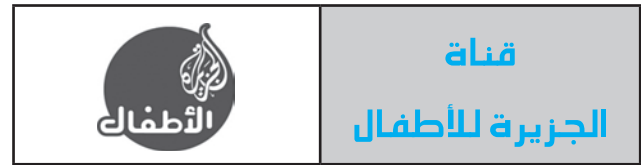
تعدّ «براعم» قناة أطفال ما قبل المدرسة، وتمثّل أول قناة عربية مصمّمة وموجهة إلى هذه الشريحة العمرية، وتمتلكها مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع. ترافق هذه القناة يومياً الأطفال دون سنّ السادسة. وتصمّم مختلف برامجها المنتجة في القناة أو المنتجة من شركات الإنتاج العالمية كي تساهم في تقوية مدارك الأطفال وتعزيز قدرة استيعابهم للأشياء المحيطة بهم. وتسعى «براعم» إلى تقديم مضمون تلفزيوني تربوي لتعلّم الكتابة والحساب والتألف مع البيئة وتمييز الأشكال والألوان. (15)



تعتبر قناة تلفزيون «سبيس تون» إحدى القنوات العربية المتخصصة في الرسوم المتحركة وبرامج الأطفال، وتتخذ شعار «قناة شباب المستقبل». وقد بدأ بثها في مارس/أذار عام 2000 بفترة أطفال ضمن تلفزيون البحرين الحكومي، وانطلقت كقناة مستقلة في شهر يونيو 2001. يوجد للقناة مقرّان: الأول في دمشق والثاني افتتح في 2004 بدبي. تبث قنوات سبيس تون عدة قنوات: قناة «سبيس تون العربية» وقناة «سبيس تون الإنجليزية» التي أغلقت في 1/ 1/ 2011 وقناة «سبيس تون راديو» وكذلك «سبيس باور»

من خلال ما توفّره من مضمون إعلامي يعبر عن واقع الطفل العربي لتحقيق التعلّم والثقيف وتقديم للترفيه والتسلية والمساعدة على اكتشاف المهارات وتطوير القدرات وتنمية الإبداعات عن طريق برامجها المتنوعة الموجهة إلى الأطفال والتي تتناول مسلسلات الأكشن والمغامرة والكوميديا والأفلام العائلية.

إنّ لقناة 3 MBC موقعاً إلكترونياً يسمح بمشاهدة برامجها التلفزيونية، ويضمّ هذا الموقع منتديات تفتح المجال للتعبير عن الآراء والأفكار، وتتيح التواصل مع أطفال من نفس العمر تجمعهم ميول واهتمامات مشتركة، بالإضافة إلى القصص المصوّرة التي تساعد في التعرف على القدرات الإبداعية الأدبية، والألعاب الإلكترونية التي تحقق التسلية والترفيه الهادف، ونادي الأطفال الذي يدعم ويشجع المواهب والقدرات الإبداعية، علاوة على الألغاز التي تختبر الذكاء والنكت التي ترسم البسمة، والأمثال التي تكرّس القيم. (12)



بدأ بث قناة الجزيرة للأطفال في 9 سبتمبر 2005، وتبث إرسالها من المدينة التعليمية بالعاصمة القطرية الدوحة، وتتخذ القناة شعاراً «من العين إلى القلب». تهدف القناة إلى فتح الأفق أمام الأطفال العرب وتعزيز تواصلهم مع بيئتهم العربية وما يحدث في أرجاء العالم، بالإضافة إلى تطوير مهارات الأطفال والاستفادة من وقت الترفيه لتلقي المعلومة المفيدة بأسلوب مبسّط ومحجّب في إطار مفهوم التربية الترفيهية. تمّ إطلاق قناة الجزيرة للأطفال ضمن شراكة بين مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع وشبكة الجزيرة الفضائية وبالتعاون مع المؤسسة الاستشارية الفرنسية «الجاردير ايماج الدولية» لنشر مفهوم التربية الترفيهية. (13)

تعتبر قناة الجزيرة للأطفال إحدى القنوات العربية التربوية الترفيهية الموجهة إلى الأطفال بين سنّ 7 و15 عاماً، وتخطب جمهوراً واسعاً من المشاهدين في العالم العربي عبر الشاشة التلفزيونية والإنترنت. يجمع مضمون القناة بين التربية والترفيه بحيث يجد الأطفال قناةً تحاورهم وتحترم حقهم في المعرفة

و«سببس تون» الفارسية. (16)

تمتلك القناة موقع سببس تون spacetoon.com الذي يبتّ الأخبار التي تتعلق بمجال الكواكب وأبطاله بما يثري لغة الطفل وثقافته من الناحية العلمية واللغوية، كما يضم مركز الألعاب، ويشمل مجموعة من الألعاب الترفيهية التي تتناسب مع مختلف أعمار الأطفال واهتماماتهم، بالإضافة إلى القصص التفاعلية والألعاب التعليمية التي تثري ثقافة الطفل علمياً ولغوياً واجتماعياً، ويتيح الموقع فرصة تواصل الطفل مع أقرانه ومن هم في مثل سنّه، ضمن بيئة تفتح له مجال التعبير عن مكنوناته والتعرف على أشخاص جدد وتطوير مهارات التواصل لديه من خلال المنتديات والبريد الإلكتروني. تصدر «سببس تون» عدداً من مجلات الأطفال منها: مجلة سببس تون، مجلة فتيات ومجلة همثارو وفلة ومجلة فيفي ومجلة دراغون بوستر ومجلة سبايدر مان.



تمثّل شبكة قنوات «المجد» مجموعة قنوات فضائية سعودية متنوعة ذات ضوابط شرعية إسلامية. بدأت بثها بتاريخ 6 نوفمبر 2002 الموافق 1 رمضان عام 1423 هـ، استمر البث التجريبي للقناة ستة أشهر، وفي 1 / 3 / 1424 هـ بدأت القناة بثها الرسمي. تضم شبكة قنوات المجد مجموعة من القنوات منها: قناة المجد العامة، قناة المجد للقرآن الكريم، قناة المجد للحديث النبوي، وتمتيز هذه القنوات بالاستقبال العادي المجاني، أما باقي قنواتها فتتطلب مشاهدتها الاشتراك في باقة قنوات المجد وتشمل: المجد العلمية، الخدمة الإخبارية (العالم اليوم)، المجد الوثائقية، المجد الطبيعية، المجد فكر والعب، المجد الصيفية، المجد الربيعية، المجد الرمضانية، ماسة المجد، كما تضم باقة قنوات المجد عدة قنوات تلفزيونية وإذاعية للأطفال منها: راديو دال، المجد للأطفال، بسمة للأطفال،

روضة الأطفال. (17)

تعدّ قناة المجد للأطفال إحدى قنوات شبكة المجد الفضائية، وتبث برامج للأطفال وكذلك بعض المسابقات والأنشيد. بدأ بثها التجريبي في غرة ذي الحجة 1424 هـ الموافق 23 يناير 2004، وتقدّم عدداً من البرامج والمسابقات الموجهة إلى الطفل المسلم، وتتضمن برامجها أنشيد للأطفال توجههم إلى الأخلاق الفاضلة التي يحث عليها الدين الإسلامي بصور كرتونية أو برسوم ثلاثية الأبعاد، بالإضافة إلى برامج القصص والمسابقات الحركية والثقافية وبرامج العب وتعلّم وفوازير رمضان.



تعتبر قناة «بسمة» للأطفال إحدى قنوات شبكة المجد الفضائية، وهي قناة متخصصة بالرسوم المتحركة، وشعارها (بسمة.. بسمة كلمة ورسمه)، قدّمت القناة عدداً من مسلسلات الرسوم المتحركة وتبث على مدار 24 ساعة.



قناة روضة هي إحدى قنوات شبكة المجد الفضائية، وهي تمثّل رابع قناة تطلقها المجد للأطفال، وتخصص في بث برامج للأطفال في سنّ الروضة وقبل سنّ المدرسة ما بين سنتين إلى خمس سنوات، يتم إنتاج برامجها في المركز الإقليمي لقناة المجد بالقاهرة، فضلاً عن بعض وحدات الإنتاج بالرياض، وقد تمّ افتتاح قناة روضة في الخامس عشر من ذي الحجة عام 1429 هـ.



هذه القناة هي إحدى القنوات المتخصصة في برامج الأطفال، بدأ بثها يوم 25 يناير 2008 باللغة العربية، ويوجد مقرّها في عمّان بالأردن، وتبث إرسالها من البحرين، وتقدّم أنشيد وأغاني للأطفال. (18)



قناة سحر للأطفال

تعمل هذه القناة على تنمية أطفال المجتمع العربي الكبير وغرس القيم الإسلامية النبيلة فيهم، والأخذ بأيديهم نحو تطوير الذات واكتشاف القدرات وتعلّم المهارات بعيداً عن التلقين. وتمتلك القناة موقعاً إلكترونياً تفاعلياً يضم مجموعة من الألعاب والمعلومات للأطفال العرب. (21)

من خلال رصد نماذج لقنوات الأطفال الفضائية العربية، تثار عدّة تساؤلات ملحة حول مدى تلبية قنوات الأطفال الفضائية العربية لحاجات الطفل العربي، بالنظر إلى تعدد قنوات الأطفال الفضائية العربية؟

فهل تمكّنت فضائيات الأطفال العربية من تلبية حاجة الطفل المتابع ومنحه المعلومات السليمة والترفيه الملائم؟ وهل ساعدت القنوات العربية المختصة بالأطفال في توجيهه والتسليّة الهادفة؟

تشير إجابات الأسئلة السابقة من واقع الدراسات التي أجريت حول علاقة الأطفال العرب ببرامج وقنوات الأطفال العربية إلى العديد من المشكلات التي تواجه قنوات الأطفال الفضائية العربية، رغم كل التطورات التي تشهدها قنوات الأطفال الفضائية العربية، ومنها:

1 - عدم تكامل القيم: تقدّم قنوات الأطفال العربية مجموعة متنوعة من القيم الاجتماعية والمعرفية والشخصية والاقتصادية، لكنها تهمل العديد من القيم الأخرى، كالقيم السياسية التي تنمّي حب الوطن، كما تغفل التكامل بين القيم المقدّمة وتعتمد على التلقين وعدم مراعاة المبادئ التربوية التي تقوم على إكساب الأطفال القيم عن طريق اللعب.

2 - شيوع العنف من خلال برامج الأطفال المليئة بالإثارة والعنف، والتي تؤدي إلى السلوك العدواني للطفل تجاه الآخرين نتيجة تكرار مشاهدة العنف.



قناة أجيال

تشكّل قناة أجيال للأطفال إحدى القنوات السعودية التربوية الترفيهية الموجهة إلى الأطفال بين سنّ 7 و15 عاماً، وهي تخاطب جمهوراً واسعاً من المشاهدين في العالم العربي وأوروبا عبر الشاشة التلفزيونية والإنترنت. بدأت قناة أجيال للأطفال بثها يوم 9 سبتمبر 2009 بصورة مفتوحة عبر الأقمار الصناعية، ويغطي بثها التلفزيوني العالم العربي وأوروبا. كما تُوزّع من قبل بعض شركات الكيبل في أوروبا. وتقدّم العديد من البرامج والأفلام الكرتونية، وتعتمد في بث الرسوم المتحركة على التنوع من مختلف الفئات والرسوم يومياً. قامت القناة ببث الرسوم المتحركة من شركة ديزني ومركز الزهرة من الرسوم المتحركة القديمة والجديدة. وتهدف قناة أجيال للأطفال إلى ترسيخ الهوية العربية والإسلامية، ودعم التخاطب والتحاوّر ومعرفة الآخر والتعلّم والاكتشاف والترفيه. وتعرض برامج متنوعة تضم المجالات التربوية والألعاب الترفيهية والرسوم المتحركة العالمية، كما تقدّم برامج حوارية مع الأطفال، أنشأت موقعها الإلكتروني، وهو موقع تربوي ترفيهي متعدد الوسائط. (19)



قناة سميم

هذه القناة العربية تخاطب الطفل العربي المسلم ما بين 3 - 15 سنة، وتسعى إلى إفادة الأطفال وإمتاعهم وحسن تربيتهم، وترسيخ مبادئ الإسلام السمحة وتنمية مهارات الأطفال ومعارفهم. كما تهدف إلى التعريف بالدين الإسلامي والاعتزاز بالانتماء إليه وإيجاد بديل إسلامي مأمون للقنوات غير الهادفة الموجهة إلى الطفل العربي المسلم، بالإضافة إلى التعريف بحاضر العالم الإسلامي وتنمية الروابط الإسلامية بين أطفال المسلمين والتشجيع والتدريب على المشاركة الإيجابية في نشاطات الحياة المختلفة وتنمية الذائقة الجمالية المنضبطة بضوابط الشريعة الإسلامية وإثراء المخزون المعرفي للطفل وتحفيزه على الإبداع والابتكار. (20)

وتطرح الدراسة مجموعة من التوصيات بشأن تطوير قنوات الأطفال الفضائية العربية تتناول:

- ضرورة التقييم المستمر لمحتوى برامج وقنوات الأطفال العربية، بحيث تراعي طبيعة جمهور الأطفال وخصائصه العمرية واللغوية والثقافية والمعرفية.

- ترشيد انتقاء برامج الأطفال الأجنبية والابتعاد عن البرامج المليئة بالعنف والسلوكيات السلبية.

- دعم الإنتاج العربي المشترك في مجال برامج الأطفال لسدّ النقص في ساعات الإرسال الممتدة للقنوات العربية الموجهة إلى الأطفال.

- تفعيل دور الأسرة في توجيه الطفل العربي إلى كيفية

الانتقاء وتهذيب سلوكه، بالإضافة إلى إجراء الدراسات المستمرة لتقييم تأثير قنوات الأطفال العربية في جمهور الأطفال.

- الاستعانة بالمتخصصين في علم نفس الطفل وعلم اجتماع الطفل والخبراء، من تربويين وإعلاميين متخصصين للإشراف على مضمون قنوات الأطفال العربية. (24)

- مراعاة طبيعة جمهور الأطفال وخصائصه العمرية والجنسية والثقافية، من خلال تنوع برامج الأطفال وتباينها لتلبية احتياجات الأطفال ذوي الخصائص العمرية والعقلية والعاطفية والبيئية المختلفة.

- الابتعاد عن بث المناظر المثيرة التي تحوي أساليب العنف، ومراعاة استخدام الخيال المرتبط بالبيئة، فضلاً عن تدريب الأطفال على الطرق المنطقية في التفكير. (25)

- استخدام اللغة العربية الفصيحة بشكل يناسب قدرة الأطفال اللغوية.

- ارتباط البرامج بواقع حياة الأطفال العرب حتى يظلوا مرتبطين ببيئتهم، منتمين إلى حضارتهم العربية والإسلامية. (26)

3 - الانحياز لمشكلات فئة معيّنة، بما يبرز ضعف البرامج المحلية في ربط الطفل بمجتمعه وبيئته، والافتقار إلى معالجة مشكلات فئات محددة من الأطفال مثل: الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة.

4 - ضعف اللغة العربية وسوء استخدام اللغة المليئة بالعبارات والألفاظ الدخيلة، فضلاً عن النطق المنحرف للألفاظ وشيوع العامية، مما يؤثر على لغة الأطفال الذين يلتقطون الكلمات ويرددونها في ظل التأثير التلفزيوني المتراكم.

5 - ضعف الإشراف التربوي: ويتمثل في عدم خضوع برامج وقنوات الأطفال العربية لإشراف تربوي يراعي خصائص واحتياجات الأطفال النفسية والاجتماعية والتربوية. (22)

6 - ارتفاع نسبة موضوعات الخيال في برامج وقنوات الأطفال العربية، مقارنة بموضوعات الواقع، ويبرز اعتماد غالبية أفلام الكارتون المعروضة على الشاشة الخيال المفرط كمادة أساسية لها، مما يضع أمام الطفل حلولاً غير منطقية للمشكلات، الأمر الذي يجعل الطفل يعيش في عالم الخيال بعيداً عن الخبرات الواقعية التي تهتم حياتهم ومجتمعه.

7 - تأثير برامج وقنوات الأطفال العربية بالثقافة الأجنبية في ظل استيراد البرامج من منشأ ثقافي يختلف عن الثقافة العربية الإسلامية، بما تحمله من أفكار وقيم وافدة، حيث تقدّم بعض قنوات الأطفال العربية البرامج البعيدة عن الثقافة العربية والإسلامية والعادات والقيم الأصيلة، عبر ثقافة غربية تعتمد على دبلجة الأفلام الغربية وعرضها على الشاشة العربية بلا حذف أو تعديل. (23)

8 - اهتمام معظم قنوات الأطفال العربية بالترفيه دون الاهتمام بالمحتوى والمعلومة. كما تتميز بعض القنوات بتقديم المعلومة المشبعة بالخيال غير المفيد، ما يؤثر على خيال الأطفال ويجعلهم في حالة من عدم فهم الواقع.

رغم تعدد القنوات العربية الموجهة إلى الأطفال، فإن الحاجة لا تزال تدعو إلى تطوير الأشكال البرمجية ومزيد الاهتمام بالمحتوى، مع ضرورة مراعاة طبيعة الجمهور المستهدف وخصائصه العمرية واللغوية والثقافية والمعرفية

المراجع:

- قنوات النيل المتخصصة (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، قطاع القنوات المتخصصة ، 1998)
- الإستراتيجية العامة لقناة النيل للأسرة والطفل ، خطة عمل غير منشورة (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، قناة النيل للأسرة والطفل ، 1998)
- 12 - لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر : <http://www.mbc3.mbc.net>
- <http://www.ar.wikipedia.org/wiki>
- 13 - لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر : صحيفة الأهرام ، 9 سبتمبر 2005 ص 48
- صحيفة الأهرام ، 11 سبتمبر 2005 ، ص 32
- 14 - <http://www.jcctv.net>
- 15 - <http://www.baraem.tv>
- 16 - <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 17 - <http://www.almajdtv.tv>
- 18 - <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 19 - لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر : <http://www.ajyal.tv>
- <http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 20 - <http://www.semsem.tv>
- 21 - <http://www.sokartv.com>
- 22 - باسم على حوامدة، سليمان محمد قزاقزة، أحمد رشيد القادري، شاهر ذيب أبو شريح، وسائل الإعلام والطفولة، (عمّان: دار جرير 2006)، ص 140 - 144
- 23 - صالح دياب هندي، أثر وسائل الإعلام على الطفل، (عمّان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2008)، 40 - 46
- 24 - حنان أحمد سليم عليوه، مرجع سابق، ص 1467-1511
- 25 - عبد الفتاح أبو معال، مرجع سابق، ص 113-115
- 26 - صالح دياب هندي، مرجع سابق، 2008، 46 - 47
- 1 - سمية متولي عرفات، استخدام الأطفال للقنوات الفضائية المتخصصة، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مجلد 9، عدد 3، يناير- يونيو 2009، ص 361-408
- 2 - منير فتح الله، الطفل وأجهزة الإعلام، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب 2005)، ص 140 - 141
- 3 - عربي عبد العزيز أحمد الطوخي، علاقة الطفل المصري ببرامج الأطفال في القنوات الفضائية الدينية، المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، مجلد 7، عدد 1، يناير- يونيو 2006، ص 403
- 4 - عبد الفتاح أبو معال، أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتثقيفهم، (عمّان: دار الشروق، 2006)، ص 88-87
- 5 - حنان أحمد سليم عليوه، اتجاهات الخبراء نحو تأثير برامج التلفزيون على الأطفال دراسة ميدانية، دراسة مقدّمة للمؤتمر العلمي السنوي التاسع لكلية الإعلام جامعة القاهرة تحت عنوان « أخلاقيات الإعلام بين النظرية والتطبيق»، الجزء الرابع، مايو 2003، ص 1467-1511
- 6 - هادي نعمان الهيتي، الإعلام والطفل، (عمّان: دار أسامة للنشر والتوزيع، 2007)، ص 108 - 109
- 7 - محمد رضا أحمد محمد، القيم والسلوكيات التي يعكسها الإنتاج المصري من الرسوم المتحركة الموجهة إلى الأطفال، دراسة مقدّمة للمؤتمر العلمي السنوي التاسع لكلية الإعلام جامعة القاهرة تحت عنوان « أخلاقيات الإعلام بين النظرية والتطبيق»، الجزء الرابع، مايو 2003، ص 1513 - 1553
- 8 - لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر: <http://www.art-tv.net/channels>
- ART , Arab Radio & Television (Cairo : Arab Radio & Television , Program Sales , 1997)
- 9 - <http://www.ar.wikipedia.org/wiki>
- الكتاب الإحصائي السنوي لاتحاد الإذاعة والتلفزيون 2009.
- (القاهرة : اتحاد الإذاعة والتلفزيون ، 2004) ، ص 123
- 11 - لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع انظر :

تطور دراسات جمهور وسائل الإعلام - من دراسات التأثير إلى دراسة التلقي -

د. حنان شعبان

أستاذة الإعلام بجامعة الجزائر

الدراسات التي أنجزت في ميدان بحوث الاتصال، لذلك العودة إليه ضرورية، لأنه يعتبر خلفية مهمة للتنظير والتأسيس للدراسات الحديثة وما بعد الحديثة خاصة ما تعلّق بتكنولوجيا الاتصال الحديثة التي تنطلق إما من خلفية سيكولوجية أو سوسيولوجية.

ينقسم هذا النموذج إلى مساهمات إمبريقية وأخرى نقدية، فالأولى كانت ترى أن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير بالغ وقوي لا يتعرّض لأي حاجز ومعوقات للتأثير في عقول الجماهير التي كان ينظر إليها بأنها تشبه الحشود وتتميز بالضعف ولا تملك أي مقومات للحماية من تأثيرات وسائل الإعلام.

فهو النموذج الذي يرى بأن تأثير الرسائل الإعلامية على الجمهور يتم في شكل خطّي (شاقولي)، حيث يستجيب من خلالها كل شخص بشكل مشابه تقريبا للرسائل الإعلامية التي تؤثر فيه مباشرة كما يؤثر سائل الحقنة في دم المريض (1).

إذن، فالطرح الإمبريقي الأمريكي ناشئ من النموذج التقليدي لـ Harold Lasswell - خاصة وأنه يبحث عن التأثير - ومن ثم فإن هذا النموذج ينظر إلى المتلقي بأنه سلبي، لا يملك القدرة على مواجهة الرسائل الإعلامية وفق ما يحتاج إليه لإشباع حاجياته

لقد تعدّدت المقاربات في تحديد ودراسة جمهور وسائل الإعلام، وذلك نتيجة لمجموعة من الجهود والدراسات والتحريات التي قام بها الباحثون في ميدان دراسات الجمهور، حيث توجّحت جهودهم بالوصول إلى مجموعة من النظريات تفسّر سلوك جمهور وسائل الإعلام.

لكن وكما نعلم، فإن دراسات الجمهور مرّت بتطورات ومراحل مختلفة، بداية من النظرة التقليدية فيما يتعلق بالتأثير المطلق (منبه - استجابة) وصولاً إلى المقاربات الحديثة والتي تدرس فعل التلقي (استنطاق المتلقي) في حدّ ذاته.

لكن، ولمعرفة الرهانات الحالية اللصيقة بدراسات الجمهور ودراسات التلقي تحديداً، لا بد من العودة والتذكير ببعض الأعمال المنجزة قرابة نصف قرن في حقل دراسات جمهور وسائل الإعلام، وهذا عبر المراحل التالية:

1 - نموذج التأثير : (Effect paradigm)

يعتبر هذا التوجه بمثابة الانطلاقة الحقيقية لميدان دراسة تأثيرات وسائل الإعلام على الجمهور، حتى وإن كان هذا النموذج يعتبر قديماً قد تجاوزه الزمن، إلا أنه يعدّ بمثابة الحلقة الأولى المشكّلة لسلسلة

الأمريكيين من أمثال: (هيرتا هيرزوج) و(روبرت ميرتون) و(بول لازار سفيلد) و(إيهو كاتز)، حيث قاموا بوضع منهجية بحث تجريبي لدراسات جمهور وسائل الإعلام توصلوا من خلالها إلى دحض النظرة المتشائمة لجمهور وسائل الإعلام (5). ومن بين هذه الجهود التي شكّلت قطيعة مع أنموذج التأثير المباشر؛ تلك التي قام بها Paul Lazar Sfeld في دراسته «اختيار الشعب»، إذ توّصل من خلال بحثه إلى مفهوم تدفق الاتصال على مرحلتين «Two step-flow of communication». حيث يعتبر أن الاتصال الشخصي يلعب دوراً مهماً في التأثير في آراء الجمهور ومواقفه أثناء الحملات الانتخابية، وذلك عن طريق قادة الرأي الذين يستطيعون أن يوثروا في الجمهور لتغيير مواقفهم (6).

وبالتالي، توّصلت هذه النظرة إلى الحد من فكرة التأثير البالغ لوسائل الإعلام، إذ أصبح ينظر إلى وسائل الإعلام بأنها لا تملك القوة الخارقة للتأثير في الجمهور؛ وإنما هناك عدّة عوامل تساهم في التأثير فيهم، وذلك من خلال العوامل الوسيطة كقادة الرأي والإدراك والانتقاء الاختياريين.

هذه القراءة المزدوجة فيما يتعلق بتأثير وسائل الإعلام، إمبريقية من جهة ونقدية من جهة أخرى، تعتبر لبنة الدراسات المتعلقة بتأثير وسائل الإعلام إلى غاية بداية الستينات، فالدراسات الإمبريقية تركّز على دراسة أثر وسائل الإعلام على المدى القصير والبعيد مستعينة بالسياق السياسي والاقتصادي والثقافي الذي يتدخل في تلقي الخطاب الإعلامي، أما الدراسات النقدية فتهتم بآليات التلاعب في عقول الجماهير، فكلتا المدرستين كان هدفهما الأساسي يتمثل في معرفة أو الكشف عن سلوك الجمهور ومواقفه تجاه الخطاب الإعلامي. وقد تعمّدتنا الوقوف عند خلفيات هذا التوجه لفهم التطوّر التاريخي لدراسات الجمهور ومعرفة كيف كانت له آثار في دراسات الجمهور لوسائل الإعلام الحديثة.

2 - دراسات استعمال وسائل الإعلام والإشباع :

لقد أدى إدراك نتائج الفروق الفردية والتباين الاجتماعي بين أفراد الجمهور، وإدراك السلوك المرتبط بوسائل الإعلام إلى ظهور منظور جديد للعلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام، وكان هذا

ورغباته، وإنما رسائل وسائل الإعلام هي التي تؤثر فيه (2). وانطلاقاً من هذا الاعتبار، فإن هذا النموذج يُقدّر القوة الهائلة التي تملكها وسائل الإعلام للتأثير في الجماهير، وذلك من خلال تقنيات الإقناع والإذعان لها، وبالتالي تحقيق الأهداف التي يصبو إليها مالكو وسائل الإعلام لأنها ترى في الجمهور بأنه كتلة متجانسة له نفس الاتجاهات والقرارات تجاه رسائل وسائل الإعلام.

النموذج ينقسم إلى مساهمات إمبريقية وأخرى نقدية، الأولى ترى أن تأثير وسائل الإعلام هو تأثير بالغ وقوي لا يتعرّض لأي معوقات للتأثير في عقول الجماهير

أما المساهمة الثانية فتتمثل في النظرية النقدية - مدرسة فرنكفورت - بزيادة كل من (أدورنو، هوركهايمر، ماركوز) وهي الأخرى تندرج ضمن أنموذج التأثير، إذ ترى هذه الأخيرة أنّ وسائل الإعلام تنتج صناعات ثقافية، وذلك من خلال اعتبارها أن وسائل الإعلام عبارة عن أدوات إيديولوجية في يد السلطات الحاكمة تؤثر تأثيراً مباشراً في عقول الجماهير، وذلك من خلال الكمّ الهائل من المحتويات التي تقدّمها والاستهلاك المكثّف من قبل الجماهير، حيث تستعملها السلطات لتخدير عقول الناس، وانطلاقاً من هذا المنظور، تعمل المدرسة النقدية على نقد الثقافة الجماهيرية التي ترى بأنها آلية للهيمنة على عقول الناس. فالمشاهدون ليسوا فاعلين حقيقيين وإنما سلبيون يتلقون المنتجات الثقافية ويستهلكونها بصفة نمطية (3)، وهذا ما ذهب إليه (ماركوز)، حيث يرى أنّ الصناعة الثقافية أنتجت مجتمعا ذا بعد واحد يكون الإنسان فيه تابعا وذلك من خلال تقمّصه لهذه الثقافة، وبالتالي فإنّ هذه التبعية تفسّر نجاح المنتج الثقافي أمام الجمهور الذي في حقيقة الأمر لا يختار، لكنّه معرّض لسيل هائل من الرسائل التي تؤثر فيه مباشرة (4).

علاوة على ذلك، فهناك الأبحاث التي تندرج ضمن تأثير وسائل الإعلام ولكن ليس تأثيراً مباشراً وإنما تأثير غير مباشر، وذلك نتيجة لمجموعة من الجهود التي قام بها بعض الباحثين

العمومي (المجتمع). وهذه الحاجيات والدوافع، ما هي إلا مجموعة من القوى النفسية التي تساعد على تحديد سلوك الجمهور (9)، ومن ثمَّ فإنَّ استخدام وسائل الإعلام مرهون بالتباين في الحاجات بين الأفراد، ويفسّر التباين في سلوك التعرض بالكثافة الشديدة أو التعرّض المحدود نتيجة عدم تلبية الوسيلة لحاجة أو حاجات لدى الفرد. وعليه، فإن هذه النظرية تجاوزت رؤية اعتبار الجمهور ككتلة هامة وسلبية ولا يتوفر على أية ميكانزمات دفاع في المستوى السيكولوجي والاجتماعي.

3 - الدراسات المرتبطة بالأبعاد الرمزية والسوسيو - سياسية لوسائل الإعلام:

يرتبط هذا التوجّه بدراسة وتحليل العلاقة التي تربط كلاً من بنية النظام السياسي والاقتصادي والإيديولوجي مع وسائل الإعلام، إذ أنّ الجديد الذي أتت به هذه الدراسات هو ذلك الاهتمام الذي ينصبّ على دراسة السياقات الاجتماعية التي يتم من خلالها تلقي الرسائل الإعلامية. ولقد ظهر هذا الاتجاه في تحليل الظاهرة الإعلامية ببريطانيا في إطار ما يسمّى بمدرسة برمنغهام «Ecole de Birmingham» التي تُعرف أيضاً باسم الدراسات الثقافية.

المدرسة النقدية تعمل على نقد الثقافة الجماهيرية التي ترى بأنها آلية للهيمنة على عقول الناس. فالمشاهدون ليسوا فاعلين حقيقيين وإنما سلبيون يتلقون المنتجات الثقافية ويستهلكونها بصفة نمطية

ومن بين الروّاد في هذا الاتجاه نذكر Stuart Hall الذي قدّم مساهمة فعّالة في مجال هذه الدراسات التي أعطت للإيديولوجية موقعا هاما في الدراسات الإعلامية (10). إذ شكّلت أعماله تحوّلاً جذريا، سواء فيما يتعلّق بالتحليل الوظيفي الأمريكي أو الاتجاه الماركسي بشكليه الكلاسيكي والمحدّث. وهذا ما أشار إليه Stuart Hall في مقاله الشهير الذي نشره عام 1973 تحت عنوان (الترميز/ فكّ الترميز)، حيث اعتبر أن صيرورة الاتصال التلفزيوني تمرّ بأربع مراحل مختلفة تتمثّل في: الإنتاج والتوزيع

تحوّلاً من فكرة الجمهور كعنصر سلبي إلى عنصر فاعل في انتقاء واختيار الرسائل والمضامين المفضّلة من وسائل الإعلام.

وبالتالي شكّل ذلك ردّ فعل لقوة وسائل الإعلام، أي نظرية التأثير المباشر، ونظرية انتقال المعلومات على مرحلتين.

إذ شكّل هذا النموذج قطيعة مع النموذج السابق (التأثير)، فابتداء من الخمسينات بدأ الاهتمام ينصبّ حول التساؤل التالي: ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ وليس ماذا تفعل وسائل الإعلام في الجمهور؟ وبالتالي أصبح الاهتمام يركّز على دراسة استعمال (Usage) الجمهور لوسائل الإعلام من أجل إشباع رغباتهم وتلبية حاجياتهم انطلاقاً من اختيارات عدة تمنحها لهم الوسيلة الإعلامية في حد ذاتها (7).

إذن، فقد كانت هذه الحجة «ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟»، ذات أهمية كبيرة في دفع النقاش إلى الأمام من خلال بداية التطلّع إلى المشاركة الفعّالة من جانب الجمهور في البرامج التلفزيونية. ولم يعد هناك حديث عن الآثار التي تخلفها وسائل الإعلام بقدر ما فتحت دراسات الاستعمال الباب أمام مسألة اختلاف الاستعمالات بين الجمهور. إذ لاحظ النقاد أنه يجب النظر إلى الجمهور من منظور فردي، وذلك في حدود الاختلافات بين الاستجابات الناجمة عن الفروق الفردية المكوّنة للشخصية في حدّ ذاتها (8).

ومن جهة أخرى، فإنّ نظرية الاستعمالات والإشباع تركّز على الأسباب الخاصة بالتعرض لوسائل الإعلام، أي كيف يستعمل الناس وسائل الإعلام، إذن الجمهور ليس سلبيا، كما كانت تنظر إليه دراسات التأثير وإنما فاعل حقيقي يختار ما يتماشى معه انطلاقاً من مبدأ التعرّض والإدراك الانتقائيين، أي استعمال وسائل الإعلام لأغراض (وظائف) مختلفة (التسلية، التعليم، الإعلام... إلخ). إلا أنّ هذه الوظائف تتحكّم فيها حاجات ودوافع التي تعتبر من العوامل المحرّكة للأفراد للتخفيف من أعباء الحياة اليومية ولتحقيق التوازن النفسي الذي يساعد على الاستمرار مع الغير. وهذا من خلال الحديث الذي يجري مع أعضاء المجتمع أو ما يطلق عليه الانتقال من الفضاء الخاص (الفردية) إلى الفضاء

في الوقت نفسه عبر تفسير الكيفية التي تعمل من خلالها الرسائل الإعلامية والجمهور في إنتاج أنظمة للرموز والرسائل المشتركة؛ وذلك عن طريق تفسير بعض الأنماط السلوكية والاستهلاكية والثقافية التي يركّز عليها التلفزيون وعلاقتها بالعالم المعيش (18).

أصبح يُنظر إلى وسائل الإعلام بأنها لا تملك القوة الخارقة للتأثير في الجمهور؛ وإنما هناك عدة عوامل تساهم في التأثير فيهم

وتعتبر الدراسات الثقافية رسائل البرامج التلفزيونية مجموعة من النصوص المعقدة التي يشارك المتلقي في فك رموزها وتشكيل معانيها، أي أنها تركّز على فكرة نشاط المشاهد الذي يُكوّن المعاني المختلفة في إطار الاختصاصات والاهتمامات التي توفرها المدونات المشتركة للجمهور والقائمين بالاتصال (المنتجون للرسائل الإعلامية)، إذ أنّ الدور الأساس الذي تركّز عليه قاعدة (التشفير/ فكّ التشفير) يتمثل في النقاط التالية:

- * نفس الرسالة يتم فكّ شفرتها بطرق مختلفة من قبل الجمهور المتلقّي.
- * تحوي الرسالة الإعلامية الواحدة على أكثر من قراءة.
- * ترتبط مسألة فهم الرسالة الإعلامية بإشكالية ممارستها (19).

وبالتالي، فإنّ هذه المساهمة والتي تعتبر التقليد الأساس في دراسات التلقي، تنطلق من اعتبارات عدة تتمثل في التركيز على النص في حد ذاته ومختلف التأويلات التي يُنشئها الفرد المتلقّي نتيجة قراءته لمختلف النصوص، ممّا يؤكّد مبدأ الاختلافات الفردية في تلقي الرسائل الإعلامية وتفسيرها.

4 - دراسة التلقّي :

ابتداء من الثمانينات، تغيّرت الاعتقادات السائدة حول تأثيرات وسائل الإعلام في الجمهور، أي ماذا تفعل وسائل الإعلام في الجمهور؟ إذ أنّ فهم سلوك الجمهور أصبح يشكّل حجر الزاوية في دراسات التلقي، وبات مقرونا بفكرة دراسة المتلقّي في حدّ ذاته.

والاستهلاك وإعادة الإنتاج. فالجمهور بالنسبة إلى (ستيوارت هال) يمثّل مصدر الرسالة والمتلقّي في ذات الوقت، ذلك أنّ لحظة الترميز لا تحيل إلى التصوّر الذي تحمله المؤسسة الإعلامية وليس إلى توقّعات الجمهور فقط، وإنما إلى المعايير التي تندرج ضمن العمل المهني (11). لذلك يُشدّد الكاتب على دور المواقع الاجتماعية في تفسير النصوص عن طريق وسائل الإعلام عند مختلف الفئات الاجتماعية (12). ولقد اعتبر Stuart Hall التلقي بأنه ظاهرة مركّبة ذات ثلاثة أبعاد نتيجة لقيام الجمهور بفكّ الرموز التي يتلقاها، وتتمثّل هذه الأبعاد في:

أ - الموقف المهيمن : فالمتلقي في هذا الموقف يدمج الرسالة بدون مقاومة في إطار المفردات التي يختارها المرسل. بعبارة أخرى، يمثّل هذا الموقف وجهات النظر الغالبة، أي أنّ الذوق العام الغالب على النظام الاجتماعي والفضاء المهني هو المرجعية التأويلية للجمهور (13). وبمعنى آخر الجمهور يُكَيّف ويُخضع مواقفه لما هو سائد في المجتمع.

ب - الموقف المعارض : يقوم المتلقي في هذه الوضعية بفكّ رموز الرسالة التي استقبلها بطريقة معارضة لما كان ينوي المرسل إرساله (14). أي يقوم المتلقّي بقراءة الرسالة بناء على إطار مرجعي ورؤية مختلفة للبيئة التي ينتمي إليها (15). وهذا يحدث خاصة عندما تكون اتجاهات الفرد معارضة للخطاب الإعلامي، ويظهر هذا مثلاً، في تلقي خطابات الأحزاب السياسية من قبل أفراد جمهور لا ينتمي إليها.

ج - الموقف المفاوض : ويتمّ في هذه الوضعية فكّ رموز الرسالة عن طريق دمج عدد ملائم من العناصر المعارضة والملائمة في ذات الوقت (16). أي يقوم المتلقي بتبني جزء من الدلالات والقيم المهيمنة، لكنه يستمدّ من واقعه المعيش بعض الحجج المتوافقة معه وذلك لرفض بعض القيم المهيمنة والتي لا تخدمه (17). بمعنى أن المتلقي يتقبّل الأفكار التي تلائم وتتماشى مع أهدافه ويعدّل الأفكار التي تعاكس موقفه.

وبصفة عامة، يعمل الباحثون في إطار هذا الاتجاه على محاولة دراسة رسائل وسائل الاتصال - خاصة التلفزيون - والواقع المعيش

إذن، نستطيع القول إن هذا الاتجاه الجديد ما هو إلا تزواج لجهود كل من المدرسة الوظيفية والمدرسة النقدية في إطار الدراسات الثقافية التي أضحت تولي عناية خاصة لمسألة القارئ وسياق التلقي، وبالتالي فإن نموذج (النص/القارئ) (Le m-dèle texte/lecteur) شكّل زاوية مهمة في ميدان التلقي بصفة عامة، والذي يثبت حقيقة المتلقي الذي صارت له حرية في إنشاء الدلالات مثلما يفهمها، وهذا ما لخصه الباحث (دانيال ديان) Daniel Dayan في مقاله أسرار التلقي:

- أن المعنى لا يوجد كاملاً داخل النص: وذلك من خلال قدرة المتلقي على إضفاء واستنتاج معانٍ ودلالات جديدة (26).
- أن دراسات التلقي تعيد النظر في المتلقي، وذلك من خلال دوره النشط وتمتعه بقدرة تأويلية لفك رموز النص المستهلك، كما يمكنه أن يقاوم ضغوطات الجماعات الأيديولوجية التي تفرض عليه نمطاً معيناً من المعاني، وبالتالي فإن قدرة المتلقي على التأويل مرتبطة بتعدد معاني النصوص (Polysémie) المتلفزة (المُبَشَّة).

- أن التلقي يحدث ضمن سياق اجتماعي يكون فيه دور المتلقي إيجابياً، يقوم من خلاله بتشكيل دلالات النص، وبالتالي فإن هذه الدلالات تشكّل محور اهتمام الدارسين وليس النص في حد ذاته.

- من غير المعقول القيام، بصفة آلية، بفك رموز رسالة مثلما تم تشفيرها، لأنه يوجد هناك تباين واضح بين سياق التلقي وتعدد المدونات (27).

نظرية الاستعمالات والإشباع: الجمهور ليس سلبيًا، كما كانت تنظر إليه دراسات التأثير، وإنما فاعل حقيقي يختار ما يتماشي معه

وبالتالي فقد شكّل هذا النموذج طفرة نوعية في دراسات التلقي سواء الأدبية منها أو الاتصالية والذي يُعرّف تحت اسم «بحوث الجمهور الجديدة» (28)، التي تثبت أن استخدام وسائل الإعلام يتوقّف على الفروق الفردية والاجتماعية التي يميّز بها كل فرد.

ولم يعد الباحثون في هذا التقليد يركّزون على الرسائل المرسلة أو المُصمّمة، وإنما أصبح اهتمامهم يدور حول الرسالة التي تمّ استقبالها فعلاً من المتلقي (استنطاق المتلقي). وهذا ما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإجابة عن السؤال التالي: ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ الذي توصل إليه Katz من خلال أنموذج الاستعمال والإشباع، وبعبارة أخرى فإنّ محتوى الرسالة يتجاوز بكثير القصد الأصلي لمرسله، حيث إنّ المتلقي أصبح يمثّل جزءاً من جماعات تأويلية (Communauté interprétative)، ويتمثّل دوره في فك رموز الرسائل التي استقبلها متفاعلاً معها؛ نتيجة لمجموعة من التفاعلات مع الرسالة في حدّ ذاتها ومع أعضاء الجماعة (20). وهذا ما يُعرف عند (دافيد مورلي) «بأنموذج التفاعل والتأويلات للنصوص الإعلامية» (21). والذي يقرّ من خلاله على أنّ الفروق الفردية في التفسير موجودة بالفعل، لكنه يشدّد على أهمية الفوارق الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل الطرق التي يفسّر الناس بها تجاربهم مع التلفزيون وذلك عن طريق التقاسم الثقافي المشترك للمدونات (22).

وانطلاقاً من هذا المنظور، فقد تمّ الانتقال خلال نصف قرن من النموذج الذي يفسّر فعل وسائل الإعلام انطلاقاً من المصدر أو من المرسل، إلى النموذج الذي يعطي الدور الإيجابي (النشط) للمتلقي لاستنتاج دلالات معاني الخطاب الإعلامي الموجودة في بيئته. وبعبارة أخرى من نموذج أحادي الاتجاه أو شاقولي (Un-directionnel) إلى نموذج تفاعلي أو تحاوري (Convers-tionnel) لعملية الاتصال. وأصبح الحديث يدور حول صيرورة الاتصال ضمن نموذج (نص/قارئ)، أو كما تطلق عليه Sonia Livingstone بأنه جمهور نشط، مشاهد ناقد (Un public actif, un téléspectateur critique) (23).

ويبحث هذا النموذج في الطريقة التي يُولّد بها أفراد الجمهور معانيهم الخاصة من خلال قراءتهم للخطاب الإعلامي، أي أن النصوص قد تعني أشياء مختلفة لأناس مختلفين في أوضاع مختلفة (24). فهو يركّز على ما يشاهد أو يقرأ أو يستمع إليه الجمهور في وسائل الإعلام، وعلى المعاني التي تنتج نتيجة تفسير النصوص الإعلامية (25).

وانطلاقاً من هذا التقديم، نودّ الآن أن نتطرق إلى أربع أطروحات تتعلّق بمجال البحث في ميدان التلقي، والتي اتخذتها المقاربة الثانية كأساس تنظر إلى التلقي بأنه بنية حقيقية تدور حول ديناميكية مشاركة المتلقي في استقباله للمضامين الإعلامية، وتتمثل هذه الأطروحات في ما يلي:

1 - التلقي (الاستقبال) ، يعني القيام بفعل (Recevoir, c'est agir): يعني التلقي في هذا المقام تسلسل الأعمال المنجزة، فالمتلقي عندما يواجه مباشرة عملاً ما: ورقة كتاب، شريط فيلم (Pellicule du film)، خلفية المصقفة، فهنا لا توجد معانٍ، ولا أثر للمعاني، لكن هناك أشكال، أصوات، يعمل وعي المتلقي في هذه اللحظة على تقديم دلالات لأنه قد قام بتخزين الرموز التي تلقّاها، وبالتالي فإنّ تعاقب الأفعال تكوّن معاني الأشكال والصور التي واجهها في الأول، فالتلقي هنا يشكّل نشاطاً أساسياً لتكوين المعنى نتيجة لاستقبال أشكال مختلفة، كما يلعب الانتباه دوراً هاماً في هذه المرحلة، حيث يقوم المتلقي باختيار وإقصاء الأفكار وذلك من أجل الفهم، وهذا يرتبط بالدرجة الأولى بنوعية الموضوعات التي يستقبلها المتلقي، ويقوم بملء ما لم يصرّح به النص عن طريق تجربته الشخصية، لأن النصوص ليست دائماً كاملة وإنما المتلقي هو الذي يملأ الفجوات التي تحملها (31).

2 - التلقي يعني معاشية ثلاثة عوالم (Recevoir, c'est mener trois vies): يرتبط التلقي في هذه الأطروحة بالعلاقة التي يقيمها المتلقي مع النصوص التي يتلقاها وذلك من خلال ما يسمّى بعملية المشاركة. وتتمّ هذه المشاركة من خلال ثلاثة مستويات (عوالم) نوجزها في ما يلي (32):

- المستوى الأول: هنا المتلقي تربطه علاقة بين نظام من الرموز الملموسة (كالألوان، الأصوات مثلاً)، إذ يقوم المتلقي بمقارنة كل ما يتلقاه في العالم الرمزي (وسائل الإعلام) مع ما هو موجود في العالم المادي (الحقيقي)، علماً بأن المحيط الرمزي ما هو إلا محيط تابع للعالم الثاني (المادي)، فهنا المتلقي يستقبل مختلف الأفعال الخاصة عن طريق إدراكه ومراقبته لبيئته.

- المستوى الثاني: يتمّ في هذا المستوى إحداث نوع من

ومن ثمّ، فإنّ هذا النموذج يري بأنّ الجمهور ليس سلبي ولا يوجد جمهور حشد (بأتم معنى الكلمة) ولكن هناك جمهوراً مختلفاً ونشطاً، وهذا ما تلخّصه (إين أنغ) Ien Ang في مقالها المنشور بمجلة (Hermès - 1993) تحت عنوان: «Culture et Communication»: هناك موضوعات مختلفة في وسائل الإعلام يختلف اختيارها باختلاف قيم ومواقف المشاهدين، لأنّ الأفراد في المجتمعات الإعلامية الحديثة معقدون ومختلفون، كما أنّ نصوص الثقافة الجماهيرية هي الأخرى معقدة ومختلفة، إذن استعمالات الجمهور لها تنتج ثقافة معقدة (29).

هذا النموذج يري أنّ الجمهور ليس سلبي ولا يوجد جمهور، ولكنّ هناك جمهوراً مختلفاً ونشطاً

إذن، وتبعاً لما قيل، فإنّ التلقي هو نشاط إيجابي يخضع لاختيارات واهتمامات المتلقي؛ وبالتالي فإنّ هذا يؤدي بنا إلى التطرّق إلى الأطروحات الأربع الشهيرة التي تتعلّق بفعل التلقي؛ ألا وهي:

- التلقّي وأطروحته الأربع (Quatre thèses sur la réception)

يتعلّق الحديث عن وضعية التلقي حتماً بالحديث عن مفهوم الجمهور، الذي تمّ النظر إليه انطلاقاً من مقاربتين رئيسيتين، الأولى يدور محورها حول حتمية التأثير، التي يكون فيها المتلقي مجرد مستهدف سلبي لا يحقّ له إضفاء تعديلات على صيرورة الاتصال، أما الثانية فهي تلك المتعلقة بالرؤية الارتباطية أو النسبية (Vision relativiste) التي تتداخل فيها عدّة متغيرات لتفسير وتأويل الرسائل الإعلامية انطلاقاً من شخصية المتلقي وتجربته المتراكمة، أي أنّها تدرس فعل التلقي في حدّ ذاته.

لكن، على الرغم من اختلاف جوهر هاتين المقاربتين، إلا أنّ المقاربة الثانية تكاد تكون غائبة في حقل الممارسات الإعلامية، ولكنّها حاضرة في بعض الحقول الأكاديمية، خاصة تلك المتعلقة بأعمال مدرسة Palo Alto حول الاتصال التفاعلي والأبحاث المنجزة في ألمانيا حول جمالية التلقي (30).

4 - التلقي يعني تشكيل صور (Recevoir, c'est

faire des figures): إنَّ التلقي هو نظام من الأشكال، لأنَّ المتلقي يقوم بوصف وتحويل كل ما تمَّ استقباله في إدراكه إلى أشكال وصور، وبالتالي يؤسس دلالات مختلفة، ويتمُّ ذلك وفق عمليات متعددة تتعلق بإصدار عواطف مختلفة، كالفرح، الحزن، الحماس، التعاطف، وهذه العملية (تشكيل صور) تتداخل فيها تجربة وخبرة المتلقي السابقة.

ولفهم كل ما يتلقاه، لا بدَّ له من بذل مجهود يتعلق بإدراكه لمختلف الأحداث ووضع خاتمة لكل ما يستقبله.

تشكّل هذه العمليات الحلقة الأولى لتشكيل السلسلة الصورية، كما يشكّل الدافع الذي يؤدي بالمتلقي إلى استقبال العمل - سواء كان مكتوباً أو مسموعاً أو سمعياً بصرياً - أهمية تساعد على تشكيل صور مختلفة للنص الذي يتلقاه، ويمثّل هذا الدافع الحلقة الثانية التي تؤدّي إلى تشكيل صور مختلفة، إذ يساعد المتلقي على تشكيل دلالات عن طريق ترجمته للنص التي تظهر في شكل رجوع صدى الذي يمثّل في حدّ ذاته الحلقة الثالثة في سلسلة تشكيل الصور، وعادة ما تكون هناك أنواع مختلفة من رجوع الصدى نوجزها في ما يلي (34):

- الانفعالات الناتجة من جراء استقبال النصوص.
- تطورات أحداث النص التي تحدث بطريقة غير مباشرة - وهنا نقصد فيلماً أو رواية - تجعل المتلقي يعيش في عالمه الخيالي.
- معايشة النص وذلك عن طريق إدراكه بطريقة مناسبة، مما يؤدّي إلى تشكيل آراء مختلفة.
- الحوافز التي تؤدّي إلى تبني سلوك معين، كسلوك الشراء في حالة ما إذا كانت المادة التي يستقبلها المتلقي تتعلق بالإشهار لمنتوج ما.

أطروحات التلقي الأربع: التلقي (الاستقبال)
يعني: القيام بفعل - معايشة ثلاثة عوامل: (العلاقة
المقامة مع النصوص التي يتلقاها) التعبير -
تشكيل صور

التفاعل مع الرسالة التي يتلقاها المتلقي، وهذا ما يتعلق بتركيز انتباهه لما يستقبله عن طريق فهمه لسلوك الشخصيات وإيماءات وجوههم، ومختلف المناظر الموجودة في الرسالة الإعلامية، هنا المتلقي يقوم بإصدار رد فعل يتعلق بالضحك، أو الخوف أو حدوث نوع من المفاجأة.

- المستوى الثالث: يقوم المتلقي في هذا المستوى بمقارنة ما تمَّ مشاهدته في المستويين السابقين وذلك من أجل تقييم ونقد كل ما تمَّ استقباله، وبعبارة أخرى، التعلم لما تمَّ مشاهدته في الرسالة الإعلامية، وذلك من أجل تخطّي العقبات التي سوف يواجهها في حياته.

3 - التلقي يعني التعبير (Recevoir, c'est

s'exprimer): كيفما كان شكل الاتصال (فيلم، إشهار، ملصقة)، فإنَّ موضوع التلقي يختلف باختلاف الدلالات التي يكوّنها المتلقي نتيجة لتجربته المتراكمة، إذ هذا لا يمنع من إقامة مقارنات بين كل ما يستقبله المتلقي، إذ هنا يتمُّ التعبير عن كل ما استقبله عن طريق حدوث الانفعالات، وإصدار الأحكام، ويتمُّ ذلك من خلال أربع مراحل يظهر من خلالها المتلقي شرحه وفهمه للنص الإعلامي (33):

- شكل الموضوع الذي يستقبله والمعرفة التي يكسبها، تسمح للمتلقي بمقارنة كل ما استقبله.
- فضول المتلقي لفهم النص، يساعده على اكتساب نوع من الفائدة التي من خلالها يستطيع المتلقي أن يقيّم ويحكم على ما تمَّ استقباله.
- المواقف التي يتخذها المتلقي من جرّاء تلقيه للرسالة، هي الأخرى تدلّ على المغزى الذي فهمه المتلقي من الرسالة.
- تلعب آفاق توقعات المتلقي وذوقه، دوراً هاماً في شرح وفهم النص الذي يتلقاه.

إذن التلقي في هذه الأطروحة هو مواجهة، صيرورة غير منقطعة وذلك عن طريق المقارنة بين النص الذي استقبله المتلقي وخبرته أو ثقافته، وبالتالي تركز هذه الأطروحة على نقطة مفادها الحكم وتقييم الأذواق الموجودة في النص.

- مجلة الوسيط في الدراسات الجامعية، الجزء 4، الجزائر، 2003، ص 18 .
 (5) David MORLEY, Audience Research.
 Source : <http://www.museum.tv/archives/etv/A/html/audienceres/audienceres.htm>. Le 16/3/08.
- (6) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط 3، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2004، ص 237.
- (7) Rémy RIEFFEL, Sociologie des médias. Ed. Elli - se. France.; 2001, p. 119.
- (8) David MORLEY, Audience Research. op. cit.
- (9) محمد عبد الحميد، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط 02، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، مصر، 2004، ص ص 216، 217 .
 Rémy RIEFFEL, op. cit. p. 131 (10)
- (11) أرمان وميشال ماتلار، تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصر الدين ليعاضي والصادق رايح، ط 03، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، 2005، ص ص 122، 123 .
- (12) Dniel CHANDLER, Watching Television Viewers: Key differences in Viewers Interpretations of TV...
 Source: <http://www.aberac.uk/medias/Modules/TF33120/divergence.html>: Le 17/03/2008.
- (13) أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 123 .
 Rémy RIEFFEL, op. cit. p. 131 (14)
- (15) أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 123 .
 Rémy RIEFFEL, op. cit. p. 131 (16)
- (17) أرمان وميشال ماتلار، مرجع سبق ذكره، ص 123 .
- (18) عزيز لعبان، الخلفية النظرية لبحوث الإعلام وعوامل بروزها، مرجع سبق ذكره، ص ص 19، 20 .
- (19) David MORLEY, Audience Research. op. cit.
- (20) Rémy RIEFFEL, op. ci., p. 132.
- (21) علي قسايسية، المنطلقات النظرية والمنهجية لدراسات التلقي: دراسة نقدية لأبحاث الجمهور في الجزائر 1996-1995، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2007، ص 124 .
- (22) Daniel CHANDLER, Why do People Watch Television?
 Source: www.aber.ac.uk/media/Documents/short/usegrat.html-16k- Le 20/03/2008.
- (23) Communication et Théories Littéraires.
 Source: <http://www.ditl.info>. Le 26/01/2008.
- (24) السعيد بومعيزة: « أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات

وتبعاً لما قيل، فإنّ فعل التلقي يمرّ عن طريق حدوث هذه الأطروحات الأربع التي هي ثابتة في مراحلها ولكنها مختلفة في جوهرها من متلقٍ إلى آخر، لأنّ النظريات الحديثة أكدت أن مبدأ الفروق الفردية، والتجربة والخبرة السابقة للمتلقي تلعب دوراً كبيراً في إضفاء دلالات متباينة تختلف باختلاف السياق الذي يوجد فيه المتلقي، ومن ثمّة فإنّ لكلّ واحد قراءة خاصة به.

إنّ موضوع التلقي يختلف باختلاف الدلالات التي يكونها المتلقي نتيجة لتجربته المتراكمة. إذ يتمّ التعبير عن كل ما استقبله عن طريق حدوث الانفعالات وإصدار الأحكام

وكخلاصة لما وقع التطرق إليه في سائر النقاط السالفة الذكر، فإنّ تاريخ دراسات جمهور وسائل الإعلام يمكن النظر إليه بأنه سلسلة من التطورات، أولها شددت السلطة على النص (الرسالة) أي حتمية الآثار التي تخلفها وسائل الإعلام على الجمهور، وأخرها منحت السلطة للجمهور سواء من خلال اختياراته وانتقائه للبرامج التي يشاهدها من جهة، والدلالات التي يستنتجها من جهة أخرى، وهذا وفقاً لما يقال بأن الفرد المستهلك أصبح سيّد اختياراته في عالم إعلامي مليء بالبرامج، وهذا ما يؤدي إلى إزالة اللبس حول التأثير المباشر لوسائل الإعلام ومنحها إذن لسلطة المعنى والتأويل الموجودة لدى المتلقي الفرد في حدّ ذاته وذلك من خلال عملية الاتصال التي يقال إنها تشبه الأركسترا وفق العملية التالية: إنتاج - انتقال - توزيع - استهلاك - إعادة إنتاج (35).

الهوامش :

- (1) ملفين ديفلر، ساندرابول روكيتش، نظريات وسائل الإعلام، ترجمة كمال عبد الرؤوف، ط 05، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، 2004، ص 236 .
- (2) Francis BALLE, Medias et Sociétés. Ed. N° 05, Ed. Montchrestien, 1999, p. 44.
- (3) Armand et Michel MATTELART, Histoire des Théories de la Communication. Ed. La Découverte, Paris, 2002, pp. 40-46.
- (4) عزيز لعبان، الخلفية النظرية لبحوث الإعلام وعوامل بروزها،

- (28) السعيد بومعيزة، مرجع سبق ذكره، ص 47 .
- (29) André AKOUN. Sociologie des Communications de Masse. Ed. N° 1, Edition Hachette. Paris. France. 1997. p. 97.
- (30) Eric FOUQUIER. Jean-Claude LIORET. Définitions du Concept d'Audience: Analyse critique et Orientations. in L'Audience et les Médias. Préface de Gilles SANTINI. Les Editions d'Organisation. Paris. 1989. pp. 18-19.
- (31) Ibid. pp. 19-20.
- (32) Ibid. pp. 20-23.
- (33) Ibid. pp. 23-25.
- (34) Ibid. pp. 25-28.
- (35) Stuart HALL. Codage/Décodage. Réseaux. N° 68. CENT. 1994. pp. 27-39.

لدى الشباب: دراسة استطلاعية بمنطقة البلدية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر، 2006، ص 47 .

(25) Daniel CHANDLER. Why do People Watch Television?

Source: [Http://www.aber.ac.uk/media/Documents/short/usegrat.html-16k-](http://www.aber.ac.uk/media/Documents/short/usegrat.html-16k-) Le 20/03/2008.

(26) Sonia LIVINGSTONE. The Text - Reader Model of the Télévision Audience. Article présenté au colloque Public et Reception. Paris. Centre Georges Pompidou. 1989. in. Daniel Dayan: Les Mystères de la Réception. Source: <http://www.europhd.net/html/Le16/01/2008>.

(27) Rémy RIEFFEL. op. cit., pp. 132-133.

عقلنة العلاقة بين الشباب والإعلام...!

أ. خالد أدنون

باحث إعلامي

للفصائيات العربية والتي للأسف قليل منها ما هو هادف يخدم قضايا الشباب وقضايا الأمة العربية الإسلامية.

وسأركز على مجموعة من المقترحات تخدم قضايا الإعلام الموجه إلى الشباب وتهذب ذوق هذه الشريحة من المجتمع، وهي مقترحات لا أدعي أنها تستند كلّها إلى قاعدة علمية لكن جزءا منها مبني على الملاحظة الموضوعية كإعلامي وكباحث ومسؤول إعلامي.

وقد قسمت الموضوع إلى خمسة محاور تطرح إشكالات مفاهيمية وتفتح نافذة على النهوض بالإعلام الموجه إلى الشباب.

المحور الأول:

التعريف والتعرف إلى الشباب؟

إن أول ما يعترضنا ونحن بصدد الحديث عن الشباب هو عن من نتحدث؟ فالشباب وفي ظل العولمة والتطورات والتفاعلات التي صار يعرفها المجتمع العربي الإسلامي، جعلت من هذه الفئة الأكثر تأثرا على مختلف الأصعدة (ثقافية، علمية...)، مما أدى

سأطلق في تناولي لهذا الموضوع من خبر نشرته جريدة «الوطن» السعودية في 19 أبريل 2010، وقد عنونت الجريدة خبرها بالشكل

التالي: «38 في المائة من المراهقي الخليج يشاهدون القنوات الإباحية» (1). وتضيف ذات الجريدة أن الأمر يتعلق بالمراهقين الذين تتراوح أعمارهم بين 14 و20 سنة، وأن 90 في المائة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين 7 و9 سنوات يجلسون أمام التلفزيون من 5 إلى 6 ساعات في اليوم، و87 في المائة من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم من 9 إلى 12 سنة يشاهدون القنوات الفضائية العالمية، و63 في المائة ممن تتراوح أعمارهم من 12 إلى 14 سنة يشاهدون القنوات الفضائية بعد نوم آبائهم.

الدراسة التي أشرف عليها المستشار الاجتماعي الأسري حجاجي بن طاهر، والتي أتمنى أن تنشر نتائجها، وبغض النظر عن المنهجية المعتمدة وطبيعة العيّنة وحجمها، فإنها تقدّم باللموس مؤشرا على تلك العلاقة الخطيرة بين الإعلام من جهة والأطفال والشباب من جهة أخرى، علاقة لا تزال خارجة عن نطاق التحكم والضبط في وطننا العربي، رغم التنامي المطرد

مع تراجع دور المؤسسات التقليدية كالأسرة والمدرسة..
برز إلى السطح دور التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال كحاملة لمضامين ورسائل تؤثر سلبا وإيجابا في الشباب العربي

والأحكام الجاهزة أو المشخصة! وعمل من هذا القبيل سيمكّننا من تكوين رؤية أكثر واقعية وعلمية حول الشباب وحاجياتهم وحتى نظرتهم إلى قضايا المجتمع.

والحديث عن الحاجيات يجرّنا إلى ضرورة تحديد نمط الاستهلاك الإعلامي لدى الشباب؟ لا أريد هنا قراءة الكفّ العلمي، لكن النتائج الأولية للدراسة التي تمّت الإشارة إليها، وإن شملت دول مجلس التعاون الخليجي، تعدّ مؤشراً على ذلك، مؤشراً عمّا يشاهد الشباب والأطفال؟ مؤشراً عن عدد ساعات المشاهدة؟... إلخ، ويتعيّن تعميم التجربة والإكثار من الدراسات والاستفادة منها لإعداد خطة للإعلام الشبابي باعتبار أن الشباب مرسل ومستقبل وقضاياهم مضمون للرسالة.

إن إعداد خطة إعلامية للشباب لا ينبغي أن يخرج عن دائرة الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، مع الانفتاح على باقي الثقافات، واكتساب المعرفة وحث الشباب على التفكير المبدع الخلاق والتجرّد من الرواسب وأحكام القيمة، وإشراكه في مختلف مناحي الحياة، سواء أكانت إعلامية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية...، لكي تسترجع هذه الشريحة المجتمعية الثقة في نفسها كلاعب أساسي في بناء تاريخ هذه الأمة.

وبعدّ الشباب والإعلام بمختلف وسائله المدخل الأساسي في نهضة الشعوب، من خلال خروج هذا الأخير من دائرة الدعاية والترويج، والتركيز على مساهمته الفاعلة في المشروع المجتمعي، ونشر وعي إعلامي.

المحور الثاني :

من أجل وعي إعلامي...

في ظل ضعف الإنتاج الموجه إلى الشباب وغياب معالم رؤية إعلامية شبابية، فالسبيل الوحيد للتعامل مع المضامين الوطنية والإقليمية، وكذلك المضامين الوافدة التي تشغل النسبة الأكبر، يتمثل في تمكين الشباب من تكوين رؤية نافذة وواعية لتلك المضامين، حتى يتمكنوا من تحصين أنفسهم ومجتمعهم من القيم الدخيلة الهدامة.

وسيؤدي وبلا شك إلى تغيير العديد من العادات والأنماط السائدة في البلدان العربية.

ونتيجة لهذا الانفتاح أكدت الأبحاث والدراسات تراجع دور المؤسسات التقليدية كالأسرة والمدرسة...، وبرز إلى السطح دور التكنولوجيا الحديثة للإعلام والاتصال كحاملة لمضامين ورسائل تؤثر سلباً وإيجاباً في الشباب العربي.

في ظلّ ضعف الإنتاج الموجه إلى الشباب وغياب معالم رؤية إعلامية شبابية، السبيل الوحيد للتعامل مع المضامين الوطنية والوافدة هو تمكين الشباب من تكوين رؤية نافذة وواعية لتلك المضامين

وفي خصوص الحديث عن الشباب، نجد أنفسنا أمام خيارين: هل سنعمد في تحديدهم المقياس العمري أو النفسي الاجتماعي؟ هل هذه الفئة العمرية؛ في أيّ مجتمع؛ تشكّل شريحة اجتماعية متجانسة عمرياً وثقافياً واجتماعياً؟

بالنسبة إلى التحديد العمري للشباب، هناك من الباحثين من حدّد هذه الفئة في الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة أو الثامنة عشرة والسابعة والعشرين، آخرون يرون أنها تبدأ من 15 إلى 30 سنة، بينما درج باحثون آخرون على تقسيم هذه الفئة إلى أربع مراحل(2):

- الأولى : تبدأ من 12 إلى 15 سنة.

- الثانية : من 15 إلى 18 سنة.

- الثالثة : من 18 إلى 21 أو 22 سنة.

- الرابعة : من 22 سنة إلى 25 سنة.

وبطبيعة الحال لكلّ فئة خصائصها وطبائعها، هذا دون الحديث عن الفروق بين الذكور والإناث وبين الحضري والريفي أو القروي، والفروق الموجودة من بلد إلى آخر في المنطقة العربية؟

من وجهة نظري، أرى أنه وإن كان من المتعارف عليه عالمياً أن فئة الشباب هي الشريحة العمرية الممتدّة من 15 إلى 24 سنة، إلا أن وضعية المجتمعات العربية وخصوصياتها تتطلب دراسات ومراسد للإحاطة أكثر بمفهوم الشباب بدقة، بعيداً عن الإسقاطات

المحور الثالث:

ضبط الفضاء الإعلامي...

لا يختلف اثنان حول الأهمية التي تلعبها وسائل الإعلام السمعية البصرية والتكنولوجيا الحديثة للاتصال والإعلام في حياة الأفراد والمجتمعات في العصر الحديث. فالإعلام يخاطب جمهوراً عريضاً، مكوناته شرائح متباينة من المستهلكين أو المشاهدين، يحاول الاستجابة لرغباتهم، بشكل أصبح الإعلام أسير توجهات المشاهد واختياراته (5).

فالمشاهد أصبح هو الضامن لنجاح المؤسسات الإعلامية، من خلال قبوله لبرامجها وإقباله على مضمونها كلما توفرت مواصفات الإخبار والترفيه والتربية... ولم تعد البرامج الناجعة تسترعي انتباه المؤسسات الإعلامية فقط، بل كذلك الفاعلين الاقتصاديين، بالنظر إلى قيمة البرنامج الناجح كسلعة أو مضمون يقدم وتمكن المراهنة عليه من ترويج سلع أو خدمات أخرى، أو التسويق لمؤسسة بعينها.

فوسائل الإعلام لم تعد تقدم مضمونا للمشاهد بل أصبحت تنظر إليه وتعامله؛ في حدود معيّنة؛ كأصل تجاري. الأمر الذي صار يقتضي تدخلا قانونيا وتنظيميا ومؤسساتيا لحماية المشاهد، ليس بصفته مستهلكا أو مشاهدا، ولكن لحفظ كرامته باعتباره مواطنا له حقوق وعليه واجبات (6). ولا يمكن تحقيق ذلك إلا بوضع مجموعة من النظم والآليات واعتمادها لضبط الإعلام السمعي البصري دون المسّ بحرية الإعلام وبحقّ الجمهور في الخبر والترفيه والتربية والتعليم.

إن العمل على بثّ وعي إعلامي يقتضي تدخل وتفاعل البيئة المحيطة بالشباب، مع اعتماد مقارنة شمولية تترجم العلاقة بين أطراف العملية التواصلية، أي الشباب ومضمون الرسالة

وبناء على ما تمّت الإشارة إليه، فإن ضبط الإعلام في الوطن العربي يعدّ مدخلا أساسيا للنهوض بهذا القطاع وتفعيل دوره لخدمة قضايا الشباب وحمايته وتحصينه من الإعلام الهادم، سواء أكان محليا أو وافدا.

والمدخل الرئيسي لهذه الرؤية الناقدة العاقلة هو الوعي الإعلامي، بتمكين الشباب في مختلف مراحل نموهم من تطوير مهارات فهم الإنتاج والعمل في وسائل الإعلام (3) وحثهم على مساءلتها عبر طرح جملة من الأسئلة من قبيل:

- من صاغ الرسالة الإعلامية؟
- ما هي الطريقة التقنية والفنية المستعملة لشدّ انتباه المشاهد وخاصة الشباب؟
- كيف يتلقى ويستوعب المشاهدون هذه الرسالة؟
- ما القيم التي تحملها الرسالة أو تلك التي أغفلتها؟
- كما يجب حثّ الشباب من خلال تكوينهم على الأخذ في الاعتبار النقاط التالية:
- كل الرسائل الإعلامية تبنى بطريقة تراعي توجهات المالكين أو من يقفون وراء المشروع الإعلامي.

- الجمهور يستوعب نفس الرسالة ولكن بطريقة مختلفة.
- كل رسالة تحاول غرس قيمة معيّنة والدفاع عن وجهة نظر.
- كل الرسائل الإعلامية تسعى إلى الحصول على المنفعة مهما كان نوعها (مادية أو معنوية) (4).

إن العمل على بثّ وعي إعلامي يجب ألا يقتصر على طرف دون آخر، بل لا بدّ من تدخل وتفاعل البيئة المحيطة بالشباب، وعليه فيتعين اعتماد مقارنة شمولية تترجم العلاقة بين أطراف العملية التواصلية من المرسل والمستقبل، أي الشباب وكذلك مضمون الرسالة.

كما يتعيّن تكوين الإعلاميين والتربويين والانفتاح على الأسر والمؤسسات الإعلامية والمجتمع المدني، وتحسيس الجميع بأهمية الوعي الإعلامي، وأرى هنا أهمية خلق شبكة تدعم هذا المشروع ولِمْ لا العمل على إنشاء مرصد للوعي الإعلامي تحت مظلة اتحاد إذاعات الدول العربية، يكون كمدخل لنشر ثقافة إعلامية بالوطن العربي تساهم بدورها في حماية الشباب مرحليا من المضامين الوافدة الهدامة، وتكون كمقدمة للتفكير في ضبط الإعلام، خاصة السمعي البصري منه.

ويتعيّن أن يستند نص الميثاق في أهدافه وفلسفته العامة إلى المقتضيات المعمول بها في العديد من البلدان العربية والمرتبطة بالقيم العربية الإسلامية، وإرساء دعائم دولة الحق والقانون والمؤسسات وضمن حرية التعبير والرأي في إطار من الالتزام والمسؤولية.

ويجب أن يتضمّن هذا النص القواعد العامة والضوابط الأخلاقية الرامية إلى ضمان مواكبة القطاع الإعلامي العربي للتطورات المتعددة والتحوّلات السريعة التي يعرفها هذا الحقل محليا وإقليميا وعالميا، فضلا عن تنمية القطاع وجعله أداة للتنمية وبناء مجتمع الإعلام والمعرفة.

وتجسيدا لهذه الرغبة، يمكن تلخيص أهداف الميثاق الذي نقترح أن يفتح النقاش بشأنه داخل اتحاد إذاعات الدول العربية وبين الأوساط الإعلامية في:

* النهوض بالممارسة الإعلامية وضمن حرية التعبير والالتزام بأخلاقيات المهنة واحترام حقوق الشباب.

* المساهمة في التنمية والنهوض بالوعي الإعلامي للشباب.

* الحفاظ على التراث الثقافي للأمة العربية الإسلامية.

* احترام القوانين والأخلاقيات الكونية المتعلقة بالعمل الإعلامي وحقوق الملكية الفكرية.

فوسائل الإعلام العربية، بمختلف ألوانها، يجب أن تهدف إلى خدمة الصالح العام، من خلال الاستجابة لحاجيات الجمهور الإعلامية والثقافية والتربوية والترفيهية. وأن تستند في ذلك إلى القيم الحضارية العربية الإسلامية. كما يتعيّن عليها أن توفّر للمتلقي الشاب عناصر الفهم والتحليل لتمكينه من ممارسة حقه في إبداء الرأي والتقييم، وأن تعمل على إنتاج برامج للشباب تستجيب لاهتماماتهم الثقافية والاجتماعية والسياسية.

المحور الخامس:

النهوض بالإننتاج الموجه إلى الشباب...

إن نقطة الانطلاق لأيّ عمل إعلامي موجه إلى الشباب ينبغي أن تكون من توافر مشروع مجتمعي واضح المعالم: أيّ شباب نريد؟ ولأيّ مجتمع؟ فغياب الرؤية يفقدنا الكثير من الجهد المادي والمعنوي!

والواقع أن ما حقّقه الاتحاد الأوروبي، من خلال سلسلة من الوثائق (7) في هذا المجال يمكن أن تشكّل منطلقا للتفكير وإعادة التفكير في مرجع عربي موحد ينشد حرية الإعلام وممارسته ضمن إطار مسؤول يشرك الشباب ويعبّر عن قضاياهم ويراعي الخصوصية العربية الإسلامية.

للإشارة، فعملية الضبط مهما كانت صورتها، سواء من خلال مجالس (8) أو هيئات، يجب أن تخرج من دائرة الحسابات السياسية السياسية، وأن تركز على تخليق الحياة الإعلامية، من خلال ضوابط مرجعية، إما قانونية أو أخلاقية تضع ضمن مقاربتها الشمولية نصب عينها قضايا الشباب العربي.

أصبحت الحاجة إلى ميثاق أخلاقي ضرورة إعلامية عربية، بما يجعله خطوة منقّدة في مسار وضع الإطار المرجعي القانوني للإعلام العربي الموجه إلى الشباب

المحور الرابع:

ميثاق أخلاقي...

أصبحت الحاجة إلى ميثاق أخلاقي ضرورة إعلامية عربية، بالنظر إلى الانفجار الإعلامي والانفتاح التكنولوجي الذي نعيشه، ويعتبر هذا الميثاق خطوة منقّدة في مسلسل وضع الإطار المرجعي القانوني والأخلاقي للإعلام العربي الموجه إلى الشباب، كما تندرج هذه الوثيقة في سياق التطورات العميقة التي يشهدها الوطن العربي وخاصة على مستوى التأسيس لإعلام هادف يعكس ويواكب التطورات التي تعرفها المجتمعات العربية على مختلف الأصعدة.

فالإعلام مكوّن أساسي في عملية الإصلاح العام، بالنظر إلى دوره في تكريس قيم الحرية والتعددية والحدّثة والانفتاح، واحترام حقوق الإنسان وصيانة كرامته وتأهيل البلاد العربية سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، وهنا تبرز تلك العلاقة التفاعلية مع الشباب، باعتباره شريحة مجتمعية ضامنة لتقدّم الشعوب ونهضتها.

- تعزيز تبادل البرامج الموجهة إلى الشباب بين الهيئات الأعضاء في اتحاد إذاعات الدول العربية.
- الاهتمام بالتكوين والتكوين المستمر في مجال الإعلام الشبابي.
- العمل على بثّ سنوي مشترك بين مختلف القنوات يشارك فيه الشباب العربي.
- إن المحاور المذكورة، نهدف من خلال طرحها الحثّ على التفكير في قضايا الشباب من منظور متكامل تكون أرضيته خطة عمل إعلامية واضحة المعالم، وعندما نقول خطة فإنه ضمناً نطرح سؤال من سيُشرف عليها إعدادا وتنفيذا وتقييماً؟ الحقيقة أن اتحاد إذاعات الدول العربية أظهر خبرته وتجربته في هذا المجال، ولا أرى أن تخرج مثل هذه المشاريع عن دائرته، مع توسيع نطاق اختصاصاته وضمان انفتاحه على قضايا الإعلام الإقليمي والعالمي، من خلال الإشراف على مشاريع أو إنشاء لجان خاصة تعمل على دفع الإعلام العربي الموجه إلى الشباب والإنتاج له.
- ونقطة البداية في دعم الخطط والمشاريع يجب أن تكون من التعرف على الواقع ومساءلته، ولن يتأتى هذا إلا بدراسات علمية يشرف عليها خبراء، مع مساهمة المهنيين، وأن تنشر نتائجها ويعمل بها، فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل.

يقترح تعزيز تبادل البرامج الموجهة إلى الشباب بين الهيئات الأعضاء في اتحاد إذاعات الدول العربية والتفكير في مهرجان للإعلام الشبابي، فالشباب نصف الحاضر وكل المستقبل

- هذه الخطة يمكن ترجمتها إعلامياً عبر تشريك كافة المتدخلين، من شركات إنتاج، ومؤسسات إعلامية، ومنظمات مهتمة بقضايا الإعلام وكذلك الشباب أنفسهم، وأشدّد هنا على دور اتحاد إذاعات الدول العربية من خلال الدفع في اتجاه النهوض بالمضامين الموجهة إلى الشباب بـ:
- اعتماد وثيقة عربية لدعم الإنتاج الموجه إلى الشباب، وثيقة يساهم في صياغتها المهنيون وأن تضع نصب عينيها الارتقاء وتفعيل دور الشباب إعلامياً كمرسل ومستقبل وصانع للرسالة.
- التزام المؤسسات الإعلامية العربية بتخصيص ساعات معقولة من برمجتها لقضايا الشباب.
- التزام المؤسسات العربية بتخصيص جزء من ميزانيتها للإنتاج الموجه إلى الشباب.
- التزام المؤسسات الإعلامية بدعم شركات الإنتاج العربية وتبني مشاريعها التي تهدف إلى خدمة الشباب وقضاياها.
- حث المؤسسات الإعلامية على تخصيص يوم للاحتفاء بالشباب على مستوى البرمجة.
- خلق صندوق لدعم الإنتاج الموجه إلى الشباب.
- التفكير في مهرجان لإعلام الشباب مع جائزة لأحسن الأعمال.
- خلق مرصد عربي لإعلام الشباب.
- استصدار قرار لدعم إعلام الشباب على مستوى وزراء الإعلام العرب.

إعلام جديد

مواقع التواصل الاجتماعي والتحولات السياسية في الوطن العربي

د. إبراهيم بعزیز
أستاذ علوم الإعلام والاتصال

«إن شدة التغيير في الوسيلة لا بد أن يتبعها شدة مماثلة في تغيير الرسالة نفسها وفي تغيير شروط الاستقبال... وهو تغيير ستتغير معه قوى التأثير الاجتماعية وسيتغير قادة الفكر تبعاً لذلك». «عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي».

مقدمة:

شهد العالم العربي في السنتين الأخيرتين العديد من الأحداث السياسية. ورغم اختلاف هذه الأحداث وتباينها من بلد عربي إلى آخر، إلا أنها تتقابل وتتشابه إلى حد كبير في أسبابها، وفي وسائلها وحتى أهدافها. فمن المعروف أن الأوضاع الاجتماعية المزرية للمواطن العربي، والتردي الاقتصادي المعيش، والانغلاق السياسي والاحتكار الإعلامي المفروض، كلها أسباب أشعلت فتيل الاحتجاجات وأججت نار الفوضى في عدة دول عربية. ومن المعروف كذلك أن الوسائل التي تم الاستعانة بها لإنجاح هذه الثورات ولتحقيق أهدافها في هذه الدول العربية هي نفسها. وقد كانت مواقع التواصل الاجتماعي أبرزها على الإطلاق، فهي القنوات الوحيدة تقريباً، التي كانت متاحة للجماهير قصد التعبير بحرية، ولنقل واقع هذه الأحداث السياسية دون التعرض للرقابة والضغوطات السياسية.

« وكانت استفاقة الشباب العربي من خلال ممارسة التغيير عبر مواقع التواصل الاجتماعي وfacebook وyoutube كشكل من أشكال الديمقراطية الرقمية، هذه المساحة من الحرية الفكرية وصفها بعض المفكرين بأنها وسيلة عصرية للديمقراطية المعرفية، كما أنها أداة للتعبير عن الرأي في حرية مطلقة، ودون

مثلت استفاقة
الشباب العربي
من خلال ممارسة
التغيير عبر
مواقع التواصل
الاجتماعي أحد
أشكال الديمقراطية
الرقمية

أي قيود¹. خاصة في ظل الاحتكار المفروض على وسائل الإعلام من قبل غالبية الحكومات والأنظمة العربية، مما جعل مواقع التواصل الاجتماعي المنبر الوحيد تقريبا للتعبير الحر، والوسيلة الاتصالية الفريدة التي تسمح للجماهير بالتواصل بسهولة، وتبادل المضامين والآراء والأفكار، وتعبئة الأفراد، ونقل الواقع المرير الذي يعيشونه في مجتمعاتهم.

وسنحاول فيما يلي أن نبين كيف ساهمت مواقع التواصل الاجتماعي والتطبيقات التفاعلية التي تشكل ما يعرف اليوم بصحافة المواطن² في التحولات السياسية التي عاشتها معظم الدول العربية في مطلع سنة 2011. وفي البداية، لا بد أن نصنّف ونحدّد مفاهيم هذه المواقع والتطبيقات التواصلية التي تمّ استعمالها أثناء هذه الأحداث.

حوّلت المدونات
الفضاء الذي
أتاحتها الإنترنت
إلى بوابة تنبعت
منها الأفكار والآراء
بشأن مختلف
القضايا السياسية
والثقافية والدينية

1 - أنواع مواقع وتطبيقات التواصل الاجتماعي:

• المدونات الإلكترونية³ (blog)

وهي كلمة اشتقت منادغام كلمتين اثنتين هما «web⁴ و log»، وقد وضع هذا المصطلح (weblog) الكاتب الأمريكي (jorn barger) في ديسمبر 1997، للإشارة إلى المواقع التي تمكن الأفراد من نشر آرائهم⁵، ويقصد بها كذلك الموقع الإلكتروني الذي يحتوي على عناصر ومواد منشورة وفق ترتيب كرونولوجي، ويتضمن نصوصا، صورا، وأفلاما فيديو مرئية أو مسموعة، ويمكن لأيّ زائر أو قارئ أن يبدي تعليقا حولها.

و«التدوين» حقيقة اجتماعية اتسع حجمها وتزايدت أهميتها لكونها متحررة من الضبط والمراقبة إلى حدّ كبير... تغذّيها أحيانا رغبة شديدة في الحديث عن الذات وأخرى في الحديث عن الآخرين، رغبة متحررة من كلّ أشكال الرقابة، وقد يكون التدوين بالنسبة إلى الكثير من الأفراد شكلا من أشكال تحقيق الذات، ونشاطا فكريا يحقق انتصار الفرد على النماذج الخطية للاتصال⁶، القائمة على إنتاج المضامين من طرف واحد وإرسالها من اتجاه منفرد. وإن كانت المدونات في بداياتها الأولى مجالاً لتفريغ مكبوتات الأفراد ولتوثيق حياتهم الشخصية وللتعبير عن أحاسيسهم وشعورهم، فإنها أخذت تيارا آخر في السنوات الأخيرة، ونأت عن الطابع الاحتجاجي والإسقاطات الذاتية، وتحوّلت إلى منبر يرفع أصواتا ويضم مواد متعددة: نصوصا إبداعية، رؤية نقدية وفلسفية، قراءات للأحداث، شهادات وتجارب فردية⁷، مَحْوَلَةٌ بذلك هذا الفضاء إلى بوابة تنبعت منها مختلف الأفكار، والثقافات، والآراء حول مختلف القضايا السياسية، الثقافية، الدينية... الخ، وتتزوج خلالها مختلف التوجهات الفكرية عبر النقاش والحوار والتبادل للأفكار والتعليقات.

وهناك من وصف المدونات «بالصحافة التساهمية (Participation press)» أو صحافة الثقافة الجماهيرية الناقدة⁸، والتي تعلق على الأحداث والأخبار والوقائع، التي تنتقلها وسائل الإعلام التقليدية، فالمدونات غدت «وسيلة هامة للتأكد من الحقائق التي تقدّمها وسائل الإعلام السائدة⁹، التي تتأثر بعدة عوامل (اقتصادية، سياسية...)

تجعلها تنحاز وتبتعد عن المصدقية والموضوعية، وبالمقابل فالمدونات لا تتعرض لهذه الضغوط والعوامل، فتستغلّ حرّيتها اللامحدودة لمعالجة القضايا التي تناولها الإعلام التقليدي بشكل غير موضوعي، أو معالجة القضايا التي تجاهلها الإعلام السائد بقصد أو بغير قصد. ومن المعروف أن المدونين يعالجون في الغالب مواضيع حساسة وجريئة،

تشكّل طابوهات ممنوعة التناول في الإعلام التقليدي. فغدت تحدث «بلبله للعديد من الصحف بنشرها وقائع لا يريد أحد نشرها، ولبعض الأجهزة الحكومية التي تريد إخفاء معلومات بعينها عن الناس، قامت هذه المواقع بنشرها بالصورة التي لا تكذب دائماً¹⁰. وهذا ما جعل المدونات بمثابة فضاء «بديل للاتصال» يمكن كل مواطن أن يتطلع إلى امتلاك المنبر الموعود¹¹، الذي يسمح له بالكشف والتعبير عن مكونات صدره، وإيصال أفكاره ورؤاه حول ما يحيط به من أشياء وقضايا وظواهر، ولاسيما تلك المرتبطة بالشأن السياسي، فبرزت «المدونات السياسية كظاهرة سياسية جديدة، نظرا إلى العلاقة التي تربطها بالإعلام التقليدي والنشاطات السياسية¹²، وما يبيّن قوة تأثير المدونات الإلكترونية السياسية، محاولة عدة أنظمة وحكومات منع المدونات وإيقاف أصحابها (الصين، السعودية، إيران...)». ولا أدل على ذلك ما شهدته إيران بعد الانتخابات الرئاسية التي فاز بها «أحمدي نجاد» والتي أثارت موجة من المظاهرات للمعارضين له، والذين تمت تعبئتهم عبر المدونات التي أصبحت تلعب دورا كبيرا في تحريك الشارع الإيراني، خاصة في «ظل المراقبة الصارمة التي كانت مفروضة على وسائل الإعلام، صارت المدونات الإلكترونية تلعب دورا كبيرا، سيما بعد أن أضحت ممكنا الكتابة بالحروف الفارسية¹³. ونفس الشيء ينطبق على تونس التي ساهم النشاط الدؤوب للمدوّنين بشكل ملحوظ في تنظيم المظاهرات وحشد الجماهير، وسقوط النظام فيها (14 جانفي/يناير 2011)، مما جعل الحكومة المصرية تفرض رقابة صارمة على الأنترنت، وبالخصوص على المدونات ومواقع الشبكة الاجتماعية (فايس بوك، تويتر...)، لتجنّب تكرار السيناريو التونسي، ولكن الأحداث كانت أسرع منها، فحدث ما لم يكن مرغوبا.

ومما يبيّن أهمية المدونات كممارسة صحفية جديدة، قيام منظمة «مراسلون بلا حدود» بمنح جائزة لأفضل مدوّنة، كما تقدّم عديد من المؤسسات الإعلامية والهيئات المختلفة جوائز لمدوّنين. مثل المدوّن المصري "وائل عباس" صاحب "مدوّنة الوعي"، الحاصل على جائزة عن مجمل أعماله لكشف الفساد خلال عام 2005 - 2006 من "المنظمة الأفرومصرية لحقوق الإنسان"، بالإضافة إلى فوزه بجائزة "نايت الدولية للصحافة" لعام 2007¹⁴. وقد تنامت المدونات وازداد عددها بشكل مذهل، فحسب موقع "تكنوراتي(Technorati)" الذي يعنى بأرشفة وتبويب المدونات على الأنترنت، فإن عدد المدونات الموجودة عالميا وذلك حتى شهر سبتمبر 2007 بلغ 106 مليون مدوّنة بمختلف اللغات¹⁵، وبلغ 112 مليون مدوّنة في 2008¹⁶، وفي سنة 2009 بلغت حوالي 112.8 مليون مدوّنة¹⁷.

• مواقع بث تسجيلات الفيديو¹⁸:

أو مواقع تقاسم تسجيلات الفيديو، وهي تعتبر بمثابة خزان يحتوي على أعداد كبيرة من التسجيلات، التي ينجزها المستعملون ويبتونها، ومن أبرز هذه المواقع، موقع يوتيوب (youtube). وتشير بعض المصادر إلى أن «هناك 100 مليون فيديو تتم مشاهدتها يوميا عبر يوتيوب¹⁹، كما يتم منه إنزال 13 ساعة من التسجيلات كل دقيقة²⁰، وفي سنة 2010 فاق عدد التسجيلات المشاهدة 02 بليون، ويتم بث 24 ساعة تسجيل كل دقيقة؛ كما أنّ ما نشر من تسجيلات عبر الموقع في 60 يوما، يفوق ما تنتجه أكبر ثلاث شبكات أمريكية في 60 سنة²¹. وتشير مصادر أخرى إلى أن 700 مليار فيديو تم نشرها في 2010. أما موقع «dailymotion» فقد تمّت مشاهدة مليار فيديو

هناك 100 مليون
فيديو تشاهد يوميا
عبر يوتيوب، كما
تنزل 13 ساعة من
التسجيلات
كل دقيقة

شهرياً²². واشتهر كذلك موقع «myvideo» المملوك من قبل شركة غوغل (google).

وكان لمواقع بث تسجيلات الفيديو والبودكاست تأثير كبير في المجال السياسي. خاصة أن البث عبر الأنترنت يتم تبنيّه بسرعة أكثر من التدوين، لأن الناس يدركون أن هذه التطبيقات بإمكانها أن تغيّر طريقة رؤيتهم لوسائل الإعلام²³، ونظراً إلى أن التسجيل والتصوير والبث لا تتطلب مهارات كبيرة ومستوى ثقافياً مثل الكتابة والتدوين.

• مواقع التشبيك الاجتماعي²⁴ (social Networking sites):

أو وسائل الإعلام الاجتماعية (social media). وهي مواقع تسمح للمستخدمين بامتلاك صفحة شخصية، ونشر ما يرغبون من مضامين (صور، تسجيلات، نصوص...). وقد تزايد استعمال هذه المواقع بشكل مذهل، ففي دراسة أعدّها «ديوان الاتصالات البريطاني»، تؤكد أن نموّها السريع وانتشارها الحالي يشير إلى أنها تقنيات الاتصال السائدة حالياً لكثير من الناس²⁵، إلى درجة أن من لا يملك صفحة خاصة يبدو منعزلاً عن العالم، كما تقول «danah boyd» من لا يوجد على صفحات الماي سبايس فهو غير موجود²⁶ (If you're not on MySpace, you don't exist) وتذكر بعض الأرقام أنه «من بين 50 موقعا أكثر زيارة نجد 10 مواقع للشبكة الاجتماعية²⁷.

وقد عمّد الكثير من الأفراد والمؤسسات الإعلامية وغير الإعلامية إلى إنشاء صفحات عبر هذه التطبيقات من أجل التواجد أو إثبات الوجود فقط، وتجنّب التهميش والتخلف عن الآخرين، والحفاظ على تواصلها مع جمهورها. فأصبح التواجد على صفحات الفيس بوك ضرورة في إطار التماشي مع التطورات الحاصلة.

ومن أشهر هذه المواقع، موقع ماي سبايس (myspace) الذي أسسه كل من «Tom Anderson» و«Chris DeWolfe»، «Josh Berman» و«Brad Greenspan» سنة 2003، وفي 2005 قامت مؤسسة روبرت ميردوخ (News Corporation) بشراء الموقع بمبلغ 580 مليون دولار. وقد صنّف الموقع في المرتبة السابعة عالمياً سنة 2008²⁸، كما احتل المرتبة الأولى من بين عشرة مواقع في العالم عام 2007²⁹. واشتهر كذلك موقع «فيس بوك Facebook». وحسب إحصائيات استعمال الأنترنت سنة 2008 فإن موقع فيس بوك صنّف في المرتبة الخامسة عالمياً³⁰، وفي سنة 2010 بلغ عدد مستعمليه 500 مليون فرد³¹. وبلغ سنة 2012 حوالي 900 مليون مستخدم. وقد اشتهرت أيضا مواقع أخرى مثل «تويتر»، و«لينكد إن».

• مواقع الويكي (wiki):

وهي مواقع للتحرير الجماعي التشاركي (collaborative authoring)، تمكّن كل فرد من الكتابة والنشر، «وتعديل مضامينها ومقالاتها، عبر إضافة أشياء أخرى»³²، فالويكي موقع نشيط يمكن لأيّ زائر أن يغيّر صفحاته حسب مشيئته³³، ويكتب ما يرغب فيه من معلومات وأخبار.

ومن أشهر مواقع الويكي، موقع ويكيبيديا (wikipedia)، التي أسسها (Jimmy Wales). واستطاعت أن تحقق نجاحا بعد ثلاث سنوات من إنشائها، إنها نوع من الصحافة التشاركية التي لا مثيل لها، آلاف من الأفراد من أنحاء العالم يضيفون خبراتهم، أصواتهم وميولهم فيها. يقدر مؤسس الموقع عدد المشاركين بانتظام بحوالي

بلغ عدد مستعملي
موقع فيس بوك
عام 2012
حوالي 900
مليون مستخدم.
كما اشتهرت مواقع
أخرى مثل «تويتر»،
ولينكد إن.

1000 مشارك منتظم، وعشرات الآلاف من المشاركين غير المنتظمين³⁴. كما أطلق موقع (Wikinews) في 2004 من قبل ويكيبيديا³⁵. وهو عبارة عن موقع لجمع الأخبار من قبل أفراد مشاركين متطوعين³⁶.

ومن أشهر مواقع الويكي كذلك موقع ويكيليكس (wikileaks)، الذي كان في بداية تأسيسه عام 2006 يتيح للمستعملين إمكانية النشر والتعديل، وبعد ذلك اعتمد نموذج النشر المركزي الذي تسبّره هيئة تحرير، وهو متخصص في التسريبات الأمنية والعسكرية بالخصوص، وبرز الموقع في نهاية يوليو 2010، حينما نشر وثائق سرية تم تسريبها من أطراف مجهولة، تكشف عدة فضائح وتجاوزات للجيش الأمريكي في أفغانستان والعراق، من تقتيل للمدنيين، وكشف آلاف من الوثائق السرية حول تجاوزات كثيرة لحكومات عربية وغربية، وقد أحدثت هذه الوثائق المشورة زوبعة إعلامية كبيرة، أعقبتها تداعيات سياسية كثيرة ليس فقط في العالم العربي، ولكن في العالم أجمع.

• منتديات المحادثة الإلكترونية :

يُقصد بالمحادثة الإلكترونية كل حوار، نقاش، دردشة، أو حديث يتم بين شخصين، أو بين شخص و مجموعة أشخاص بواسطة التقنيات الإلكترونية المختلفة عبر شبكة الأنترنت، إما بالنص، وإما بالصوت والصورة أو كليهما معا³⁷؛ وتشمل تقنيات لاتزامنية مثل (القوائم البريدية (Mailing lists) ومجموعات الأخبار (new-groups) ولوحات الإعلانات (bulletin boards)، وتقنيات تزامنية، مثل غرف الدردشة (Chat rooms) ومنتديات النقاش³⁸ (Forum discussions). وعبر هذه الفضاءات يلتقي عدد من المتحدثين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة، من حيث الديانة والثقافة، وفيها يتجادون أطراف الحديث حول مختلف الموضوعات والمجالات³⁹.

2 - مستعملو مواقع التواصل الاجتماعي... قادة الرأي ورواد التغيير الجدد

أدى انتشار مواقع التواصل الاجتماعي في الأوساط الشبابية العربية بشكل سريع وكبير، إلى تراجع دور المثقف التقليدي وإزالة مهمة النخب في قيادة الجماهير وتحريكها، وفي تشكيل الرأي العام وتوجيهه، على الأقل في الفترة التي بدأت فيها إرهابات الثورات العربية، حيث كانت الشعوب والجماهير تنساق وراء ما يقدمه الناشطون الشباب من توجيهات ودعوات عبر فضاءات التواصل الاجتماعي، متناسية أو متجاهلة دعوات وتوجيهات المثقفين والعلماء وقادة الرأي، وكل النخب التقليدية التي تقدّم أفكاراً نظرية في كتبها ومؤلفاتها، وتقدّم توجيهات من على أبراجها العاجية. فبرزت بذلك نخب جديدة وقوى اجتماعية وسياسية ناشئة، لها تأثيرها الخاص في الشعوب والجماهير.

وفي هذا المضمار يقول الدكتور عبد الله الغدامي: «إن شدة التغيير في الوسيلة لا بد أن يتبعها شدة ماثلة في تغيير الرسالة نفسها وفي تغيير شروط الاستقبال... وهو تغيير ستتغير معه قوى التأثير الاجتماعية وسيتغير قادة الفكر تبعاً لذلك. ولن يعود الفلاسفة والأدباء والعلماء هم قادة الثقافة الجماهيرية. وسوف تخلق قوى قيادية أخرى غير هؤلاء. وهي قوى قد يصعب تحديدها بدقة متناهية كما تعودنا في الثقافة التقليدية حينما نسّمى قادة الفكر في أمة من الأمم ونحتفل بهم ونحدّد مواقعهم. إننا اليوم بحاجة إلى التعرف على القيادات الفكرية ومصادر

موقع ويكيليكس
متخصص في
التسريبات الأمنية
والعسكرية، وكشف
آلاف من الوثائق
السرية حول
تجاوزات حكومات
عربية وغربية

التأثير والتنوير، وقد لا يكون ذلك محدداً بأشخاص وأسماء وإنما سيكون عبارة عن نمط كلي متحرك وغير ثابت... وكثيراً ما يشتكي الناس اليوم من غياب الرموز، وكثيراً ما يشتكون أيضاً من تغييرات ضخمة لا أحد يملك السيطرة عليه»⁴⁰.

وبالفعل، فقد اتفقت كثير من التحليلات واتفق كثير من الكتّاب على أنّ الثورات العربية لم تحدث بفعل نشاط النخبة أو تحرك المثقفين - رغم أن دورهم في وضع وبناء الأسس الفكرية والإيديولوجية لهذه الثورات لا يمكن إنكاره - وإنما كانت نتيجة تحركات الناشطين الشباب والمجتمع المدني الذي كثف من أنشطته ونضالاته في هذه الفترة، مستعينا بتطبيقات شبكة الأنترنت.

فمن خلال مواقع التواصل الاجتماعي، برز قادة رأي جدد لهم منابرهم الإعلامية وتقنياتهم الخاصة لحشد الجماهير وتعبئة الأفراد، للخروج إلى المظاهرات والاعتصامات في ساحات «التحرير» وفي الشوارع والجامعات والأماكن العامة. لقد أصبح هؤلاء الشباب المستعملون لوسائل الاتصال الجديدة يشكلون الرأي العام في بلدانهم وحتى على المستوى الدولي، من خلال ما ينقلونه من تسجيلات مصوّرة، وما يكتبونه في المدونات، حتى أصبحت وسائل الإعلام التقليدية تعتمد على ما ينقلونه من فيديوات وتسجيلات كمادة أساسية في تغطياتها لهذه الأحداث.

ولذلك، فقد كان النشاط الذي يقوم به الشباب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، هو الأرضية أو المنطلق الذي بدأت منه الاحتجاجات والثورات في الدول العربية، فعلى الرغم من أن النزول إلى الميدان والاعتصام كان السبب الرئيسي في نجاح الثورات، إلا أنه لا يمكن إغفال فكرة أنّ هذا النزول إلى الميادين والشوارع والاتفاق على اليوم والمكان الذي يتم فيه الاعتصام وحتى التعبئة للجماهير والتواصل بين الأفراد، لم يكن لينجح لولا الاستعانة بمواقع التواصل الاجتماعي التي كانت الوسائل الاتصالية الوحيدة المتاحة للجماهير والناشطين.

فأصبح بذلك مستعملو هذه المواقع هم رواد التغيير في العالم العربي، وقادة الرأي الجدد، الذين يملكون القدرة على التهدئة والتهيج، والقدرة على تعبئة وحشد الجماهير وتوجيهها إلى المكان الذي يرغبون فيه (ميادين التحرير) وفي الوقت واليوم اللذين يعجبهم (بعد صلاة الجمعة)، والقدرة على توجيه الشعارات المرفوعة وتسميات الاحتجاجات («جمعة الرحيل»، «جمعة الوفاء»...) ولهم القدرة كذلك على إعادة هذه الجماهير إلى منازلها وتهدئة الأوضاع.

3 - مواقع التواصل الاجتماعي والتحول السياسي في العالم العربي:

تشهد الساحة السياسية العربية تحوّلاً لم يسبق له مثيل، بفعل انتشار تكنولوجيات الاتصال ولو بشكل نسبي يختلف من بلد إلى آخر، وقد برز ذلك بوضوح في الثورات العربية مطلع سنة 2011.

حيث إن صحافة المواطن بتطبيقاتها المختلفة، قد عرفت مؤخرًا حركة دؤوبة في العالم العربي، وذلك نظراً إلى الاختناق الذي يعيشه الأفراد إعلامياً وثقافياً وسياسياً، ونظراً إلى انغلاق البيئة العربية في هذه المجالات، وعدم فتحها المجال للأفراد للمشاركة، الشيء الذي جعلهم يقبلون على هذه التطبيقات الجديدة كوسائل بديلة للوسائل التقليدية السائدة، من أجل التعبير بحرية عن أوضاعهم، ونقل آرائهم للعالم الداخلي وبالخصوص

أصبح الشباب
المستعمل لوسائل
الاتصال الحديثة
قادة رأي لهم
منابرهم الإعلامية
وتقنياتهم الخاصة
لحشد الجماهير
وتعبئة الأفراد

الخارجي، حول مختلف القضايا السياسية، الثقافية... الخ. إذ أن احتكار أطراف معينة (الحكومات، رجال الأعمال...) لوسائل الإعلام في الدول العربية، خلق نوعاً من الكبت والقهر النفسي لدى المواطن العربي، الذي يعيش ظروفاً متردّية، ولا يجد مجالات ووسائل للتنفيس والترويح والتعبير، أو على الأقل لنقل الواقع الحقيقي لأوضاعهم، وهو ما جعل وسائل الإعلام الجديدة تبدو بمثابة المنقذ للمواطن العربي من هذه الحالة، فأصبح الفرد يقوم باستعمال ما أتيج له من وسائل (هاتف، كاميرا، حاسوب محمول...) لممارسة صحافة المواطن - ولو بشكل صديفي - لنقل الحقيقة والواقع الذي يعيشه، وتقديم خطاب مغاير للخطاب الإعلامي السائد الذي تحالف أو خضع لإرادة المتحكّمين فيه، ويردّد شعاراتهم ويروج لأفكارهم وأجنداتهم.

وقد ساهمت تطبيقات الأنترنت وصحافة المواطن بدور كبير في إسماع العالم أصواتاً معزولة ومغمورة، وفي تمكين هذه الأصوات المهمّشة، من التعبير عن نفسها ومشاغلتها واحتياجاتها بشكل مسموع لدى الأوساط السياسية، سواء كانت داخلية أو خارجية، فقد مكّنت الجمهور من إبداء رأيه حول مختلف القضايا السياسية، وانتقادها أو التعليق عليها أو مسانديتها، وتشكيل جماعات افتراضية حول اهتمامات وأهداف مشتركة، لتمارس الضغط على السياسيين. و” يرى المدافعون عن الأنترنت أنّ التوسع في القدرة على الاتصال يمكن أن يقود إلى تنشئة سياسية بل وتكييف سياسي أكثر، وأساس هذا التوقع هو فكرة أن المواطنين سوف يكونون أكثر نشاطاً في التعبير عن آرائهم من خلال الأنترنت، وأنّ الأنترنت تتيح لهم فرصاً جديدة لتوصيل رغباتهم وآرائهم التي توضح توجهاتهم السياسية في شفافية مهما كانت مرارتها“⁴¹.

وعليه فإن الدول العربية لم تكن في منأى عن هذه التأثيرات والممارسات الجديدة، رغم النسبة الضئيلة من الأفراد المستعملين لتكنولوجيات الاتصال، فتخلّف هذه البلدان سياسياً وانغلاقاً إعلامياً، جعل تلك النسبة القليلة من الأفراد المستعملين الذين أتاحت لهم الوسائل، ينفجرون ويثورون من خلال إنتاج المضامين السياسية ونشرها لكسر الاحتكار الذي تمارسه حكوماتهم ومؤسساتهم الإعلامية، وتؤكد ذلك عدة أمثلة في مختلف الدول، كتونس، مصر، ليبيا، سوريا والبحرين... الخ، التي حدثت فيها مظاهرات واحتجاجات، أجبرت حكوماتهم وسياسيهم على التعامل معهم وتمكينهم من المشاركة السياسية بمختلف القنوات الاتصالية، لاسيما القنوات التفاعلية الجديدة عبر الأنترنت. مثلاً في تونس، وبعد الثورة التي حصلت، قامت بعض الهيئات الحكومية بتأسيس صفحات على ” الفاييس بوك “ و ” تويتر “ بهدف التواصل مع المواطنين، وتمكين الأفراد من إيصال آرائهم وتمكينهم من الاتصال السياسي، والمشاركة السياسية في اتخاذ القرار وتسيير الشؤون العامة.

وتساهم هذه التطبيقات في وصول الأصوات المغمورة إلى المحافل الدولية وإلى المنظمات الحقوقية والمهنية، ووسائل الإعلام الأخرى، التي تتناقل هذه الأخبار، على نحو يلفت نظر السياسيين والمسؤولين المحليين، ويشكّل ضغوطاً عليهم، ويجعلهم يُولون اهتمامهم لهذه الأصوات المحلية، ولا أدلّ على ذلك، ما قامت به السلطات من حجب لبعض المواقع ومنع بعض التطبيقات (فايس بوك، المدونات...) في الدول العربية التي اجتاحتها موجة المظاهرات بداية سنة 2011، خوفاً من قيام المواطنين بتقديم تغطية إعلامية لما يحدث في ظل غياب شبه كلي لوسائل الإعلام التقليدية. كما أنّ احتكار وسائل الإعلام من قبل السلطة في بعض الدول، قد ساهم بشكل كبير في إقبال الأفراد على المشاركة في العملية الاتصالية والسياسية عبر تطبيقات الأنترنت البديلة.

إنّ احتكار وسائل
الإعلام من قبل
بعض السلط ساهم
في إقبال الأفراد
على المشاركة في
العملية الاتصالية
والسياسية عبر
تطبيقات الأنترنت

إن انغلاق وسائل الإعلام التقليدية وعدم سماحها ب بروز الرأي المخالف، وظهور البيئة الرقمية حوّلت الأفراد من متلقين سلبيين، إلى مشاركين نشطين في الفضاء العمومي

وفي هذا السياق يقول الكاتب (Yochai Benkler) إن ”انغلاق وسائل الإعلام التقليدية وعدم سماحها ب بروز الرأي المخالف من جهة، وظهور البيئة الرقمية ووسائل الإعلام الجديدة من جهة أخرى، جعلت الأفراد يتحولون من متلقين سلبيين، إلى مشاركين نشطين في الفضاء العمومي“⁴². ولهذا فإن هذه الوسائل الجديدة تمنح الأفراد فرصة للمشاركة في العملية السياسية ولو جزئياً، من خلال التأثير في اتخاذ القرارات، بل والتأثير على مختلف المجالات بفعل اتسامها بالجرأة في الطرح.

خاتمة:

رغم أن التحولات السياسية الحاصلة في العالم العربي كانت متعدّدة الأسباب والوسائل، إلا أن الوسيلة الأبرز والأكثر حضوراً في فترة حدوث هذه التحولات، هي شبكة الأنترنت بصفة عامة ومواقع التواصل الاجتماعي بصفة خاصة. فهي التي مكّنت الأفراد من اكتساب قنوات اتصالية، لتبادل الأفكار والآراء ولتنظيم الاحتجاجات ونقل الوقائع وتغطية الأحداث... الخ. ولا أدل على ذلك قيام الحكومات العربية التي تخوّفت من انتقال عدوى الثورات إليها، بعرقلة عملية الاتصال بشبكة الأنترنت وحجب عدة مواقع، كإجراءات استباقية لعلها تُبعد شبح هذه الثورات. ولكن «الثورات الافتراضية» عبر فضاءات الشبكة العنكبوتية كانت قد تحوّلت إلى ثورات حقيقية ميدانية، فاجتاحت هذه الحكومات والأنظمة وأزالتها من سدّة الحكم.

المصادر والمراجع:

- 1 • شهاب جواد، تعقيب على مقالة «للديمقراطية وجوه عديدة»، العربي، ع. 632، يوليو 2011، ص 171.
- 2 • إبراهيم بعزیز، الصحافة الإلكترونية والتطبيقات الإعلامية الحديثة، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2012).
- 3 • إبراهيم بعزیز، «دور وسائل الاتصال الجديدة في إحداث التغيير السياسي في الدول العربية»، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 31، صيف 2011، ص 173-190
- 4 • رضا النجار، جمال الدين ناجي، تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الفرص الجديدة المتاحة لوسائل الإعلام بالمغرب العربي»، (تونس: قمة مجتمع المعلومات، اليونيسكو، نوفمبر 2005)، 118
- 5 • Andrew Lih، «Participatory Journalism and Asia: From Web Logs to Wikipedia». 13th Asian Media Information & Communications Centre Annual Conference: Impact of New & Old Media on Development in Asia. July 1-3. 2004.p4.
- 6 • عبدالله الزين الحيدري، «الإعلام الجديد، النظام و الفوضى» المؤتمر الدولي: «الإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة .. لعالم جديد»، جامعة البحرين 7-9 أبريل 2009،
- 7 • نصر الدين لعياضي، «الأنواع الصحفية في الصحافة الإلكترونية، نشأة مستأنفة أم قطيعة؟»، البوابة العربية لعلوم الإعلام و الاتصال، <http://www.arabmediastudies.net> (أكتوبر 2010)، ص 15
- 8 • المرجع نفسه، ص 15
- 9 • Andrew Lih. op.cit.p4
- 10 • حسام عبدالقادر: «جرأة النشر وحرية التناول في الصحافة الإلكترونية» (12 ديسمبر 2009)
- 11 • Luis António Santos. Manuel Pinto. “Weblogs and Journalism: an uneasy relation (the Portuguese case)”. the International Association for Media Communication

- Research (IAMCR) Conference. Porto Alegre (Brasil), 25-30 July 2004. p3
- 12 Marvin Ammori. "A Shadow Government: Private Regulation, Free Speech, and Lessons from the Sinclair Blogstorm", Michigan Telecommunications and Technology Law Review, vol.12. 1 (2005),p3.
 - 13 Dan Gillmor , We the media. Grassroots journalism by the people, for the people. (Sebastopol. CL. O'Reilly, 2004). p141.
 - 14 وسام فؤاد، «الأنترنت ما بعد التفاعلية و اتجاهات تطوير الإعلام الإلكتروني» (أفريل 2010).
 - 15 زيد منير سليمان، الصحافة الإلكترونية، (عمّان: دار أسامة، 2008)، ص135.
 - 16 Cheong Yip Seng. engaging new media. challenging old assumptions. (Singapore :The Advisory Council on the Impact of New Media on Society. December 2008). p28.
 - 17 ROB BROWN, PUBLIC RELATIONS AND THE SOCIAL WEB. How to use social media and web 2.0 in communications. (London : Kogan Page, 2009). p27.
 - 18 إبراهيم بعزیز، «دور وسائل الإعلام الجديدة في تحول المتلقي إلى مرسل و ظهور صحافة المواطن»، مجلة الإذاعات العربية، العدد 3، (2011)، ص 45-56.
 - 19 Antony Mayfield. what is social media ?. (California: icrossing, 2008), p4.
 - 20 Paul Norris. Brian Pauling. THE DIGITAL FUTURE AND PUBLIC BROADCASTING. A research report. (new zealand broadcasting school. November 2008), p7.
 - 21 www.viralblog.com/research/youtube-statistics/ (7 fevrier 2011)
 - 22 NTIC magazine. n.51. janvier 2011. p16.
 - 23 Brendan Greeley. «podcasting, credibility and non-text media» "BLOGGING, JOURNALISM & CREDIBILITY: Battleground and Common Ground" A conference. at Harvard University. January 21-22. 2005
 - 24 إبراهيم بعزیز، تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية، (القاهرة: دار الكتاب الحديث، 2011).
 - 25 Ofcom (office of communications) . Social Networking A quantitative and qualitative research report into attitudes, behaviours and use. Uk.2 April 2008.(www.ofcom.org.uk) p5
 - 26 Rob Nyland . THE GRATIFICATION NICHEs OF INTERNET SOCIAL NETWORKING, E-MAIL, AND FACE-TO-FACE COMMUNICATION. Master of Arts. Department of Communications. Brigham Young University December 2007.p3.
 - 27 Christian Fuchs. Social Networking Sites and the Surveillance Society. A Critical Case Study of the Usage of studiVZ, Facebook, and MySpace by Students in Salzburg in the Context of Electronic Surveillance. (Vienna : Research Group Unified Theory of Information.2009). p2.
 - 28 IBID. pp40-41.
 - 29 Rob Nyland . op.cit.p1.
 - 30 Christian Fuchs. op.cit. p38.
 - 31 www.facebook.com/press/info.php?factsheet(28 janvier 2011)
 - 32 Sawsan Alshattnawi. Concurrence et Conscience de Groupe dans l'Édition Collaborative sur Réseaux Pair-a-Pair. thèse de doctorat. l'université Henri Poincare (Nancy 1). 2008. p12.
 - 33 رضا النجار، جمال الدين ناجي، مرجع سبق ذكره، ص 117.
 - 34 Dan Gillmor. op.cit. pp148-150
 - 35 Paul Bradshaw. « WIKI JOURNALISM.Are wikis the new blogs?». FUTURE OF NEWSPAPERS CONFERENCE – CARDIFF – SEPTEMBER 2007.p2.

- 36 Gillmor and Wales. "Looking to the future" "BLOGGING, JOURNALISM & CREDIBILITY: Battl - ground and Common Ground" A conference. at Harvard University, January 21-22, 2005
- 37 مصطفى محمد موسى، المراقبة الإلكترونية عبر شبكة الأنترنت، (مصر: دار الكتب و الوثائق القومية، 2003)، ص 227.
- 38 Shayne Bowman ، Chris Willis :op.cit. 2003.
- 39 سليمان بن عبد الله الميمان وآخرون، تبسيط الأنترنت و الورد وايد واب، (الرياض: دار الميمان، د.ت.)، ص 107.
- 40 عبد الله الغدامي، الثقافة التلفزيونية، سقوط النخبة وبروز الشعبي، ط. 2، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2005م)، ص ص 25-26
- 41 محمد نصر مهنا، في تنظير الإعلام، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2009م)، ص 46.
- 42 Yochai Benkler. The wealth of networks : how social production transforms markets and Freedom. (London : Yale University Press. 2006). p212

وثائقيات:

الفيلم الوثائقي السوداني من بدايات الطريق إلى منصات التتويج

د. النور الكارس
كاتب سيناريو ومخرج
الهيئة العامة للتلفزيون القومي - الخرطوم

التتويج منذ عدة عقود. وإن انقطع الفيلم الوثائقي السوداني عن هذه المنصات لسنوات طوال، نتيجة للإهمال الذي تعرّضت له السينما السودانية خاصة في نهاية السبعينات من القرن العشرين، فقد عاد إليها مرّة أخرى، وبقوّة، ابتداء من العام 1999 نتيجة للظفرة الكبرى التي شهدتها تلفزيون السودان خلال العقود الثلاثة الأخيرة.

ما بين إقلاع فهبوط ثمّ إقلاع، يمكن تقسيم مسيرة الفيلم الوثائقي السوداني إلى ثلاث فترات رئيسية: فترة الفيلم الوثائقي سينمائي الإنتاج والبت، فترة الفيلم الوثائقي سينمائي الإنتاج تلفزيوني البث، وفترة الفيلم الوثائقي تلفزيوني الإنتاج والبت.

أولاً: فترة الفيلم الوثائقي سينمائي الإنتاج والبت:

بدأت الأفلام الوثائقية السودانية خلال هذه الفترة، بالعروض السينمائية السابقة للإنتاج. وهي عروض لم يكن للسودان ناقة ولا جمل في إنتاجها، أو تحديد موضوعاتها، شأنه في ذلك شأن بقية الدول التي كانت تقع تحت سيطرة المستعمر. قامت سلطات الاحتلال الإنجليزي بإدخال العروض السينمائية في السودان، منذ الربع الأول من القرن العشرين، حيث أقيم أول عرض سينمائي

الفيلم الوثائقي أو التسجيلي، هو أحد أشكال المخرجات السمعية البصرية Audio-visual، المهمة التي يمكن توظيفها بفعالية في مجالات التوجيه الفكري والتوعية والإرشاد والإعلام، كما أنه يشكّل أداة فعّالة في ميادين التعليم والتدريب والتثقيف والبحث العلمي.

الآن، وفي ظلّ العولمة، يمكن للدول النامية عموماً والدول العربية والإسلامية على وجه الخصوص أن تستفيد من الأدوار الإيجابية التي يمكن أن يقوم بها الفيلم الوثائقي في المستويات المحلية والإقليمية والعالمية، بدءاً بتعزيز التنمية الشاملة المستدامة على الصعيد المحلي، مروراً بتعزيز الهوية الثقافية محلياً وإقليمياً، وانتهاءً بتعزيز التقارب بين الشعوب، من خلال إثراء ثقافة الحوار مع الآخر ونشر ثقافة التسامح والاعتدال في المستوى الإنساني العالمي.

التنوع الفريد وبأشكاله المتعدّدة الذي تتمتع به الأقطار العربية بما فيها السودان، جعل من هذه البلدان بيئة وثائقية خصبة، أثرت ساحة الإنتاج الوثائقي بتعدّد الموضوعات وتفرّد المعالجات. بدأت مسيرة الفيلم الوثائقي السوداني منذ وقت مبكر، مستندة على ذات التنوع الذي زفّ هذا الفيلم إلى منصات

التنوع الفريد الذي
يميّز الأقطار العربية
جعل منها بيئة وثائقية
خصبة أثرت ساحة
الإنتاج الوثائقي.

التي مرّ بها السودان، مثل إعلان الاستقلال، جلاء المستعمر الإنجليزي، رفع العلم السوداني، وغيرها من الأفلام. كما أنتجت الوحدة مجموعة من الأفلام الدعائية والإرشادية، منها فيلم «الذهب الأبيض» عن مشروع الجزيرة، «مشروع القدمبية الزراعي»، فيلم «مناقل أيكستشن» عن امتداد المناقل، «مشكلة المياه بمدينة الأبيض»، وفيلم «مرض النوم» الذي تحدّث عن مخاطر ذبابة التسي تسي المنتشرة بجنوب السودان. فضلا عن هذا، قامت هذه الوحدة بالتوثيق لمشاهد مختلفة من الحياة في السودان، مثل مشاهد من أم درمان، وعودة الطيارين السودانيين المشاركين في الحرب العالمية الثانية.

أول فيلم أنتجته وحدة أفلام السودان كان عن الحكومة المحلية في مديرية الخرطوم، كما عرضت أفلاما غايتها نشر الوعي والتعليم وسط الأهالي، وأخرى عن الأحداث الوطنية

بعد إعلان استقلال السودان سنة 1956، حاولت الحكومة الوطنية الاستفادة من السينما كوسيلة لنشر الوعي بين الجماهير، فقامت - عبر وحدة أفلام السودان - بإنتاج مجموعة كبيرة من الأفلام الوثائقية الإرشادية والتعليمية، إلى جانب الأفلام الدعائية التي تسلّط الضوء على المشروعات القومية للدولة. وقد عُرضت هذه الأفلام في مختلف أنحاء السودان، بواسطة وحدات العروض المتنقلة التابعة لوزارة الإعلام والثقافة. كما تمّ إلزام دور العرض السينمائية المختلفة، بأن تقدّم مجلة سينمائية مدتها ربع ساعة، قبل بداية العرض الرئيسي. إذ قبيل انطلاق الإرسال التلفزيوني، كانت هذه المجلة السينمائية، تمثّل الوسيلة المرئية الوحيدة التي تعرّف الناس بأنشطة الدولة(4).

حرصا منه على وصول رسالته إلى الجمهور، قام كمال محمد إبراهيم بعمل قياس رأي للمشاهدين، وصل من خلاله، إلى أنّ معالجة القصة هي الأفضل في إبلاغ المعلومة والرسالة إلى المشاهد عبر الفيلم الوثائقي. استنادا على هذا القياس، اتجه إبراهيم في الستينات، إلى إنتاج الأفلام الاجتماعية ذات الوظيفة النقدية، مستخدما في ذلك الحبكة القصصية. من هذه الأفلام فيلم «الطفولة المشردة»،

سنة 1911. كان ذلك العرض يتمثّل في فيلم إخباري قصير وصامت، تمّ عرضه في مدينة الأبيض ضمن الاحتفالات التي أقيمت بمناسبة إكمال خط سكة الحديد إلى هناك. تضمّن الفيلم مقابلة الملك جورج الخامس، ملك بريطانيا العظمى، لبعض الأعيان والمشائخ من أهل السودان في ميناء بورتسودان.

طيلة الفترة الممتدة من هذا العرض الأول وحتى العام 1948، ظلّت حركة الفيلم الوثائقي في السودان تقتصر على العروض السينمائية التي تبنتها الإدارة البريطانية بغية التعريف بمحاسن وعدالة توجّهات الحكم البريطاني في السودان لعامّة أفراد الشعب، أملا في أن يطالب السودانيون بالدخول في نوع من الارتباط السياسي أو الاقتصادي مع بريطانيا إثر الاستقلال (1).

عقب إنشاء وحدة أفلام السودان سنة 1949 - والتي عيّن فيها كمال محمد إبراهيم* كأول سوداني بالوحدة - عمّم ضابط الاتصال العام آنذاك آربر منشورا إلى مديريات السودان المختلفة، أخبرهم فيه بإنشاء الوحدة، وطالبا منهم مدّه بمقترحات حول إنتاج أفلام قصيرة تخصّ مناطقهم. ولتفعيل الوحدة، تمّ التعاقد مع المصوّر السينمائي الجنوب إفريقي باري ماثيو، في بداية سنة 1950، كما تمّ نقل جاد اللّه جبارة من قسم السينما المتجولة إلى الوحدة الجديدة، في وظيفة مساعد مصوّر تحت التدريب. أول فيلم أنتجته وحدة أفلام السودان، كان عن الحكومة المحليّة في مديرية الخرطوم، كما عرضت أفلاما تهدف إلى نشر الوعي والتعليم وسط الأهالي(2).

بعد مضيّ عام على تأسيسها، تمكّنت وحدة أفلام السودان من إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية التعريفية التي تناولت موضوعات مختلفة منها: فيلم «حديقة الحيوان» بمدينة الخرطوم، فيلم «تجفيف الأسماك» بمنطقة الجبلين، وفيلم سياحي تمّ فيه التوثيق لرحلة نيلية من كوستي إلى جوبا، إلى جانب أفلام متعددة تمّ إنتاجها بجنوب السودان، منها فيلمان بمنطقة الزاندي، أحدهما عن المشاريع الإغاشية والآخر عن الأمراض التناسلية بتلك المنطقة(3).

ما يجدر ذكره، أنّ وحدة أفلام السودان، قامت بإنتاج العديد من الأفلام الوثائقية التي تناولت الأحداث والمناسبات المهمة

خلال هذه الحقبة، تمّ إنشاء مؤسسة الدولة للسينما، بموجب قانون المؤسسات لسنة 1971، كمؤسسة تابعة لوزارة الثقافة والإعلام، وكان الهدف منها النهوض بالسينما السودانية في جانبي الإنتاج والعرض. وبالفعل ساعد إنشاء هذه المؤسسة على زيادة إنتاج الأفلام الوثائقية، كما أحدث طفرة في دور العرض السينمائية. من مخرجي هذه الحقبة، المخرج أنور هاشم، الذي أسهم في إنتاج 60 فيلماً وثائقياً منها فيلم «الزار» وفيلم «الدمازين» 1974، إلى جانب فيلم «قصة المشنوق» 1977، و«العرب الرحّل» 1986(7).

في هذه الحقبة، سافر العديد من الشباب إلى الخارج في بعثات لدراسة الفن السينمائي، ثمّ عادوا إلى السودان ليسهموا في دعم حركة السينما السودانية، مرتكزين على ما درسوه من أسس وقواعد علمية. من هؤلاء الشباب، المخرج سليمان النور، الذي درس في معهد السينما بموسكو، ومن أفلامه «إفريقيا»، «ومع ذلك فالأرض تدور»، الذي نال الجائزة الفضية في مهرجان موسكو الحادي عشر للأفلام التسجيلية. وهناك أيضاً منار الحلو والطيب مهدي اللذان درسا التصوير في رومانيا، وقد تخرّج الطيب مهدي من المعهد العالي للسينما بالقاهرة سنة 1977، ومن الأفلام التي قام بإخراجها، فيلم «أربع مرات للأطفال»، الذي يتناول مشكلة الأطفال المعوقين في السودان. كما برز كلّ من المخرجين إبراهيم شداد، الذي درس في ألمانيا الديمقراطية، مهدي بابكر، الذي درس في فرنسا وسامي الصاوي الذي درس الإخراج السينمائي في معهد الفيلم البريطاني بلندن. من بين أفلامه فيلم «دائرة على حجر»، الذي يتناول حرفة صناعة حجر الطحين.

إلى جانب المراكز المتخصصة في الإنتاج السينمائي، اهتمّت بعض الوزارات خلال ذات الحقبة، بإنتاج أفلام وثائقية تساعدها على تنفيذ برامجها وسياساتها، منها وزارتا التربية والتعليم والزراعة والري، حيث كانت كلّ منهما تمتلك - في ما مضى - وحدة للإنتاج السينمائي(8). أمّا في الفترة الراهنة، فيلاحظ أنّ معظم الوزارات والهيئات، تمتلك أجهزة تصوير ومونتاج، بغرض التوثيق لأنشطتها، ساعدها على ذلك ظهور تقنيات الفيديو القليلة الكلفة والسهولة الاستخدام.

وكان يتحدّث عن أسباب انحراف الأطفال، وفيلم «المنكوب»، وكان يتحدّث عن داء الصدر(5). وما يجدر ذكره، أنّ بعض الأفلام التي أنتجتها وحدة أفلام السودان، شاركت في مهرجانات خارجية، وفازت بجوائز، من هذه الأفلام فيلم «السودان الحديث»، وفيلم «الأرض الخضراء»، كما نالت أفلام أخرى جوائز تقديرية، منها فيلم «العودة».

ثانياً: فترة الفيلم الوثائقي سينمائي الإنتاج تلفزيوني البث:

عندما بدأ الإرسال التلفزيوني في السودان، عام 1963، ألحقت بتلفزيون السودان وحدة لإنتاج الأفلام الوثائقية، وقامت هذه الوحدة في بداياتها الأولى بإنتاج مجموعة من الأفلام الوثائقية للوزارات والمصالح الحكومية، بغرض خدمة أهداف الإعلام الإنمائي، كما تولت إنتاج أفلام عن النيل وأخرى عن التراث الشعبي. في هذه الفترة كانت الأفلام الوثائقية تنتج سينمائياً عبر هذه الوحدة، ويتمّ تحويلها من الأفلام السينمائية 35 مليمي و16 مليمي، عبر جهاز التليسينا télécinéma، إلى أشرطة الفيديو لتبث بعدئذ بالتلفزيون، الشيء الذي أتاح لها قدراً أكبر من المشاهدة، مقارنة بدور العرض السينمائية(6).

مع بداية الإرسال التلفزيوني في السودان (أوائل الستينات) ألحقت بالتلفزيون وحدة لإنتاج الأفلام الوثائقية، بغرض خدمة أهداف الإعلام الإنمائي والتعريف بالتراث الشعبي

إثر قيام النظام المايوي في 25 مايو 1969، وازدياد الضغط على وحدة أفلام السودان، تمّ إنشاء وحدة سينمائية تابعة لمصلحة الثقافة وضع على رأسها عبد المنعم عدوي، وقامت هذه الوحدة بإنتاج مجموعة من الأفلام الوثائقية، منها أفلام تناولت العادات والتقاليد والفنون الشعبية بمنطقة الإنقسنا، فيلم «انتزاع الكهرمان» للمخرج حسين الشريف، الذي تمّ تصويره بمدينة سواكن، فيلم «الحبل» وفيلم «الجمال» اللذين تولّى إخراجهما إبراهيم شداد، وفيلم «المحطة» للمخرج الطيب مهدي. وقد نال هذان المخرجان جوائز عن أفلامهما في مهرجانات إقليمية.

للإنتاج التلفزيوني، شركة أنهار للإنتاج التلفزيوني، شركة نبتة للإنتاج الفني والإعلان، قناة الخرطوم الدولية للإنتاج الفني، شركة الصوّاف للإنتاج التلفزيوني، استديو السعد للإنتاج الفني، مؤسسة الفداء للإنتاج الإعلامي، شركة روان للإنتاج الإعلامي والفني وشركة الطيف للإنتاج الإعلامي.

بدخول أجهزة الفيديو في الإنتاج التلفزيوني، شهدت حركة الإنتاج بتلفزيون السودان طفرة واسعة تمثلت في إنجاز أفلام وثائقية في مختلف الأغراض، اعتلى عدد منها منصات التتويج

وجدت الأفلام الوثائقية المنتجة استحسانا ورد ذكره في الكثير من الصحف السودانية، بل وصل عدد من هذه الأفلام إلى منصات التتويج. فخلال الفترة من 1999 إلى 2010 أحرز السودان مراكز متقدّمة من خلال مشاركته في عديد المهرجانات الإقليمية الخاصة بالإذاعة والتلفزيون، من هذه المهرجانات:

مهرجان القاهرة للإذاعة والتلفزيون بمصر، المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون بتونس (دولة المقرّ لاتحاد إذاعات الدول العربية)، مهرجان الخليج للإذاعة والتلفزيون بمملكة البحرين، مهرجان الإذاعات والتلفزيونات الإفريقية (أورتنا)، ومهرجان الجزيرة للأفلام التسجيلية بقطر.

حقّق السودان في هذه المشاركات 26 جائزة منها 12 ميدالية ذهبية، 7 ميداليات فضية و6 ميداليات برونزية، فضلا عن جائزة تقديرية واحدة. والأفلام الفائزة هي:

«الشلك»، «أرض الحضارات»، «صائد التماسيح»، «مراكب الشمس»، «بيت الثعبان»، «درب الأربعين»، «رحلة التراب»، «تبلدية»، «العقرب»، «أرجوحة وزيد»، «في بادية الحوازمة»، «دنقلا العجوز السفينة العتيقة»، «الشباك الندية»، «سارمته جزيرة الأحلام»، «بطان»، «عربة اسمها الكارو»، «أحلام صغيرة كبيرة»، «النوبة»، «الحركة من أسفل»، «من لا شيء» و«الطريق إلى النابع». وتجدر الإشارة إلى أن بعض هذه الأفلام فازت لأكثر من مرّة في أكثر من مهرجان، بينما نال بعضها أكثر من جائزة في المهرجان الواحد.

ثالثا: فترة الفيلم الوثائقي تلفزيوني الإنتاج

والبث:

تتميز هذه الفترة بدخول أجهزة الفيديو في الإنتاج التلفزيوني، والتي دعمت حركة الإنتاج الوثائقي بمحطات التلفزة في مختلف دول العالم. خلال هذه المرحلة، وكغيره من محطات التلفزة في العالم، تحوّل تلفزيون السودان إلى استخدام كاميرات وأجهزة تلعب الفيديو، حيث كانت البداية بالاثنين بوصة 2 inch ثم الواحد بوصة 1 inch فاليوماتيك U-matic والسيوبر في اتش أس SVHS 9. بعدها جاءت أجهزة البييتكام BETACAM، البييتكام أس بي BETACAM SP، الدفي كام DEVCAM والبييتكام الرقمية DIGITAL BETECAM. تتمتع هذه الكاميرات بعدد من الخصائص المميزة، والتي من أهمها سهولة الحمل، والكفاءة العالية للصورة.

نتيجة لدخول هذه التقنية الحديثة، شهد الإنتاج الوثائقي بتلفزيون السودان طفرة واسعة، تمثّلت في إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية، التي تُعرّف بالقبائل السودانية (أعراقها، تاريخها، وسائلها لكسب العيش، عاداتها وتقاليدها وفنون شعبية... الخ)، وأفلام تُعرّف بتاريخ الحضارة السودانية، فضلا عن الأفلام الدعائية التي تتحدّث عن مشاريع التنمية، والتي تقدّم في المناسبات القومية.

في إطار هذه الطفرة، ظهرت مجموعة من السلاسل الوثائقية التي تمّ إنتاجها بهدف تعزيز الهوية الثقافية وتوحيد الوجدان السوداني. من هذه السلاسل على سبيل المثال: «السائحون»، «الطائر الطواف»، «أسفار»، «مليون ميل»، «ممالك على النيل»، «البحر أجمل ما يكون»، «عزة»، «ديل أهلي»، «سلامات يا بلد»، وإلى غير ذلك من السلاسل الوثائقية التي تشتمل كل واحدة منها على عدد من الحلقات المتتالية والمتراصة والتي قد يقارب بعضها العشرين حلقة.

إلى جانب هذه السلاسل الوثائقية، شهد السودان أثناء هذه الفترة إنتاج العديد من الأفلام الوثائقية، التي تقارب المائتي فيلم. أنتج بعض هذه الأفلام في تلفزيون السودان، بينما أنتج معظمها في شركات خاصة. من هذه الشركات على سبيل المثال، مركز أمواج

2 - سلسلة «اعرف بلادك»:

وهي سلسلة وثائقية دورية يتم إنتاجها سنويا تحت إشراف اتحاد إذاعات الدول العربية، مدة الحلقة منها أو الفيلم 26 دقيقة. عقب الإنتاج، يتم توزيع حلقات السلسلة على الهيئات الأعضاء التي تلتزم ببثها. شاركت الهيئة السودانية للإذاعة والتلفزيون في السلسلة عام 2007 بالفيلم الوثائقي «سوق أم درمان معمر لا يشيخ» في محور الأسواق العربية، بينما شاركت في العام 2009 بفيلم «ميناء بورتسودان لؤلؤة الشرق» في محور الموانئ العربية، و«الطريق إلى النابغ» في محور السياحة الصحراوية. وقد فاز الأخير بالمركز الأول في مهرجان الإذاعة والتلفزيون الرابع عشر بتونس 2009 .

3 - سلسلة «بين الضفاف»:

ينحصر الإنتاج الوثائقي العربي الأوروبي المشترك في سلسلة «بين الضفاف»، وهي سلسلة وثائقية عربية أوروبية يتم إنتاجها لتبث في شكل مجلة وثائقية يحتوي كل عدد منها على ثلاث حلقات مدة الواحدة منها 13 دقيقة. يشرف على إنتاج هذه السلسلة اتحاد إذاعات الدول العربية والمؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية بحوض البحر الأبيض المتوسط (COPEAM) بالعاصمة الإيطالية روما.

تهدف هذه السلسلة إلى دعم حوار الحضارات في المنطقة العربية والمتوسطة، ونشر ثقافة التسامح والاعتدال والانفتاح، كأداة تحقق التقارب بين الشعوب، وذلك من خلال التوثيق لشخصيات أسهمت في إثراء الفكر والثقافة الإنسانية.

شارك السودان في هذه السلسلة بثلاثة أفلام تم إنتاجها وفقا للمحاور المحددة. في محور المرأة شارك السودان بفيلم يوثق للدكتورة زينب عبد الله المتخصصة في الأزياء الشعبية لقبائل شرق وغرب السودان. وفي محور اتجاهات الفن المعاصر شارك السودان بفيلم يوثق لتجربة المفكر والفنان التشكيلي الراحل الدكتور أحمد عبد العال، بينما في محور الهجرة شارك السودان بفيلم يوثق للأستاذة جريزدا وليام تريديويل أو جوهرة الطيب

مشاركات تلفزيون السودان في الإنتاج الوثائقي

المشترك (10):

إلى جانب الأفلام الوثائقية التي تم إنتاجها وفقا لخطط تلفزيون السودان البرامجية أو عبر المبادرات الفردية من قبل بعض المبدعين، شارك السودان عبر الهيئة السودانية للإذاعة والتلفزيون في عديد السلاسل الوثائقية التي يشرف على إنتاجها وبثها اتحاد إذاعات الدول العربية (أسبو) لوحده، أو بالتعاون مع شركائه من الاتحادات النظرية.

ففي إطار الإنتاج العربي المشترك شارك السودان في كل من سلسلتي «مكان في الذاكرة» و«اعرف بلادك» بأربعة أفلام، بينما شارك في الإنتاج العربي الأوروبي المشترك في سلسلة «بين الضفاف» بثلاثة أفلام.

يشارك التلفزيون السوداني في مختلف السلاسل الوثائقية التي يشرف عليها اتحاد إذاعات الدول العربية. (مكان في الذاكرة، اعرف بلادك)، كما يساهم في الإنتاج الوثائقي العربي الأوروبي (بين الضفاف)

1 - سلسلة «مكان في الذاكرة»:

وهي سلسلة وثائقية تم إنتاجها تحت إشراف اتحاد إذاعات الدول العربية .

تدور فكرة هذه السلسلة حول إنتاج كل هيئة فيلما وثائقيا مدته 26 دقيقة، يتناول موقعا جغرافيا كان منطلقا لمسيرة إبداعية لفرد أو لمجموعة بشرية أسهمت في إثراء الفكر والثقافة الإنسانية.

شارك السودان في هذه السلسلة بالفيلم الوثائقي «دنقلا العجوز السفينة العتيقة». يتحدث هذا الفيلم عن منطقة دنقلا العجوز باعتبارها بؤرة إشعاع حضاري سوداني عبر الحقب التاريخية المختلفة، كما يتحدث عن إنسان المنطقة المعاصر، عاداته وتقاليده وقيمه السمحة. فاز هذا الفيلم في مهرجان الإذاعة والتلفزيون الثاني عشر بتونس (سبتمبر 2005).

الهوامش:

- (1) كمال محمد إبراهيم، كراسة السينما، منشورات الخرطوم عاصمة للثقافة العربية 2005 (الأمانة العامة للخرطوم عاصمة للثقافة العربية، 2005) ص 47 .
 - (2) علي محمد شمو، الخبير الإعلامي ووزير الإعلام السوداني الأسبق، مقابلة في مكتبته بالخرطوم يوم 25 يونيو 2009 .
 - (3) كمال محمد إبراهيم، السينما في السودان، ماضيها، حاضرها ومستقبلها سلسلة أروقة (الخرطوم: مؤسسة أروقة للثقافة والفنون، ط 2003، م1)، ص 21 .
 - (4) كمال محمد إبراهيم، السينما في السودان، ماضيها، حاضرها ومستقبلها، مرجع سابق، ص 24 .
 - (5) جاد الله جبارة، حياتي والسينما (الخرطوم: شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، يوليو 2008)، ص 60 .
 - (6) صلاح مهران مهدي، خبير سوداني في مجال الإنتاج السينمائي، مقابلة معه بأم درمان الختانة، 2010/7/31 .
 - (7) أنور هاشم، مخرج سينمائي سوداني، مقابلة معه بمباني تلفزيون السودان (2008/2/10).
 - (8) وجدي كامل، مخرج وناقد سينمائي سوداني، مقابلة بمكتبته بشركة الطيف للإنتاج الإعلامي (22 يناير 2008).
 - (9) مدني محمد عمر، مدير إدارة الدراما، الإدارة العامة للإنتاج المتخصص، مقابلة معه (2010/8/1).
 - (10) النور الكارس، الفيلم الوثائقي ودوره في تعزيز الهوية الثقافية، رسالة دكتوراه غير منشورة (أم درمان: جامعة أم درمان الإسلامية، كلية الإعلام، أكتوبر 2005)، ص 229-232 .
- * أشير هنا إلى أن استخدامي لمصطلح فيلم وثائقي يأتي لقناعتي بأن لا فرق بين وثائقي وتسجيلي، إذ يعزى الأمر إلى الاختلاف حول ترجمة المصطلح الإنجليزي Documentary Film لجون جريسون والذي استمده بدوره من المصطلح الفرنسي Film Documentaire. والذي يعني أن الفيلم وثيقة عن المكان أو الحدث أو الشخص الذي يتناوله.
- * أول سيناريسست ومخرج بقسم الإنتاج السينمائي بوحدة أفلام السودان 1949، عمل مديرا عاما للوحدة، تلقى دراسات في الإنتاج السينمائي بقبرص وبريطانيا، رئيس اتحاد السينمائيين السودانيين، عضو جمعية الكينماتوغراف البريطانية بلندن BKS، عضو جمعية السينما والتلفزيون الأمريكي بنيويورك SMPTA، قام بإخراج وكتب السيناريو لقرابة الأربعين فيلما وثائقيا.

أرملة المفكر الراحل الأستاذ الدكتور عبد الله الطيب.

هذه السلاسل الوثائقية التي تم تنفيذها في إطار الإنتاج المشترك، ساعدت كثيرا في توظيف الفيلم الوثائقي لخدمة قضايا البلدان العربية. وإن كان اتحاد إذاعات الدول العربية يقف وراء نجاح هذه السلاسل، فينتظر من محطات التلفزة العربية أن تستفيد من ألياتها لتعمم التجربة على بقية إنتاجها الوثائقي، حتى تفلح في تطوير هذا الإنتاج في محطاتها وتقلل من أخطائه وسلبياته.

ويجدر التذكير بأن الفيلم الوثائقي السوداني ومنذ بداياته الأولى، ظل يتناول موضوعات تسلط الضوء على التنوع الفريد الذي يتمتع به السودان. كما أن هذا الفيلم ظل يشكل حضورا لا تحطئه العين في المحافل الإقليمية والعالمية، سواء عبر البث أو من خلال المشاركة والفوز في المهرجانات المختلفة. وإن كان هذا لا يعني نهاية المطاف، فالفيلم الوثائقي في معظم محطات التلفزة العربية بما فيها السودان، ظل يعاني من معوقات عديدة تعترض مسيرته وتحول دون منافسته للإنتاج الأجنبي، ولذا، تقع على عاتق محطات التلفزة العربية جميعها مهمة تدليل هذه المعوقات، وذلك من خلال الاهتمام بالتخطيط والتمويل وتوفير أحدث الأجهزة والمعدات، إلى جانب الاهتمام بالتدريب المتواصل، وبرمجة البث الجيدة.

ومن ناحية أخرى، على هذه المحطات أن تدرك أن التحدي الحقيقي أمام الفيلم الوثائقي العربي يتمثل في ضرورة وصوله إلى مستوى منافسة الإنتاج السمعي البصري الغربي. ذلك الإنتاج الذي يُبهر المشاهد المحلي بشكله الجذاب، ويهدد هويته الثقافية بمضامينه المحملة بقيم مغايرة.

الأفلام الوثائقية السودانية الفائزة في مهرجانات إقليمية
خلال العقدين الماضيين

رقم	عنوان الفيلم	المهرجان	سنة الفوز	نوع الجائزة	المخرج	كاتب السيناريو
1	الشك	تونس	1999	ذهبية	سيف الدين حسن	د. النور الكارس
2	أرض الحضارات	تونس	1999	ذهبية	سيف الدين حسن	د. النور الكارس
3	مراكب الشمس	تونس	2001	ذهبية	سيف الدين حسن	السموأل الشفيح
4	في بادية الحوازمة	تونس	2001	ذهبية	حاتم بابكر	صالح عجب الدور جمال الدين علي
5	صائد التماسيح	تونس	2001	فضية	سيف الدين حسن	السموأل الشفيح
6	تبليدية	القاهرة	2005	برونزية	محمد ميرغني المزمل	مستور آدم اسماعيل
7	العقرب	أورتنا	2003	ذهبية	د. وجدي كامل	د. وجدي كامل
8	درب الأربعين	تونس	2003	برونزية	سيف الدين حسن	عبد الحفيظ مريود
9	عربة اسمها الكارو	القاهرة	2004	فضية	كباشي العوض	كباشي العوض
10	بيت الثعبان	الخليج	2004	تقديرية	سيف الدين حسن	د. النور الكارس
11	بطان	الجزيرة	2004	برونزية	كباشي عوض	كباشي العوض
12	بيت الثعبان	الجزيرة	2005	فضية	سيف الدين حسن	د. النور الكارس

صالح عجب الدور	الأرقم الجيلاني	فضية	2003	القاهرة	رحلة التراب	13
الشاذلي حامد	محمد نعيم سعد	ذهبية	2004	القاهرة	الحركة من أسفل	14
د. النور الكارس	د. النور الكارس	فضية	2005	تونس	دنقلا العجوز السفينة العتيقة	15
كباشي العوض	عادل حسن الياس	ذهبية	2005	القاهرة	أحلام صغيرة كبيرة	16
د. وجدي كامل	د. وجدي كامل	ذهبية	2006	القاهرة	أرجوحة وزيد	17
د. النور الكارس	د. النور الكارس	ذهبية	2006	ذهبية	الشباك الندية	18
د. النور الكارس	د. النور الكارس	برونزية	2007	تونس	سارمته جزيرة الأحلام	19
عبد الحفيظ مريود	سيف الدين حسن	برونزية	2007	تونس	النوبة	20
عبد الرحمن عبد الرازق	خالد الباشا	فضية	2009	تونس	من لا شيء	21
عباس أحمد الحاج	عبد الغفار أحمد بشير بابكر	ذهبية	2009	تونس	الطريق إلى النابع	22
عبد الرحمن عبد الرازق	خالد الباشا	فضية	2010	الخليج	من لا شيء	23
د. النور الكارس	د. النور الكارس	برونزية	2010	تونس (مسابقة المرور العالمية)	هذا السائق	24
د. النور الكارس	د. النور الكارس	خاصة	2010	الأردن	حكاية كشب	25
عباس أحمد الحاج	عبد الغفار أحمد بشير بابكر	ذهبية	2010	الأردن	الطريق إلى النابع	26
النور معني النور	حاتم بابكر	أفضل برنامج تبادل	2010	أفضل برنامج تبادل باتحاد إذاعات الدول العربية لعام 2010	الحنة	27

أنشطة الاتحاد

المجلس التنفيذي في اجتماعه (87)

*** مساهمات إيجابية للهيئات الأعضاء في إنجاز خطة عمل الاتحاد وإنجازها**
*** متابعة سير إعداد الدراسة الاستشرافية حول سبل تطوير أداء الاتحاد ومناهج عمله**
والتقدم بمقترحات إثرائها

عقد المجلس التنفيذي لاتحاد إذاعات الدول العربية اجتماعه السابع والثمانين في تونس يومي 15 و16 يونيو/حزيران 2012 برئاسة الأستاذ محمد حاتم سليمان المدير العام للهيئة القومية للتلفزيون السوداني ورئيس الاتحاد وبحضور الدكتور رياض بن كمال نجم النائب الأول لرئيس الاتحاد والأستاذ صلاح الدين معاوي المدير العام للاتحاد، وبمشاركة وفود الهيئات الأعضاء وأجهزة الاتحاد الدائمة.

واعتذر عن حضور الاجتماع وفد هيئة الإذاعة والتلفزيون السورية، كما تغيب عن الحضور وفود كل من إذاعة وتلفزيون لبنان والشركة الوطنية للإذاعة والتلفزة المغربية.

وأشاد رئيس الاتحاد بالحرص الدائم لأعضاء المجلس على المساهمة في أنشطة الاتحاد والمشاركة في أعماله وإثراء نقاشاته.

أما المدير العام للاتحاد فذكر بأن هذه الدورة مخصصة للنظر في إنجازات الاتحاد خلال السداسي الأول من عام 2012، والتوجهات المتصلة بنشاطه خلال النصف الثاني من السنة، معلنا أن نشاط الاتحاد قد تواصل بنسق عادي، رغم الظروف الاستثنائية التي تمرّ بها المنطقة العربية، وكان ذلك بفضل المساهمات الإيجابية للهيئات الأعضاء في إنجاز برنامج عمل الاتحاد وإنجاحه.

وانكبّ أعضاء المجلس على دراسة أنشطة الاتحاد في المجالات الإذاعية والتلفزيونية والإخبارية والرياضية والهندسية وكذلك التعاون العربي والدولي.

كما اطلع على تقرير كل من المركز العربي لتبادل الأخبار والبرامج بالجزائر، والمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني بدمشق، وعلى تقرير اللجنة الدائمة للشؤون الإدارية المالية القانونية والتوصيات المنبثقة عنها.

وأولى المجلس اهتمامه كذلك بسير إعداد الدراسة الاستشرافية حول سبل تطوير أداء الاتحاد ومناهج عمله.

واستعرض المجلس مذكرات الإدارة العامة للاتحاد بشأن الحركة التي تشهدها التبادلات الإذاعية والتلفزيونية خلال السداسي الأول من عام 2012، ومدى تنفيذ الأنشطة والفعاليات المقررة ضمن خطة عمل الاتحاد خلال هذه السنة.

وبعد نقاش مستفيض لكل المواضيع المطروحة أقرّ التوجهات والتوصيات التالية:

في مجال الإذاعة، وافق المجلس التنفيذي على المقترح الذي تقدمت به الإدارة العامة بشأن فعاليات احتفالية «2012» عام الإذاعة العربية والممثل في إقامة الندوة الدولية حول «مستقبل الإذاعة 2020» ضمن فعاليات الدورة الخامسة عشرة للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في الخريف القادم، وتكريم نخبة من الإذاعيين العرب بالمناسبة، إضافة إلى إدراج المواضيع التي تخص مجالات الأخبار والرياضة والبرامج التفاعلية في الإذاعة اعتباراً لأهميتها ضمن بنود جدول أعمال الاجتماع العادي القادم للجنة الدائمة للإذاعة المقرر عقده في أكتوبر/تشرين الأول 2012 .

كما نوّه بالجهود المبذولة من قبل الإذاعة الفلسطينية بانضمامها إلى نشاط التبادل الإذاعي، رغم عدم تمكّنها من تركيب محطاتها الطرفية عبر «المينوس/أسبو» بسبب ظروف الاحتلال، وكذلك رغبتها في تنظيم اليوم الإعلامي المفتوح إذاعياً لدعم القضية الفلسطينية وصمود القدس والمقرر يوم 29 نوفمبر/تشرين الثاني، وحثّ كافة الهيئات الإذاعية الأعضاء على المساهمة مع الإذاعة الفلسطينية في الاحتفاء بهذا اليوم المفتوح.

أما في مجال البرامج التلفزيونية، فقد دعا المجلس إدارات البرامج بهيئات التلفزيون إلى تفعيل مشاركتها في مختلف أصناف التبادلات البرمجية بشقيها الثابت والاختياري، وإلى الالتزام بالمواعيد المنصوص عليها في الجداول الزمنية التي تعدّها الإدارة العامة في هذا الشأن، مع مراعاة وضع جميع البرامج التي تمّ بثّها في خدوم الأرشيف لنظام المينوس ضمن التخزين المتوسط المدى، لتمكين الهيئات التي لم تعمل على استقبالها مباشرة أثناء التبادل من الحصول عليها بعد ذلك.

كما جاء التأكيد على استمرار التعاون والشراكة بين الاتحاد والمؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية في حوض البحر الأبيض المتوسط الكوبيام (COPEAM) في ميدان الإنتاج المشترك للسلسلة الوثائقية «بين الضفاف III» تحت عنوان «ربيع الأجيال الجديدة».

وثمّن المجلس الجهود المبذولة من قبل الإدارة العامة للاتحاد ومؤسستي الإذاعة والتلفزيون التونسيين في سبيل الإعداد المبكر لتنظيم الدورة الخامسة عشرة (15) للمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون ودعوة كافة الهيئات الأعضاء إلى دعم هذه التظاهرة الإعلامية العربية الكبرى، من خلال تفعيل مشاركتها في مختلف فعاليات المهرجان وفي مقدمتها سوق المهرجان والمسابقات البرمجية والإخبارية، الإذاعية والتلفزيونية.

كما حثّ كافة الهيئات الإذاعية والتلفزيونية الأعضاء إلى إيلاء المزيد من الاهتمام لموضوع بثّ فعاليات المهرجان، وخاصة منها سهرة الختام وإعلان النتائج على قنواتها، مساهمة منها في الترويج لهذه التظاهرة العربية الكبيرة وزيادة إشعاعها.

وفي ما يتعلق بالأخبار التلفزيونية، توجّه المجلس بالشكر إلى اللجنة الدائمة للأخبار على المقترح الذي تقدمت به إثر اجتماعها الاستثنائي المنعقد بتونس يومي 18 أبريل/نيسان 2012 والمتصل باعتماد آليات جديدة لتغطية الأحداث الهامة المعلن عنها والطارئة داخل المنطقة العربية، تنفيذاً للتوصية الصادرة عن المجلس التنفيذي في اجتماعه السادس والثمانين.

ويحال المقترح الذي عرضته اللجنة الدائمة للأخبار إلى الجهة المكلفة بإنجاز الدراسة الاستشراافية التي يعدّها الاتحاد الآن حول تطوير آليات عمله والارتقاء بأدائه وذلك قصد الاستئناس به في تقديم مجموعة من الخيارات التي تصبّ في اتجاه اقتحام عملية الإنتاج في ميدان الأخبار داخل المنطقة العربية من قبل الاتحاد، والتأمين الأكيد لتغطية الأحداث الهامة بالمنطقة العربية وفق المعايير والمتطلبات المهنية.

وفي مجال الرياضة، أقرّ المجلس لدى اطلاعه على مذكرة الإدارة العامة حول نشاط الاتحاد والأحداث التي تولّى توفير تغطيتها لفائدة هيئاته خلال النصف الأول من عام 2012، ووجه الشكر إلى هيئات كلّ من الكويت والبحرين والإمارات العربية المتحدة وقطر والجزائر وسلطنة عمان وفلسطين على مبادراتها بعرض أحداث رياضية محلية ودولية مختلفة وفق توصيات اللجنة الدائمة للرياضة، فيما دعا بقية الهيئات إلى توفير الأحداث الرياضية والإقليمية والدولية التي تحتضنها بلدانها لدعم التبادل الرياضي بصفة أشمل خلال الأشهر القادمة.

وأعرب المجلس عن ارتياحه للترتيبات النهائية لخطّة التغطية التلفزيونية ذات الصلة بدورة الألعاب الأولمبية الصيفية (لندن 2012) بشقيها الجماعي، من خلال توفير بثّ 11 قناة تلفزيونية، والثنائي لخدمة فرق التغطيات الخاصة بالهيئات الأعضاء لهذه الدورة.

كما دعا الهيئات إلى تزويد الإدارة العامة للاتحاد بقائمة لأبرز المتخصصين في التغطيات الرياضية، من مهندسين وفنيين ومعلّقين عاملين لديها، مع تحديد مواصفات وخبرة كل منهم مرفوقة بأقراس DVD للمعلّقين تحتوي على نماذج لأدائهم، وذلك بغية إنشاء بنك معلومات يستفيد منه الاتحاد عند اختيار أعضاء الفريق العربي الموحد، ودعوة الإدارة العامة إلى أخذهم في الاعتبار عند تشكيل فرق التغطية الموحدة للبطولات.

وكلفّ المجلس الإدارة العامة للاتحاد بوضع أسس للتعامل مع قناة الجزيرة الرياضية ومع أيّ قنوات رياضية أخرى، بما يضمن مستقبلا مصالح الاتحاد وهيئاته الأعضاء في مجال اقتناء حقوق الأحداث الرياضية المتنوّعة، هذا إلى جانب دعوة الهيئات الأعضاء إلى عدم إنتاج الإشارة التلفزيونية لأيّ حدث رياضي تشارك فيه أحد أنديتها أو أحد منتخباتها ويقام فوق أراضيها، وعلى الأخص البطولات الآسيوية والإفريقية، وعدم السماح أيضا لأيّ شركة أو جهة أجنبية حاصلة على حقوق هذه البطولات القيام بهذا العمل عوضا عنها، وذلك قصد حماية حقوق القنوات الإذاعية والتلفزيونية المحلية في الحصول على حقوق النقل والسماح للمواطن العربي بمتابعة نشاط فريقه أو منتخبه عبر قنواته الوطنية.

وتمّ التأكيد على وجوب سنّ تشريعات في مستوى الوطن العربي لحماية مصالح الهيئات الإذاعية والتلفزيونية العربية، الحكومية منها والخاصة، وذلك على غرار ما هو معمول به في المنطقة الأوروبية والتي تعتبر التظاهرات والبطولات الرياضية الكبرى ملكا جماعيا عامة لا يجوز لأيّ جهة من الجيئات احتكار حقوق بثها.

وفي الشؤون الهندسية وافق المجلس على ما ورد في المذكرة المقدمة بهذا الشأن، من الإدارة العامة ومركز التبادل استكمال تحويل قنوات التبادل التلفزيوني الرقمي في أسرع فرصة لتعمل بهذا النظام في إطار منظومة التبادل التلفزيوني الرقمي للاتحاد، وذلك بالنظر إلى الفوائد التشغيلية والاقتصادية لنظام التشكيل وإعادة التشكيل الترددي DVD-S2.

وأكد المجلس ضرورة اعتماد الهيئات الأعضاء استراتيجية لأرشفة المواد الإذاعية والتلفزيونية ذات وثوقية عالية، من خلال تبني حلول تقنية مختلفة وموازية لضمان حفظ المحتوى السمعي البصري، سيما وأنه يمثل ثروة وطنية وذاكرة الشعوب، مع استحداث الهيئات الأعضاء على اتخاذ الترتيبات اللازمة لأرشفة موادها المنتجة يوميا.

وسعى إلى تطوير الإنتاج والتشغيل بنظام التلفزيون عالي الدقة، طلب من الهيئات الاهتمام بالمحافظة على الجودة التقنية لإشارة التلفزيون عالي الدقة أثناء مراحل الإنتاج، والاستئناس بالخطوط التوجيهية التي حددتها مجموعة العمل الهندسية للاتحاد حول الإنتاج والتشغيل الإذاعي والتلفزيوني في هذا الغرض.

كما طلب من الإدارة العامة تزويد الهيئات المشاركة في باقة IPTV دوريا (كل ثلاثة أشهر) بالإحصاءات عن عدد المستخدمين ومدّة مشاهدتهم أو استماعهم للبرامج، والعمل أيضا على تعميم كافة المعلومات الأخرى المتصلة بهذا المشروع.

وتّم التأكيد على ضرورة بذل الجهود من قبل الإدارة العامة والهيئات الأعضاء لمزيد الترويج لموقع الباقة العربية الموحدة بتقنيات الـ IPTV و Web-TV (WWW.GLARAB.COM).

وتكليف اللجنة الهندسية بالاستمرار في متابعة دراسة كافة التطوّرات التكنولوجية المتسارعة ذات العلاقة بالقطاع السمعي البصري وتطبيقاتها المختلفة ووضع التوجهات والتوصيات الملائمة التي تساعد الهيئات على إدخالها والاستفادة منها.

والتنويه بالتطوّرات الإيجابية الإضافية في نظام المينوس والمتمثلة في تحسين برمجيات النظام وإضافة خدمات تبادلية جديدة (FTP، HDTV، FNG) وتوفير نظام أرشفة بنظام HDTV من جهة، وإضافة شبكات تقديرية تعمل ضمن النظام من جهة أخرى.

وضرورة استكمال الترتيبات الخاصة بإدخال خدمة تبادل الملفات (FTP) عبر نظام المينوس في أسرع وقت، لما توفره هذه الخدمة من مميزات اقتصادية وتشغيلية للهيئات الأعضاء.

والترحيب بالخطوات المتصلة بالتعاون مع كل من اتحاد الإذاعات الإفريقية واتحاد الإذاعات الأوروبية واتحاد الإذاعات الإسلامية في مجال الربط واستخدام نظام المينوس عبر شبكات ومحطات طرفية، مما سيعزز التعاون والتبادل مع هذه الجهات.

ودعوة الإدارة العامة ومركز التبادل إلى الإسراع باستكمال إنجاز ربط نظام المينوس مع شبكة Genesis للألياف الضوئية أو أية شركات أخرى تؤدي نفس الخدمة.

وفي خصوص التعاون العربي والدولي، جدّد المجلس الدعوة إلى الهيئات الأعضاء من أجل المشاركة في مختلف التظاهرات العالمية والإقليمية التي تقيمها المنظمات والاتحادات الدولية.

والتأكيد على مشاركة الهيئات الأعضاء في القمة الآسيوية للإعلام التي يساهم فيها الاتحاد بشكل فعّال، مع الحرص على إشراك الخبرات العربية في جلسات القمة ومحاورها، سيما وأن الاتحاد حرص على أن تعتمد القمة اللغة العربية لغة أساسية في أشغالها، إلى جانب اللغة الإنجليزية.

ولدى اطلاعه على تقرير المركز العربي لتبادل الأخبار والبرامج وملاحق نشاطه في السادسة الأخيرة، أشاد المجلس

بكل الهيئات التي ساهمت في تقديم الأخبار الطارئة عبر نظام المينوس من خلال التزامها بالآلية التي حددها ميثاق التبادلات الإخبارية، والحث على استغلال الإمكانيات والتسهيلات التي تتيحها منظومة المينوس.

ودعا إلى ضرورة انتقاء أفضل المواد الإخبارية المتوفرة في إدارات الأخبار، مع الحرص على تنوع المادة الإعلامية المعروضة للتبادل كي تشمل كل الأنواع الصحفية، تقارير، تحقيقات، بورتيهات بكل المواصفات المهنية المطلوبة لتأمين نشر الخبر العربي على أوسع نطاق.

وكذلك الالتزام بالمؤتمر الصوتي اليومي الذي يعتبر مؤتمرا تحريريا رئيسيا والمؤتمرات الصوتية الأخرى التي ينص عليها ميثاق نظام التبادلات الإخبارية، ودعوة جميع الهيئات إلى إرسال تقارير بوتيرة شهرية منتظمة تحتوي على جداول وبيانات حول مدى استخدام المادة المعروضة للتبادل ضمن شبكاتها البرمجية.

وفي ضوء تقرير المركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني عن نشاطه خلال الفترة الفاصلة بين اجتماعي المجلس التنفيذي الأخيرين، تمّ تكليف إدارة المركز بتفعيل التدريب عن بعد والبدء في تنفيذ دورات تدريبية باستخدام نظام المينوس، واعتماد منسقين من الهيئات الأعضاء ل يتم منح شهادات للمشاركين في كل دورة، إضافة إلى تنظيم دورات بواسطة الإنترنت. وأيضا تفعيل التدريب اللامركزي والإقليمي وتشجيع الهيئات على اعتماد هذا النوع من التدريب، والاستمرار في تنفيذ الدورات التدريبية البرمجية والهندسية في كل من عمّان وتونس، أو في أيّ هيئة عضو ترغب في تنظيم أيّ دورة من دورات المركز.

«الدراسة الاستشرافية حول سبل تطوير أداء الاتحاد ومناهج عمله»

أطلع المجلس على المذكرة المقدمة من قبل الفريق الذي كلفته الإدارة العامة بالإشراف على إنجاز هذه الدراسة تنفيذًا لقرار الجمعية العامة في هذا الشأن خلال دورتها العادية الحادية والثلاثين وأوصى بما يلي:

* الموافقة على الوثيقة التي عرضها الفريق المشرف وما تضمنته من تحديد لمحاور الدراسة وللمنهجية المقترحة اعتمادها ولمراحل إنجازها.

* التأكيد على ضرورة تناول هذه الدراسة تطوير الجوانب التسويقية وتنمية الموارد المالية للاتحاد.

* النظر في مدى ملاءمة أهداف الاتحاد الحالية والتي تم وضعها منذ أكثر من أربعين سنة للدور المستقبلي الذي يرنو الاتحاد إلى الاضطلاع به.

* إقامة ورشة عمل تسبق اجتماع الفريق المكلف من قبل الجمعية العامة بمتابعة إنجاز هذه الدراسة خلال شهر أكتوبر 2012 تكون مفتوحة لمشاركة كل الهيئات الأعضاء وللخبراء المساهمين في إعداد البحوث المرجعية للدراسة.

* حث الهيئات الأعضاء على ملء الاستبيان الخاص بهذه الدراسة بكل عناية وإرساله إلى الإدارة العامة للاتحاد في أقرب وقت ممكن، وعلى الإسهام في إثراء الدراسة بما يتوفر لديها من معطيات، وتقديم مقترحات وإشراك خبراتها في الورشة المزمع عقدها خلال شهر أكتوبر 2012.

الدورة الحادية عشرة لمسابقة الأغنية الإذاعية والمقطوعة الموسيقية العربية

نظم اتحاد إذاعات العربية في تونس خلال الفترة من 25 إلى 28 يونيو/حزيران 2012 الدورة الحادية عشرة لمسابقة الأغنية الإذاعية والمقطوعة الموسيقية العربية وذلك بالتعاون مع الإذاعة التونسية التي استضافت الدورة.

ويندرج تنظيم هذه التظاهرة الفنية في إطار تشجيع الإنتاج الموسيقي والغنائي العربي وتطويره والتعريف بمختلف أشكاله، ونشر الثقافة الموسيقية العربية الأصيلة والحفاظ على التراث الغنائي العربي.

وقد شاركت ثماني هيئات إذاعية عربية أعضاء في الاتحاد، في مسابقة الأغنية الإذاعية التي تمحور موضوعها حول «أغاني الشباب».

أما المقطوعة الموسيقية فاشتراط أن تكون مؤلفة وفق المقامات والإيقاعات العربية.

وقد رصدت إلى كل من الصنفين ثلاث جوائز مالية، منحتها لجنة تحكيم ضمت موسيقيين وشعراء غنائيين من خمس دول عربية.

وتولت الإذاعة التونسية تنظيم سهرة خاصة بهذه المسابقة، وبثها على الهواء مباشرة بواسطة نظام التبادل الإذاعي عبر الساتل (المينوس)، وتخللها حوار دار بين شخصيات فنية ومهتمين بشؤون الموسيقى والغناء.

وبالنسبة إلى مسابقة الأغنية العربية :

أسندت الجائزة الأولى إلى أغنية «مفتوح باب الحلم» من إنتاج الإذاعة التونسية، والجائزة الثانية إلى أغنية «شباب المجد» (الإذاعة السودانية) ، فيما حصلت أغنية « شباب » (إذاعة البحرين) على الجائزة الثالثة.

أما بالنسبة إلى مسابقة المقطوعة الموسيقية فكانت النتائج على النحو التالي :

الجائزة الأولى فازت بها مقطوعة «عنقوان الشباب و الأمل» من إنتاج الإذاعة اللبنانية، والجائزة الثانية أسندت إلى مقطوعة « بلادي » (الإذاعة الجزائرية)، والثالثة إلى مقطوعة «أحباب» من إنتاج إذاعة قطر.

المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في دورته الخامسة عشرة

يقيم اتحاد إذاعات الدول العربية المهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون في دورته الخامسة عشرة بتونس في الخريف القادم، وذلك بالتعاون مع مؤسستي الإذاعة والتلفزة التونسيين. وانطلقت بعد الاجتماعات التنسيقية والإعدادية بين المؤسسات الثلاث، سعيًا إلى إعطاء دفع جديد للمهرجان على المستوى الإقليمي، خاصة وأنه لم يتسنّ تنظيم الدورة في عام 2011، بسبب الأحداث الكبرى التي عاشتها المنطقة العربية.

والمهرجان العربي للإذاعة والتلفزيون هو مهرجان دوري ينظمه الاتحاد مرة كل عامين في العاصمة التونسية بالتداول مع مهرجان الأغنية العربية.

ومن أهدافه، المساهمة في تطوير الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني العربي ورفع مستواه على النحو الذي يلبي تطلعات الهيئات الأعضاء والمبادئ التي تعمل من أجلها، إلى جانب رصد الاتجاهات المبتكرة والجادة في الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني العربي وتشجيعها في سبيل تنمية الطاقات الإبداعية العربية في هذا الميدان.

يشتمل المهرجان بصورة رئيسية على الفعاليات التالية:

أ - مسابقة للبرامج التلفزيونية، وتضم أربعة أصناف من البرامج، وتنقسم إلى قسمين:

* المسابقة الرئيسية وهي مخصصة للبرامج التلفزيونية المنتجة من قبل الأعضاء العاملين والمشاركين في الاتحاد.
* المسابقة الموازية وهي مخصصة للبرامج التلفزيونية المنتجة من قبل الشبكات التلفزيونية العربية الخاصة وشركات الإنتاج العربية العمومية والخاصة.

ب - مسابقة للبرامج الإذاعية وتضم ثلاثة أصناف من البرامج:

وهي مخصصة للبرامج الإذاعية المنتجة من قبل الهيئات الأعضاء في الاتحاد والمحطات الإذاعية العربية الخاصة وشركات الإنتاج العربية الخاصة.

ج - ندوات وورشات لمناقشة قضايا الإنتاج الإذاعي والتلفزيوني.

كما تقام على هامش المهرجان سوق تلفزيونية وإذاعية تشارك فيها الهيئات الأعضاء والشبكات التلفزيونية والإذاعية الخاصة وشركات الإنتاج.

تجربة الإنتاج الإخباري

عقدت اللجنة الدائمة للأخبار بالاتحاد اجتماعا استثنائيا بتونس يومي 17 و18 أبريل/نيسان 2012 برئاسة الأستاذ سالم ظاهر كرم رئيس اللجنة وبحضور الأستاذ صلاح الدين معاوي المدير العام للاتحاد وبمشاركة مديري الأخبار أو ممثليهم في أربع عشرة هيئة.

ويأتي هذا الاجتماع تنفيذًا لتوصيات المجلس التنفيذي والجمعية العامة في اجتماعيهما الأخيرين 2011، إذ تم التأكيد على ضرورة إيلاء موضوع تأمين تغطية الأحداث الطارئة في المنطقة العربية بأليات ومناهج عمل جديدة كامل الاهتمام في الدراسة الاستراتيجية الاستشرافية التي يعدّها الاتحاد الآن بخصوص تطوير آليات عمله والارتقاء بأدائه، إلى ما تحتمه متطلبات ورهانات المرحلة الراهنة والمستقبلية، وعلى أن تتضمن هذه الدراسة جملة من الخيارات التي تصبّ في اتجاه اقتحام مجال الإنتاج في ميدان الأخبار داخل المنطقة العربية.

وتتمثل الغاية من هذا المشروع في تحديد كيفية انتقال الاتحاد إلى مجال إنتاج الأخبار بوسائله الذاتية داخل البلد الذي يقع فيه الحدث في إطار تكاملي مع الهيئات الأعضاء ووفق آليات عمل دقيقة وخطوات واضحة تحدّد الأدوار المنوطة بالاتحاد والإمكانيات البشرية والتقنية والمالية المطلوبة في ظل الآلية الجديدة.

ومراعاة للجدوى المهنية والاقتصادية، تمّ تبني خيار يركز على أن تضع الهيئات الأعضاء العاملة بالاتحاد وبالتناوب وفق التوزيع الجغرافي، طاقما صحفيا وهندسيا مع تجهيزاته الفنية على ذمة الاتحاد لفترة عام واحد، بحيث يعمل هذا الطاقم بجميع عناصره البشرية والهندسية على مدار السنة تحت مظلة الإدارة العامة للاتحاد إذاعات الدول العربية وإشرافها المباشر، وينسق مع الجهات المعنية بها لتغطية الأحداث وإنجاز البرامج والروبورتاجات المطلوبة.

وسعيا إلى تجسيم هذه الآلية، صدرت عن الاجتماع الاستثنائي للجنة الدائمة للأخبار توصية تقضي بأن يتولى المجلس التنفيذي للاتحاد تشكيل فريق إخباري، هندسي، قانوني ومالي مشترك لدراسة الخطة المقترحة وإثرائها.

وبالتوازي مع ذلك، أوصى المشاركون بضرورة العمل على تحسين المنتج الإخباري المتبادل حاليا في إطار منظومة التبادل العربي للاتحاد، من خلال احترام المقاييس والمعايير الدولية الواجب توفرها في المادة الإخبارية المعروضة للتبادل.

وقد أعدّ فريق عمل متخصص تمّ تشكيله في العام المنقضي التصور الأولي للآلية المقترحة التي عرضت على أنظار اللجنة الدائمة للأخبار، وقدم أعضاؤه تصوراتهم ومرئياتهم لتكون النواة الأولى للآلية. وضم فريق العمل إلى جانب وفد الإدارة العامة للاتحاد ومركز تبادل البرامج والأخبار، ممثلي تلفزيونات الكويت واليمن ومصر والجزائر وليبيا.

تغطية إعلامية عربية ناجحة

تميّزت فعاليات القمة العربية في دورتها العادية الثالثة والعشرين التي عقدت ببغداد بتغطية إعلامية ناجحة لفائدة هيئات الإذاعة والتلفزيون الأعضاء في الاتحاد وعدد آخر من المستفيدين في المنطقة العربية وخارجها.

وبفضل التعاون الوثيق والمتبادل بين اتحاد إذاعات الدول العربية وشبكة الإعلام العراقي أمكن تنفيذ هذه التغطية في الظروف الملائمة، حيث شمل البث المباشر نقل كافة وقائع مؤتمر القمة ووصول القادة العرب إلى مطار بغداد الدولي، إلى جانب مؤتمر وزراء الاقتصاد والمالية العرب والمؤتمر الصحفي لوزير الخارجية العراقي، وقد توفر بالمناسبة بث مسجل تمثل في حقائب إخبارية يومية تضمنت أنشطة القادة والوزراء الوفود وبعض الاجتماعات التي التأمّت على هامش القمة. وساهم فريق الاتحاد مع شبكة الإعلام العراقي في تقديم خدمات للصحافيين المشاركين في التغطية من خلال إتاحة مواقع كثيرة للبث المباشر ومركز للحقن، به كل المستلزمات التقنية ووحدات مونتاج متعددة الأنساق.

أما في المستوى الدولي، فقد تولى الاتحاد توفير إشارة التغطية التلفزيونية للقمة نحو نظرائه في الاتحادات الإذاعية الأوروبية والآسيوية.

وكان لنظام التبادل المتعدد الوسائط والخدمات عبر الساتل «مينوس أسبو»، بما هو وسيلة تكنولوجية متطورة، دور فعّال في تأمين بث وقائع مؤتمر القمة بجودة تقنية عالية حظيت بثقة الهيئات.

وقد بلغ عدد ساعات البث الجماعي المباشر والمسجل حوالي أربعين ساعة استفادت منها كل الهيئات العربية.

كما أتيح إنجاز ما يزيد على الثلاثين رسالة من مواقع Stand-up-position، بالإضافة إلى خدمات المونتاج والحقن التي استفادت منها جميع الطواقم الصحفية المعنية بتغطية هذا الحدث.

وفيما يتعلق بالتغطية الإذاعية لفعاليات القمة العربية، تولت الإدارة العامة للاتحاد، بالتنسيق والتعاون مع شبكة الإعلام العراقي تقديم الدعم اللازم، من خلال وضع التجهيزات وخطة التغطية.

وقامت الإذاعة العراقية بالتنسيق مع الإدارة العامة للاتحاد ببث رسائل إذاعية يومية بشأن فعاليات القمة عبر منظومة الساتل وبرامج وثائقية خاصة حول القمة.

وقد بلغ إجمالي التغطية الإذاعية ما يفوق الاثنتي عشرة ساعة، فيما استقبلت مواد التغطية الإعلامية ثلاث عشرة هيئة، هي إذاعات كل من الأردن والبحرين وتونس والجزائر والسعودية والسودان وسوريا وسلطنة عمان وقطر والكويت وليبيا ومصر واليمن.

البطولات العربية لكرة القدم

شرع اتحاد إذاعات الدول العربية مؤخراً في توفير التغطيات الكاملة لمختلف البطولات العربية لكرة القدم لفائدة كافة هيئات الأعضاء ومستخدمين آخرين في المنطقة. ولهذا الغرض، تولى وفد من الاتحاد تنظيم عملية التغطية الإذاعية والتلفزيونية لكأس العرب للمنتخبات (22 يونيو - 6 يوليو 2012) في المملكة العربية السعودية وذلك بالتعاون مع الشركة مالكة الحقوق والتلفزيون السعودي، بصفته الهيئة المستضيفة لهذه البطولة.

وكان الاتحاد حصل على حقوق النقل الإذاعي والتلفزيوني الأرضي والفضائي وبواسطة الكيبل في كامل أنحاء المعمورة (بالبث عبر كل الأقمار الصناعية في العالم) وعبر مختلف الخدمات المتعددة الوسائط الجديدة (بالنسبة إلى الإنترنت والهاتف الجوال والتلفزيون عالي الدقة والتلفزيون التفاعلي) للبطولات العربية المختلفة لكرة القدم أربعة مواسم (2012 - 2016)، وذلك استناداً إلى قرار الجمعية العامة للاتحاد خلال دورتها العادية الثلاثين (الخرطوم 14 - 16/12/2011).

وتشمل الحقوق البطولات التالية:

- كأس الاتحاد العربي للأندية: وتقام هذه البطولة لمدة أربعة مواسم: 2012/2013 و2013/2014 و2014/2015 و2015/2016.

- كأس العرب للمنتخبات: تنظيم بطولتين (2) للمنتخبات العربية للأكابر، أقيمت البطولة الأولى بالمملكة العربية السعودية خلال الفترة المذكورة بمشاركة (12) منتخبا عربيا.

- كأس العرب للمنتخبات تحت 20 سنة: تقام بالعاصمة الأردنية عمّان في الفترة من 4 إلى 18 يوليو 2012 بمشاركة منتخبات الأردن والسعودية والكويت والسودان وقطر وموريتانيا والجزائر وليبيا والعراق وسوريا والمغرب وتونس.

- كأس العرب للمنتخبات تحت 17 سنة: تنظيم هذه البطولة خلال الفترة (2 - 16/7/2012) بالجزائر.

بين الضفاف 3 .. وخصائص ربيع الأجيال الجديدة

أقيمت بمقر اتحاد إذاعات الدول العربية بتونس من 22 إلى 24 مايو/أيار 2012 ورشة العمل الأولى حول الإنتاج المشترك للسلسلة الوثائقية «بين الضفاف 3» بعنوان «ربيع الأجيال الجديدة»، وذلك بمشاركة ممثلين عن الاتحاد والمؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية في حوض البحر الأبيض المتوسط «COPEAM» وتسع هيئات تلفزيونية من ضفتي البحر المتوسط والمشرق العربي.

فبعد اكتمال إنتاج السلسلة الوثائقية «بين الضفاف 2»، وفي إطار علاقات الشراكة والتعاون القائمة بين الاتحاد والكوبيام، تمّ الاتفاق بين الطرفين على الشروع في إنجاز الصيغة الثالثة من هذه السلسلة.

وقد بلغت حصيلة إنجاز السلسلة الوثائقية بين الضفاف 2 (في عيون الأطفال) سبع عشرة (17) حلقة تمّ إنتاجها من قبل عدّة هيئات تلفزيونية عربية وأوروبية.

وتّمّ عرض هذه السلسلة في مهرجانات عالمية مثل «Cinema del Reale La Festa di» ومهرجان «Diversity Show days 2010» لاتحاد الإذاعات الأوروبية.

أما محور السلسلة الثالثة من «بين الضفاف»، فقد استلهم موضوعه الخاص «بربيع الأجيال الجديدة» من التغيرات التي تمر بها المنطقة العربية حاليا والتي ساهم فيها الشباب العربي المتطلع إلى الحرية والكرامة وإثبات هويته وتحقيق أحلامه بمستقبل أفضل.

واختارت السلسلة الجديدة جملة من الأهداف العامة منها بالخصوص:

✳ دعم التعاون الأوروبي - العربي في مجال الإنتاج المشترك.

✳ تعزيز الحوار الثقافي وتبادل الأفكار وطرق العمل بين الضفتين الشمالية والجنوبية، أن ننتج معا، يعني أن نبني معا جسرا للحوار ليس بين التلفزيونات المشاركة فحسب، ولكن بين مشاهديها أيضا الذين يسافرون من خلال البرامج الوثائقية بين رؤى مختلفة، ولكن ليست بالدرجة التي نتصورها، فهي تلتقي وتتبادل في فضاء ثقافي غير متجانس ولكن متحاور، وكثيرا ما يكون متكاملا.

✳ المساهمة في خلق تصور أوروبي - عربي متنوع ولكن مشترك.

✳ إيجاد لغة سمعية بصرية أوروبية - عربية.

اليوم العالمي لحرية الصحافة

حضور فاعل وإسهام جاد للاتحاد

«أصوات جديدة: حرية الإعلام تساعد على تحويل المجتمعات».

ذلك هو شعار احتفالية اليوم العالمي لحرية الصحافة لعام 2012 التي أقامتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) والحكومة التونسية (3 - 5 مايو 2012).

وتعتبر تونس ثاني دولة عربية تحتضن هذه التظاهرة، بعد قطر (سنة 2009).

وقد اشتمل الاحتفال، بالإضافة إلى الجلسات العامة، على جلسة تبنّاها كل من اتحاد إذاعات الدول العربية واتحاد الإذاعات الأوروبية وتلفزيون فرنسا، خصصت لبحث موضوع «تطوير خدمات الإذاعة كمرفق عمومي خلال الفترات الانتقالية» وعلى جلسة تحت عنوان «تونس: الطريق إلى الأمام»، ومائدة مستديرة حول التعليم والتدريب والبحوث.

وبحثت الجلسات الموازية الأخرى في المواضيع التالية:

- حرية التعبير والمشاركة في تنظيم فضاء وسائل الإعلام (أخلاقيات المهنة الصحفية في الفترات الانتقالية).
- دور السياسيين والمشرّعين وصانعي القرار في وسائل الإعلام.
- وسائل الإعلام وتشريك الجمهور.
- تحسين سلامة العاملين في وسائل الإعلام التقليدية وممارسي الوسائل الجديدة.
- صحافة الجيل الجديد من الإنترنت والديمقراطية.
- عدم تجريم الخطاب.
- وسائل الإعلام الاجتماعية: تعزيز دورها وبناء الشبكات والسلامة.
- ملكية وسائل الإعلام.
- رسم خريطة الوسائط الرقمية.
- النفاذ إلى المعلومات الجيدة وحرية الإعلام.

والملاحظ أن تنظيم الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة شهد انطلاقته في عام 1991، بالتعاون بين اليونسكو وإدارة شؤون الإعلام بمنظمة الأمم المتحدة، وذلك في إطار مؤتمر عقد بمدينة ويندهوك في ناميبيا.

وهو مناسبة لإحاطة المواطنين علما بانتهاكات حرية الصحافة وتذكيرهم بأنه يجري في عشرات البلدان من مختلف أرجاء العالم، فرض الرقابة على المنشورات ودفع الغرامات وتوقيف المطبوعات أو إغلاقها، في حين يتعرّض الصحفيون والمحررون والناشرون إلى المضايقة والاعتداء والاحتجاز وحتى القتل.

«إعلان قرطاج» حول حرية الصحافة

احتضنت تونس الندوة الدولية تحت شعار «أصوات جديدة: حرية الإعلام تساعد على تحويل المجتمعات». وانبثقت منها وثيقة أطلق عليها اسم «إعلان قرطاج» دعا فيها المشاركون الدول الأعضاء في اليونسكو إلى الالتزام بحرية الصحافة كعنصر أساسي للنهوض بالمجتمعات وتحقيق التحول الديمقراطي، وإلى إقرار سياسات تعزز تعددية الإعلام وتحول دون الاحتكار المفرط للملكية وسائله، فضلا عن السعي إلى الحد من الفجوة الرقمية والعمل على ضمان استقلالية وسائل الإعلام وتنوعها وتكريس مبدأ الشفافية والكفاءة ضمن العاملين فيها.

وأبرز المشاركون أهمية النهوض بمشهد إعلامي يساهم فيه القطاع العمومي والمجتمع المدني والخواص، كما يتعين تحويل وسائل الإعلام الحكومية إلى وسائل إعلام عمومية وضمان حيادها، بما يخدم الانتقال الديمقراطي، كما يتعين وفق «إعلان قرطاج» إيجاد علاقة «إيجابية» بين قوات الأمن ومهنيي الإعلام لا سيما في حالات المظاهرات والاحتجاجات السلمية.

هذا وأوصى المشاركون في الندوة الجمعيات المهنية ومؤسسات الإعلام والمهنيين بالعمل على نشر الإعلاميين أخبارا تتسم بالاستقلالية والتعددية وتحترم قواعد المهنة وتتعد عن التأثيرات المغرضة التي قد تفرزها بعض العوامل الخارجية، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو غيرها. ويتعين أيضا تشجيع المجتمع المدني على مساندة الاستقلالية والتعددية والتنوع في مجال الإعلام.

وطلب المشاركون من اليونسكو أن تتولى نشر «إعلان قرطاج» على أوسع نطاق وأن تبقى على العهد في الدفاع عن الصحفيين.

اتحاد الأسبوي يتبنى إحدى جلسات اليوم العالمي لحرية الصحافة

بحثت هذه الجلسة سبل «تطوير خدمات الإذاعة والتلفزيون كمرقق عمومي خلال الفترات الانتقالية»، وذلك بالتعاون مع اتحاد الإذاعات الأوروبية ومؤسسة تلفزيون فرنسا.

وشارك في النقاش وجوه إعلامية معروفة عالميا وإقليميا، من بينها نائب رئيس اتحاد الإذاعات الأوروبية والأمين العام للمؤتمر الدائم للوسائل السمعية البصرية في حوض البحر الأبيض المتوسط (الكويبام) ومدير مجلة تلفزيون فرنسا.

أما الجلسات الموازية الأخرى فقد تمحورت حول المواضيع التالية:

- حرية التعبير والمشاركة في تنظيم فضاء وسائل الإعلام.
- أخلاقيات المهنة الصحفية في الفترات الانتقالية.
- دور السياسيين والمشرّعين وصانعي القرار في وسائل الإعلام.
- وسائل الإعلام وإشراك الجمهور.
- تحسين سلامة العاملين في وسائل الإعلام التقليدية وممارسي الوسائل الجديدة.
- صحافة الجيل الجديد من الإنترنت والديمقراطية.
- عدم تجريم الخطاب.
- وسائل الإعلام الاجتماعية: تعزيز دورها وبناء الشبكات والسلامة.
- ملكية وسائل الإعلام.
- رسم خريطة الوسائط الرقمية.
- النفاذ إلى المعلومات الجيدة وحرية الإعلام.

جسور التواصل بين الإعلام السمعي البصري في المنطقتين العربية والآسيوية

شارك اتحاد إذاعات الدول العربية في أعمال الدورة التاسعة لقمة الإعلام في آسيا، التي نظمها ببانكوك المعهد الآسيوي للتنمية الإذاعية (AIBD) يومي 29 و30 مايو 2012 .

وجاءت مشاركة الاتحاد، الذي مثله الأستاذ صلاح الدين معاوي هذا العام بصورة متميزة باعتباره ضيف شرف . وبهذه الصفة، أشرف المدير العام للاتحاد على حفل تسليم جائزة المعهد الآسيوي للتنمية الإذاعية في مجال «الإنسانيات» حول موضوع الحوار بين الأديان والنهوض بالتسامح بين معتنقيها، والتي فاز بها المنتج شان غيو يو من منظومة التلفزيون الكوري، لما تميّز به عمله من تفرّد وإبداع . والمعلوم أن الاتحاد يتبنّى سنويا هذه الجائزة ويتكفل بمقابلها المالي، نظرا إلى ما يكتسبه التسامح من أهمية بالنسبة إلى المنطقة العربية التي هي مهد الديانات السماوية، ويمكن اعتبارها محرارا لما يحدث بين مختلف الديانات من شد وتجاذبات أو وفاق وتعاون حسب الفترات التاريخية المتتالية .

أما الجائزة الثانية التي يتم توزيعها على هامش قمة الإعلام في آسيا فتغطي مجال العلوم والبيئة وتتعلق بالمحافظة على طبقة الأوزون وحماية كوكب الأرض، وقد فاز بها المخرج رهان أحمد من التلفزيون الباكستاني .

وقال الأستاذ صلاح الدين معاوي بالمناسبة «كعادتنا كل سنة، نحرص على المشاركة في قمتكم على أعلى مستوى ونشجع كافة هيئاتنا الأعضاء على امتداد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا على المشاركة النشطة فيها وبالخصوص على المشاركة في مسابقة الجائزة العالمية للتلفزيونية، التي ينظمها المعهد الآسيوي للتنمية الإذاعية، لاختيار الأفضل مما تنتجه هيئاتنا وإثراء المنافسة المهنية بينها» .

كما شارك المدير العام للاتحاد في أشغال الجلسة العامة الرابعة للقمة بعنوان «الإعلام السمعي البصري العمومي: مقارنة جديدة، انطلاقة جديدة» . وقد تركزت مداخلته على موضوع خدمة الإعلام السمعي البصري العمومي في الفترة الانتقالية: بلدان «الربيع العربي» مثلا، وتناولت بالبحث أربعة محاور أساسية هي:

- * العوامل التي أدت إلى الحاجة للانتقال من الإعلام الحكومي إلى الإعلام العمومي .
- * بروز مفهوم «الإعلام العمومي» .
- * أبرز الأحداث التي طبعت فترات التحول نحو الإعلام السمعي البصري العمومي .
- * جهود اتحاد إذاعات الدول العربية من أجل إرساء إعلام سمعي بصري عمومي .

الشراكة الإعلامية بين الاتحاد ومنطقة آسيا

تركّز اجتماع لجنة الشراكة الإعلامية بين اتحاد إذاعات الدول العربية واتحاد الإذاعات الآسيوية والمعهد الآسيوي للتنمية الإذاعية على بحث سبل تنمية التعاون البناء والشراكة بين الهيئات الإذاعية والتلفزيونية بالمنطقتين العربية والآسيوية .

وتمّ تدارس عدد من مشاريع التعاون الثنائي، على غرار ورشة العمل المشتركة بين المنظمات الثلاث حول الإعلام والانتخابات، بكوالالمبور في ماليزيا .

وتتلخص محاور اهتمامها في:

- * تنمية أساس معرفة من يتعهد بعملية التغطية بالبيئة التي تدور فيها الانتخابات ومتطلبات العملية الانتخابية.
- * تطور المهارات اللازمة لتغطية العملية الانتخابية.
- * الاطلاع على أفضل الممارسات الدولية في تغطية الانتخابات.
- * وضع مدونة خاصة بمتطلبات التغطية الانتخابية.
- * تحديد خارطة الطريق لعمليات التخطيط والإعداد لتغطية الانتخابات.

ومن جهة أخرى، تطرقت لجنة الشراكة الإعلامية إلى المشاريع المستقبلية بين الاتحادين الإقليميين لسنتي 2012 - 2013، بما في ذلك مشاركة اتحاد إذاعات الدول العربية في القمة الآسيوية للإعلام 2012 و2013 وفي الورشات المرافقة لها وفي سوق الميدياهوب (AMS MEDIAHUB MARKET).

كما بحث الاجتماع نقاط تعاون أخرى، من مثل ورشة العمل المشتركة ضمن فعاليات القمة الآسيوية للإعلام 2013 حول «الإعلام السمعي البصري العمومي PSB» واستضافة المملكة العربية السعودية للقمة الآسيوية للإعلام سنة 2014 والأنشطة المشتركة في مجال التدريب خلال 2012/2013 بين المعهد الآسيوي والمركز العربي للتدريب الإذاعي والتلفزيوني.

إعلان مراكش لمؤتمر الكوبيام:

دعوة إلى حل إشكالية حقوق البث الرياضية

كانت «التحوّلات في المجتمعات الأورو - متوسطة: الإعلام يتحرّك» الموضوع الرئيسي للمؤتمر السنوي التاسع عشر والجمعية العامة الثامنة عشرة للمؤتمر الدائم للوسائل السمعية والبصرية في حوض البحر الأبيض المتوسط (كوبيام) اللذين انعقدتا مؤخراً بمدينة مراكش المغربية.

وكانت إحدى أبرز نتائج هذه الاجتماعات صدور «إعلان مراكش حول الحقوق الرياضية» الذي أبدت فيه الكوبيام قلقها العميق إزاء ما يشهده مجال اقتناء حقوق بث الأحداث الرياضية العالمية والإقليمية الكبرى من ممارسات تجارية لا تتماشى دائماً مع المعايير السليمة لخدمة القطاع السمعي البصري العمومي، مما أدى إلى غلاء غير مسبوق في معالم البث واحتكارها من قبل شركات محدودة.

لذلك وجهت الكوبيام من خلال هذا الإعلان نداءً ملحاً إلى كل الأطراف المعنية، من جامعات رياضية عالمية وقارية وإقليمية ووطنية وجمعيات مهنية، ووسائل إعلام عمومية، من أجل التوصل في أقرب وقت ممكن إلى الحلول الملائمة، بما من شأنه ضمان بث البرامج الرياضية، خاصة منها ما يتعلق برياضة كرة القدم، إلى أوسع نسبة ممكنة من الجمهور بدون قيود أو تمييز، أيًا كان نوعهما.

هذا وحضر المؤتمر مسؤولون عن القنوات التلفزيونية والإذاعية من بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط واتحاد إذاعات الدول العربية بصفتهم أحد مؤسسي الكوبيام، وخبراء في الاتصال، ومهنيون من وسائل الإعلام، وممثلو مؤسسات إقليمية ودولية متخصصة في المجال، وشركات إنتاج تلفزيوني وسينمائي.

منتدى الإعلام العربي بدبي

«الإعلام العربي: الانكشاف والتحول»

احتضنت مدينة دبي يومي 8 و9 مايو 2012 الدورة الحادية عشرة لمنتدى الإعلام العربي التي انعقدت تحت عنوان: «الإعلام العربي: الانكشاف والتحول»، بمشاركة أكثر من ثلاثة آلاف من الشخصيات البارزة في عالم الصحافة والإعلام، ونخبة من كبار صانعي القرار وقادة الرأي والمفكرين والمستثمرين والمبدعين.

ويتيح هذا المنتدى الذي ينتظم تحت رعاية صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة ورئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، كل سنة فرصة اللقاء والتحاور حول شؤون الإعلام العربي، والاطلاع على التجارب الدولية الناجحة والسعي إلى استشراف آفاق مستقبل صناعة الإعلام.

ثلاث ورش عمل وثمانية جلسات علمية هي أبرز فعاليات المنتدى، وقد شارك فيها أكثر من ستين متحدثاً من الأوساط الأكاديمية والإعلامية والبحثية.

وحملت ورشة العمل الأولى عنوان: «نجوم تويتر... وصدى التغريدات» وفيها تناول المتدخلون مدى تأثير رواد شبكات التواصل الاجتماعي في مجتمعاتهم، وما إذا كانوا فعلاً مؤثرين حقيقيين، وواقع استخدام تلك الشبكات في الوطن العربي، وانعكاساته على الرأي العام.

وأثير موضوع تدني عدد المستخدمين العرب لموقع تويتر، فلو حظ أنهم يعدون قرابة المليون و300 ألف فقط، وقد يكون التأثير غير المباشر لتويتر كبيراً للغاية، من ذلك أن مذييعي التلفزيون مثلاً أصبحوا يهتمون بما يقال عنهم في هذا الموقع، ويأتون لتفقد حساباتهم على تويتر عند الفواصل بين البرامج، وأنه من خلال تغريداتهم، أصبح بالإمكان معرفة ماذا سيحدث أو ما هو التوجه القادم.

أما ورشة العمل الثانية فكان عنوانها: «الشباب العربي، أما أن أوان ربيعهم الإعلامي؟» وطرحت خلالها العديد من الأسئلة بشأن وجهة نظر الشباب في كفاءة وسائل الإعلام وقدرتها على التواصل معهم، بالإضافة إلى المسؤوليات التي تناط بعهدتهم لإيصال صوتهم إلى القائمين على وسائل الإعلام التقليدية، وواقع التعليم الجامعي لتخصصات الإعلام، وقدرة وسائل الإعلام في مجال التدريب.

«جيل الإعلام الإلكتروني: صحفيون بالفطرة»: نظرت هذه الورشة في المتغيرات الراهنة نتيجة استخدام أدوات التكنولوجيا التي انعكست على الأوضاع الثقافية والسياسية وعلى وسائل الإعلام أيضاً.

وقيل بالمناسبة: ليس هناك صحفيون بالفطرة، فالصحافة مهنة وممارسة، والصحافي فاعل اجتماعي له أدوار اجتماعية ويمتلك نوعاً متخصصاً من الكتابة هي الكتابة الصحفية التي يكتسبها من خلال، إما المؤسسات الأكاديمية أو التجربة.

الجلسات العلمية:

- 1) «الإعلام العربي وصدمة التغيير»: تم خلالها بحث تطلعات الجمهور اليوم إلى وسائل الإعلام العربية، وواقع الثقة بين الطرفين، في ظل طوفان القنوات الفضائية والصحف الجديدة، وتنامي البيئة التقنية الكفيلة بكسر احتكار المعلومة إنتاجا ونقلًا.
- 2) «الثورات تعيد رسم خريطة النخب»: ما هو وقع الثورات العربية على بعض أنظمة الحكم في عدة دول عربية، والذي أدى إلى بروز بنى نخبوية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وكشف الحراك السياسي والاجتماعي عن مدى بعد المسافة بين الواقع المعيش وعالم النخب.
- 3) وضعت الجلسة الثالثة تحت عنوان: «الناطق الرسمي الأجنبي: دور متزايد وتأثير ملتبس»، وسلّط المشاركون فيها الضوء على دور المتحدث الرسمي كمحور ارتباط هام بين الإعلام والسياسات، والمهام التي يضطلع بها هؤلاء المتحدثون.
- 4) «قنوات اليوتيوب» منابر فردية تنافس الفضائيات. وقد تحدّث في هذه الجلسة نجوم قنوات موقع «يوتيوب» الإلكتروني التي راجت بعد الانتشار الكبير لأعداد مستخدمي الإنترنت في الوطن العربي، والذي تمكّن روادها من تطويع تطبيقاتها لإنشاء قنوات تلفزيونية خاصة وبإمكانات بسيطة، تقدّم برامج وحلقات مسجلة، وتناقش قضايا ومسائل اجتماعية وسياسية ودينية ضمن قوالب مبتكرة وجذّابة، تختلف عن تلك المضامين التي عهدتها المشاهد على الشاشة التقليدية.
- وتمّ استعراض نماذج وتجارب واقعية لعدد من المواهب التي اعتمدت على أفكارها بشكل رئيسي، مستخدمة أدوات الإعلام الجديد، وقدمت مضمونا هادفا كوميديا في بعض الأحيان ووصلت إلى قاعدة واسعة من الجمهور.
- ويُذكر أن المتابعة بلغت ما يناهز 180 مليون مقطع فيديو يوميا في المنطقة العربية.
- 5) أما الجلسة الخامسة التي عنوانها: «القنوات الإخبارية والثورات العربية: أسئلة حول التغطية والأداء» فقد ركّزت على مناقشة تغطية القنوات الإخبارية العربية للأحداث العربية، ونقلت التساؤلات المطروحة في الشارع العربي بشأن مدى مصداقية وموضوعية هذه التغطية، وما إذا كانت متباطئة أو متسارعة، فضلا عن مدى تفاعلها مع نبض المشاهد العربي، في ظل التحولات الجيوسياسية التي تشهدها المنطقة.
- وما أثير في النقاش، أن الثورات العربية كانت بمثابة فرصة لصناعة الأخبار، وعُدّت الأحداث التي رافقتها نوعا من التحدي للقنوات الإخبارية. وبداية تمّ الاعتماد على مصادر غير تقليدية للتغطية، نظرا إلى الصعوبات الكبيرة التي صاحبته. كما أن القنوات العربية لم تكن مهية بما فيه الكفاية للتعامل مع أحداث كبيرة بهذه السرعة الفائقة، إلا أن هذه القنوات أبلت البلاء الحسن، مع نجاحها في أداء الوظيفة المنوطة بها، بصرف النظر عن تعرّضها للظلم مهنيا. فالصحافيون يحاولون نقل ما يستجدّ على أرض الواقع، كما هو، والمقياس على نجاح التغطية هو نسبة المشاهدة.
- 6) وناقشت هذه الجلسة التي تمحورت حول «الإنتاج التلفزيوني: أين الابتكار؟!» الاعتماد الواسع للقنوات التلفزيونية الفضائية على الإنتاج الأجنبي، بشكل أفضى إلى تضيق المساحة المتاحة أمام الابتكار والإبداع وظهور المواهب الجديدة. وبدت قاعدة «الشراء والاقتناء» مفضّلة، بدلا من بذل الجهد لإنتاج مميّز، حتى أضحى الإنتاج العربي شبه متوقف على شهر واحد في العام، لينتج البرامج والحلقات والمسلسلات الرمضانية. وتطرقت النقاشات إلى قدرة بيئة عمل الإنتاج التلفزيوني العربي الحالية على إيجاد أجيال تبتكر وتبدع، مؤكدة على ضرورة الاستفادة من دروس التجارب الناجحة، كما تناولت أسباب تراجع الابتكار

في المُنتج الإعلامي العربي والتوجه نحو النسخ، بالرغم من وجود أكثر من ألف (1000) قناة فضائية عربية، ومع اتساع ساعات البث التلفزيوني لتستوعب الإنتاج والأفكار الجديدة، إلا أن الاعتماد ظل بشكل أساسي على الإنتاج الأجنبي، بصورة أدت إلى تضيق المساحة المتاحة أمام الابتكار والإبداع.

(7) وكان «الخطاب الإعلامي الديني العربي: الدور المنتظر» محور اهتمام الجلسة السابعة للمنتدى. فمع تسارع وتيرة الحراك السياسي والاجتماعي في الوطن العربي، لعب هذا الخطاب دورا كبيرا في التأثير في الجمهور، ويحصل ذلك في وقت تؤكد فيه الإحصائيات أن المحتوى الديني يحتل مراتب متقدمة في المتابعة، إلى جانب المحتوى الترفيهي والسياسي، في ظل وجود أكثر من 90 قناة دينية عربية خلال سنة 2011 .

وتم تسليط الضوء على تحوّل بعض وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة إلى ساحة للتعبص، يسودها العنف اللفظي والتكفير والتخوين. وترافق هذا التحول مع أصوات تنادي بضرورة تجديد الخطاب الديني ومقابلة الفكر بالفكر في التعاطي مع الاضطرابات والمتغيرات المتلاحقة في المنطقة العربية، وبرزت تساؤلات حول الدور المنتظر من العلماء والدعاة في مواجهة الفتن والحدّ من انتشارها.

(8) وأجمع المشاركون في الجلسة الأخيرة التي عنوانها: «إعلام حرّ ومصارعة حرّة» على أن الحوار ممارسة ديمقراطية يجب أن تستمرّ وتبقى حتى لا تحدث مقاطعة، التي عادة ما يعقبها عنف، كما أجمعوا على ضرورة استحضار الضمير الإعلامي ومواثيق الشرف الإعلامية لضبط نزوع الإعلام نحو ترسيخ قيمة العنف في المجتمع.

وتّم التمهيد بالإشارة إلى ارتفاع المشاهد الإنسانية المؤثرة، في الآونة الأخيرة، على القنوات الإخبارية الناجمة عن الحروب والنزاعات والعنف، ومن الطبيعي أن ينقل الإعلام بمختلف مكوّناته صورة الواقع المعيش. إلا أن الخارج عن سياق المؤلف أن تنتقل فوضى الشوارع لتصل إلى أقلام بعض الكتّاب والنخب، فنقرأ آراء لا تخلو من العنف اللفظي، وتتابع مشادات وتراشقا إلكترونيا تسوده روح الحقد والكراهية ولغة الشتم والتجريح والتشهير والتهديد، وامتد المشهد إلى البرامج الحوارية في الفضائيات والقنوات العربية، وقد بلغ بالمتحاورين حدّ استخدام الكراسي لأكثر من أغراض الجلوس عليها فقط! لينتقل الحوار على الهواء إلى مصارعة حرّة!

وأثار ازدياد نسق هذه الظواهر قلق العديد من المحللين واعتبروا أن العنف المستخدم في اللغة والصورة والحوار يكاد يكون ثقافة سائدة في منصات إعلامية كثيرة، الأمر الذي يفتح الباب على مصراعيه لبعض الأسئلة، حول ما إذا كان الإعلام الحرّ واحدا من أسباب العنف الذي تشهده الشوارع، وما إذا كان الإعلاميون أنفسهم قد انجروا وراء المنافسة لجذب أكبر قدر من المتابعين، على حساب قيم وثقافة الحوار وتبادل الأفكار والآراء بشكل هادف.

أبي دور للإعلام في النهوض باللغة العربية؟

أقيم في المدة الأخيرة ببيروت المؤتمر الدولي للغة العربية تحت عنوان «العربية لغة عالمية: مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة»، وقد نظّمه المجلس الدولي للغة العربية بالتعاون مع اليونسكو وجمع من الهيئات العربية والعالمية الأخرى، كما شارك الاتحاد، ممثلاً في شخص المدير العام، في أعمال المؤتمر.

وقدّم الأستاذ صلاح الدين معاوي مداخلة في إطار الجلسة العلمية المخصصة لمحور «اللغة العربية في الثقافة والإعلام»، حيث أثار عدّة جوانب بشأن الموضوع، ومن أبرزها:

* أهمية هذه اللغة في ضمير الأمة العربية، باعتبارها لغة القرآن وتراث الأمة وذاكرتها، مع الوعي بالتحديات، في عصر أضحت فيه العولمة الثقافية ظاهرة مهذّدة للهويات الثقافية واللغوية.

* ظاهرة «التلوث اللغوي» التي لا تقلّ خطورة عن التلوث البيئي، واستعمال اللغة الهجينة (خليط لغوي عربي أجنبي/فصحى عامية) في التخاطب الإعلامي.

* حتمية النهوض باللغة العربية في وسائل الإعلام من أجل تأكيد وجودها في حياة الناس، باعتبار أن المؤسسات الإعلامية تحتلّ الريادة في هذا المجال، ونظراً إلى أن لغة الإعلام السمعي البصري وسطية (بين منزلتي الفصحى والعامية)، ممّا يمنحها قوّة الاستخدام وحسن التبليغ.

* مجالات الارتقاء باللغة العربية من خلال وسائل الإعلام السمعي والبصري ومواكبة المستجدات وبعث الروح في المخزون اللغوي.

هذا وقد بحث المؤتمر الدولي للغة العربية جملة من المسائل ذات الصلة باستعمال اللغة العربية في مجالات الدولة، والتعليم بمستوياته، والآداب والدراسات، والإعلام والثقافة، وسوق العمل، ومؤسسات المجتمع المدني، والصناعات والتقنية، وحالة اللغة العربية في العالم.

نحو إنشاء منصّة أقمار صناعية بالسعودية لتوطين صناعة الإعلام



تعكف وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية حاليا على إجراء دراسة تفضي إلى إنشاء منصّة أقمار صناعية، على نحوٍ يساعد هذا البلد في أن يكون جاذبا لكثير من القنوات الفضائية للبث من داخل التراب السعودي، ذلك ما أعلنه الدكتور رياض نجم وكيل وزارة الثقافة والإعلام السعودية للشؤون الإعلامية، المشرف العام على تنظيم الإعلام المرئي والمسموع، في حديث خصّ به جريدة «الوطن».

ولاحظ الدكتور نجم أن مشروع منصة البث يأتي كأحد تنظيمات المدينة الإعلامية التي يجري الحديث عن إنشائها، مبينا أن إنشاء المدينة الإعلامية مرتبط إلى حد كبير بإقرار نظام للإعلام المرئي والمسموع في المملكة، مع وجود بيئة تنظيمية تحكم عمل هذه المدينة.

كما أشار إلى أن هناك مرحلة يمكن أن تسبق إطلاق المدينة وهي إحداث منصّة أقمار صناعية يُسمح من خلالها للقنوات التلفزيونية الخاصة بالبث من أراضي المملكة، مؤكدا أن هذا الملف هو الآن تحت الدرس في مستوى الوزارة، ومضى قائلا: «قد ترى المنصّة النور قبل إنشاء المدينة الإعلامية، مما سيساعد في جذب الكثير من القنوات الفضائية السعودية في الانتقال إلى المملكة».

وبيّن الدكتور رياض نجم أن وجود هذه القنوات خارج البلاد «أمر لا يسرّ الوزارة»، لافتا إلى أن بثها من داخل البلاد يؤدي إلى توجيه الاستثمارات نحو المملكة عوضا عن ذهابها إلى الخارج، مع حدوث توطين لصناعة الإعلام محليا.

وفيما يتعلق بمشروع قياس نسب المشاهدة في المملكة للقنوات التلفزيونية، والذي سبق لوزارة الثقافة والإعلام الإعلان عنه، ذكر أن هناك مشروعا تنكبّ الوزارة على دراسته في الوقت الحاضر لإحداث جهاز يتولى القيام بهذا العمل، وربط إنشاء هذا المؤشر بصناعة الإعلان في أي دولة.

وأضاف قائلا: إن «المجهودات التي تبذل اليوم بهذا الشأن في المملكة وفي المنطقة العربية تفتقر إلى الدقة والشفافية ولا تتماشى مع المعايير الدولية، ولا يتم إجراؤها تحت إشراف جهات مستقلة، ومن شأن بعث هذا الجهاز زيادة حجم السوق الإعلاني وتوجيه صرف المعلنين إلى القنوات الصحيحة».

وشدّد وكيل وزارة الثقافة والإعلام على أنه سيتم اختيار إحدى أفضل الشركات العالمية للقيام بتنفيذ المشروع بمهنية عالية وشفافية، حسب المقاييس العالمية المطبّقة في الأسواق المتقدمة.

مشروع «مدونة سلوك» أو ضوابط السياسة التحريرية



إدارة الإتصال بالتلفزة التونسية

أعدت مؤسسة التلفزة التونسية مشروع «مدونة سلوك» أو ضوابط السياسة التحريرية، قدّمه الرئيس المدير العام الأستاذ عدنان خضر يوم 4 مايو 2012 خلال ندوة صحفية.

هذه المدونة هي بمثابة ميثاق شرف يحمي الصحفي من الوقوع في الخطأ ويضمن حياده واستقلالية إنتاجه، على نحو يعزز شفافية الخبر ومصداقية المؤسسة التي ينتمي إليها وحق المواطن في إعلام حرّ ونزيه. ويحتوي المشروع على ثمانية فصول، إلى جانب توطئة ومبادئ عامة:

خدمة المصلحة العامة، الاستقلالية، الحياد، الإنصاف، الدقة، احترام الخصوصية، حماية الأطفال والضعفاء، تغطية الانتخابات والاستفتاءات.

وتقتضي المدونة من الصحفيين والإعلاميين في مؤسسة التلفزة التونسية، الاطلاع على مضامينها، بوصفها مرفقا عموميا يقدم الخدمات الإعلامية، كما يلتزمون بالتقيّد بأخلاقيات المهنة من خلال الالتزام الكامل بنصوصها، لتعزيز مصداقية وشفافية المادة الإعلامية التي تنتجها والتي يكون هدفها تلبية حق الجمهور في إعلام حرّ ونزيه.

ولتحقيق هذه الغاية ونيل ثقة الجمهور واحترامه، ينبغي أن يحرص منتجو المادة الإعلامية، في كل البرامج بأنواعها والنشرات الإخبارية، على الالتزام بجملّة مبادئ على غرار:

- **خدمة المصلحة العامة:** بما هي من أهم الخدمات التي يمكن للإعلام العمومي تقديمها للجمهور، من خلال الحرص على توفير إعلام ملتزم بالمعايير المهنية، يوازن بين الحرّية والمسؤولية، يعبر عن مشاغل المواطن وتطلّعاته، وينقل واقعه بكل أمانة، ويوفّر له المعلومة، ويكرّس حقه في معرفة الحقيقة، وكذلك حقه في التثقيف والترفيه، مع ضرورة احترام جميع مكونات المجتمع وأطرافه. وتتطلب خدمة المصلحة العامة أيضا استعمال لغة منصفة وواضحة ودقيقة في التعبير عن كل المواضيع، دون مبالغة أو تقديم أحكام أو مواقف شخصية، والابتعاد عن التحريض على العنف أو التمييز العنصري بمختلف أشكاله أو الديني أو العنقادي أو الاجتماعي أو الثقافي.

- **الاستقلالية:** سعيا إلى كسب الجمهور ودعم ثقته في المؤسسة الإعلامية، يجب أن تتمسك هذه الأخيرة باستقلالية المعالجة الإعلامية، بمعزل عن تأثيرات خارجية والنأي بنفسها عن التجاذبات والصراعات مهما كانت طبيعتها.

وتفترض الاستقلالية ألا يكون منتجو المواد الإعلامية منتمين إلى أية أحزاب أو منظمات سياسية أو مشاركين في أنشطتها أو ناطقين باسمها أو قائمين بأي نوع من أنواع الدعاية لفائدتها على أية وسيلة اتصال كانت، ولا يمكن للاستقلالية أن تتحقق إلا بتطبيق مبدأ الحياد الذي يقع في قلب الخدمة العامة، والحياد يعني اتساع وتنوع الآراء والحجج، مع ضرورة دراسة أية أدلة ووقائع مادية للتأكد من صحتها وتوزيع هذه الآراء على فترة زمنية معقولة.

- **الحياد:** وهو يفترض الشمولية في التعاطي مع الأحداث ومعالجتها من منظور واسع، وضمان وجود مجموعة معبّرة عن وجهات نظر. وأكد هذا النص على حق المواطن في أن يكون له صوت في وسيلة الإعلام العمومية، ولكنه فرض على الإعلامي الالتزام بالحياد وعدم إبداء الرأي أو المعارضة أو تثمين الموقف.

ومن شروط تحقيق الحياد، الاستقلالية في التحرير، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت القرارات التحريرية تؤخذ داخليا، ويحتفظ المحرّرون والمنتجون والمسؤولون عن البرامج بحرية القرار بالنسبة إلى مضمونها.

وتنظم المدونة كيفية الحياد مع الأطراف الخارجية ومع الإعلانات، كما أنها تضمنت نصوصا تقنن التعامل مع الاتصال الرسمي والأخبار ونشرات الأحداث الجارية وبرامج الواقع، وحين تكون المؤسسة الإعلامية في صلب موضوع مثير للجدل والتعامل مع مواضيع المسلمات.

كما بيّنت المدونة شروط تحقيق الإنصاف، باعتباره يدعم مصداقية المؤسسة الإعلامية وثقة المتعاملين معها.

ويقتضي الإنصاف الأمانة في التعامل مع مختلف الأطراف المشاركة، دون إقصاء وتوازن وفي كنف الاحترام، ويكون أيضا بتطبيق مبدأ الدقة، ومن ذلك ضمان حق الردّ حتى لا يتمّ التعسف على أيّ جهة وقع ذكرها دون حضورها.

وتندرج في باب الإنصاف صيغ التعامل مع المشاركين في البرامج وعند إجراء المقابلات وعند تقطيع وانتقاء فقرات من المواد المسجلة والتعامل مع الإشهار وتفادي المقنّع منه.

- **الدقة:** التي تتحقق عبر الحصول على الوقائع الصحيحة، مع توخي الصدق والابتعاد عن التكهنات غير المستندة إلى دليل. وتكون الدقة في جمع المعلومات وفي استخدام تقنيات الإنتاج، وكذلك الأرشفة وإعادة البناء لتجسيم أحداث حقيقية وعدم تهويلها حتى لا تضلل الجمهور.

ومن بين الشروط أيضا: احترام الخصوصية عند التعرّض للحياة الخاصة للأفراد في المادة الإعلامية، وحماية الأطفال والضعفاء من خلال إيلاء العناية اللازمة لخصوصيات الأشخاص الذين هم دون سنّ السادسة عشرة، والمواطنين ضعيفي المدارك، ولا سيما إذا كان التعرّف عليهم يمكن أن يعرّضهم للخطر.

وتتضمن المدونة فصلا حول **تغطية الانتخابات والاستفتاءات** وكيفية تعامل المؤسسة الإعلامية في الغرض، باعتبار المادة الإعلامية التي تقدّمها تكون محلّ مراقبة شديدة من قبل مختلف الأطراف المعنية بالعملية الانتخابية، يقتضي ذلك توخي الدقة والحياد والنزاهة والإنصاف والتوازن في الحملات الانتخابية ويوم الاقتراع.

وتوجت المدونة بعرض مبادئ أخرى، كحق الصحفي أن يرفض إنجاز عمل كلف به، عندما يكون هذا العمل مخالفا للمبادئ الأخلاقية المنصوص عليها في هذا الميثاق، على أن يقدم المبررات الداعمة لرفضه، ولا يؤدي الرفض إلى عقوبة أو ضرر أو إعفاء.

وأن تكون هذه المدونة الفيصل في المهنية، حيث يتم الاحتكام إليها في تحديد المسؤولية عن الأخطاء المهنية.

الأرشيف السمعي البصري الفلسطيني



أ.رولا شهبان

رئيس وحدة الأرشيف

الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون الفلسطينية

لكي تبحث في تاريخ أيّ أمة، يجب أن تبحث في أرشيفها الذي يحفظ تاريخها وحاضرها. ومن هذا المفهوم تنطلق أهمية الأرشيف، بشكل عام، والأرشيف السمعي البصري، بوجه خاص، كوننا نتحدث هنا عن الأرشيف السمعي البصري للهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون الفلسطينية، وهي تكاد تكون المؤسسة الوحيدة في فلسطين التي تؤرشف وتسجل الحياة اليومية والتغيرات التي تشهدها الساحة الفلسطينية على جميع الأصعدة، السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، من خلال برامجها وأخبارها التي ترصد كل هذه التغيرات بشكل يومي .

إن هذه المواد التي نقوم بحفظها وتسجيلها ستكون مرجعاً مهمّاً للباحثين والدارسين والمهتمين في جميع المجالات، وتاريخاً لهذا الشعب الذي يعاني ويناضل يومياً من أجل الحفاظ على تاريخه وهويته.



يسود مفهومان في الهيئة العامة للأرشيف، مفهوم تقليدي يتعامل مع الأرشيف على أنه مجرد مكان لحزن المواد والاحتفاظ بها لفترة من الزمن، وليس من الضروري أن يرصد له من ميزانية المؤسسة إلا جزء بسيط يفي بالكاد باحتياجاته، كما ينظر إلى العاملين في الأرشيف على أنهم موظفون من الدرجة الثانية أو الثالثة، كما يأتي الأرشيف إدارياً في نهاية الهرم التنظيمي للمؤسسة.

هذه النظرة القديمة لا تتواءم والمفهوم الحديث للأرشيف الذي يتبناه البعض ممن يدركون أهميته كعمود فقري للمؤسسة، حيث يدرك أصحاب هذا الرأي مدى أهمية الأرشيف، ويعترفون بأنه قلب أية مؤسسة إعلامية، ويجب أن يولي الاهتمام الذي يوازي أهميته.

إن الوثائق الموجودة في الأرشيف تمثل أداة لتسيير العمل القائم، أو إثباتاً للحقوق، وتراثاً تاريخياً للشعب، ولا يمكن لأي مؤسسة، أياً كان حجمها صغيرة أم كبيرة، أن تقوم بعملها من دون الرجوع إلى الوثائق الأرشيفية بأنواعها، سواء أكانت ورقية أم سمعية بصرية.

إن الطريقة التقليدية التي يتم التعامل فيها مع هذا المورد الحضاري تعرّضه بشكل يومي إلى التلف، بسبب كثرة استخدام المادة السمعية والبصرية، وبالتالي صعوبة استرجاع هذه المواد التي يمكن أن نفقدها بسبب الحرائق وسوء التخزين أو السرقة، والتهديد الأكبر بالنسبة إلينا كفلسطينيين هو الاحتلال الإسرائيلي الذي سرق أرشيف السينما الفلسطيني في الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، وأيضاً خلال اجتياح مدينة رام الله عام 2002، إضافة إلى اجتياحه قطاع غزة عام 2006، وحديثاً اقتحام مدينة رام الله ومهاجمة تلفزيوني "وطن" و"القدس التربوي" وسرقة أرشيفيهما.



من هذا المنطلق، ينبغي الاعتناء بتنظيم الأرشيف والحفاظ عليه لتمكين المؤسسة من النجاح والمنافسة على الصعيدين العربي والدولي، والاتجاه بشكل فعلي نحو الرقمنة، تماشياً مع المتطلبات العصرية، من سرعة تقديم المؤسسة لخدماتها التي تعدّ من أهم المعايير في الحكم على نجاح أي مؤسسة أو فشلها في عصر اتسم كل ما فيه بالسرعة، بحيث يتسنى لأي شخص الحصول على المعلومة والمادة المطلوبة من أيّ مكان، وليس من خلال المبنى الخاص بالأرشيف فقط، وهذا من شأنه أن يقلل التكلفة، ويحدّ من الأخطاء المخالفة للقوانين، ويدعم المركزية في التعامل مع الوثائق، بحيث يجنّب التسبب والتكرار في العمل.

ولذلك، يتعيّن علينا كهيئة عامة للإذاعة والتلفزيون الفلسطينية واتحاد إذاعات الدول العربية النظر جدياً إلى هذا الموضوع وإبلاؤه الأولوية لحفظ هذا المورد الإنساني والحضاري من الضياع.

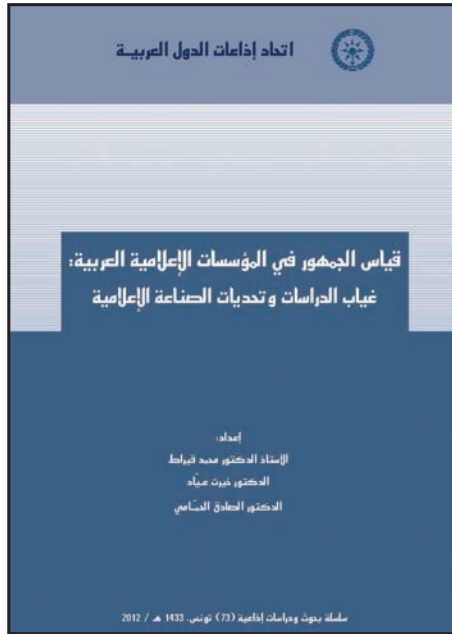
وفي هذا المجال، يمكن الاقتداء بمشروع "ميد ميم"، وهو أرشيف حوض المتوسط الممول من قبل الاتحاد الأوروبي بإشراف المعهد الوطني للأرشيف بفرنسا (INA) الذي استطاع وضع 4000 مادة من مختلف تلفزيونات دول حوض المتوسط على موقع يخدم الباحثين والدارسين في هذه الدول، ويحوّل جزءاً من الأرشيف إلى أرشيف إلكتروني.

ولمواكبة هذا التطور التكنولوجي، يفترض علينا، أيضاً، أخذ كل التدابير لحفظ البيانات الإلكترونية وحمايتها من الإتلاف لتبقى البيانات الرقمية جاهزة في كل وقت للاستخدام والاسترجاع في العمل اليومي، ومحفوظة في أحسن الظروف لتتحوّل مع مرور السنين إلى ذاكرة تاريخية تستفيد منها الأجيال الصاعدة.



في المكتبة الإعلامية

قياس الجمهور في المؤسسات الإعلامية العربية



صدر هذا الكتاب حديثاً عن اتحاد إذاعات الدول العربية ضمن سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، ويتطرق إلى موضوع غدا اليوم من المواضيع المهمّة والحيوية التي بدأت المؤسسات الإعلامية تعيرها اهتماماً متزايداً في تخطيط شبكاتها البرمجية، ونعني به:

«قياس نسبة المشاهدة والاستماع لدى جمهور المتلقين لبرامج القنوات التلفزيونية والمحطات الإذاعية».

فالجمهور يعتبر الحلقة الأقوى في العملية الاتصالية، إذ هي تتمحور حوله وموجهة إليه، وبدونه لا نستطيع أن نتكلّم على استقبال وتأثير وتأثر.

فالمؤسسة الإعلامية الناجحة، وأيا كان نوعها، تحاول دائماً التعرف على الجمهور الذي تتعامل معه، من حيث حجمه وخصائصه الديمغرافية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية حتى تكون قريبة من مشاغله واهتماماته، ورغباته وتطلعاته.

يقدم الكتاب الذي أسهم في تأليفه الأساتذة الجامعيون محمد قيراط وخيرت

عيّاد والصادق الحمّامي في فصله الأول نظرة حول أهمية الجمهور في العملية الاتصالية والحاجة إلى دراسته، فيما يتعرّض في فصله الثاني إلى أسس قياس الجمهور في المؤسسات الإعلامية.

ثمّ ركّز على بعض التجارب العالمية في مجال قياس الجمهور، وتحديدًا تجربة كل من كندا والولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة (الفصل الثالث).

كما يتوقف، في فصله الرابع، عند واقع قياس الجمهور في العالم العربي ويناقش المعوقات والمشاكل التي تواجهها بحوث ودراسات الجمهور، كنقص البيانات والإحصائيات وارتفاع التكلفة المادية لإنجاز مثل هذه الدراسات وعدم وجود ثقافة البحث العلمي والاعتماد على التقديرات والتخمين.

أما الجزء الأخير من الكتاب فيقدم دراسة حول واقع قياس الجمهور لدى الهيئات الإذاعية والتلفزيونية العربية.

ومن أهمّ النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة العلمية أنّ أكثر من ستين بالمائة من المؤسسات الإعلامية العربية لا يوجد بها مركز لقياس الجمهور، وأن معظمها يستعمل الاستبيان كأداة للبحث.

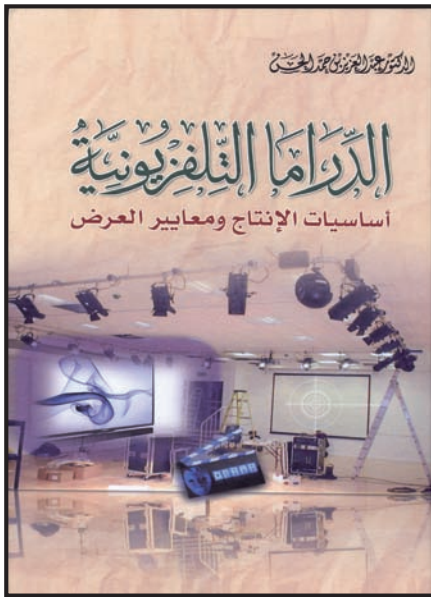
وتساعد نتائج عملية قياس المشاهدة (و) الاستماع في تحديد معايير البرامج الجديدة وإعادة جدولة البرامج وصياغة المضامين الإعلامية والسياسات الاستراتيجية الإعلامية.

الدراما التلفزيونية أساسيات الإنتاج ومعايير العرض

هذا الكتاب هو من تأليف الدكتور عبد العزيز بن حمد الحسن المتخصص في الإعلام، وسبق أن شغل خطة مدير عام إذاعة الرياض وعدة مسؤوليات بالتلفزيون السعودي، وله تجربة مهنية وعلمية ثرية في مجال الإنتاج التلفزيوني.

ويتناول هذا المؤلف الذي جاء في 300 صفحة من القطع الكبير أسس إنتاج الدراما التلفزيونية ومقومات عرضها.

وهي تمثل - كما هو معلوم - أحد أبرز البرامج التي تحظى بإقبال لافت من قبل المشاهدين على اختلاف فئاتهم وتنوع مشاربهم، وإنّ هذا الفن لا يمكن صناعته بالصورة الفاعلة، ما لم تتم مراعاة مكونات بنائه وعناصره التفصيلية بدقة، وهو ما ركّز عليه الكتاب بصفة مفصلة، إذ أورد معلومات ضافية حول طرفي المعادلة الكفيلة بتحديد سبل النجاح في تقديم دراما تلفزيونية متميّزة. كما أنه يوضح القواعد الفنية للأعمال الدرامية من خلال التعريف بالمرتكزات الرئيسية لكتابتها، وإخراجها، ويحدّد أيضا طبيعة جمهور الدراما، ويبيّن أساليب تفسيرها إعلاميا ووظيفيا، أخذًا في الاعتبار المنطلقات الفكرية التي يمكن أن يستند عليها البناء الدرامي بأبعاده المختلفة.



والكتاب من زاوية أخرى، يستجلي العناصر التي يتم على أساسها تقييم الدراما التلفزيونية، مدعّمًا ذلك باستطلاع تجارب عدد من الدول العربية في ضوء سياساتها الإعلامية، مع الاستشهاد بأساليب وآليات مؤسسات وجهات دولية معنيّة بتحكيم المنتج الدرامي وفق معايير جوهرية.

وهو يشتمل على تمهيد، وتعريف بالدراما وتاريخها، وعلى بابين رئيسيين يضمّان تسعة عشر مبحثًا كالتالي:

الباب الأول: أسس إنتاج الأعمال الدرامية التلفزيونية:

- القواعد الفنية للأعمال الدرامية...
- المدارس الفنية لقراءة الدراما وتفسيرها...
- الأسس الفكرية لإنتاج الدراما التلفزيونية...
- تجارب الدول والمنظمات...

الباب الثاني: بناء الأسس والمعايير - والمعايير المستخلصة - وبناء المقياس

وقد تكون هذه المعايير ذات فائدة في مستوى التطبيق من قبل الجهات ذات العلاقة، وعلى الأخص لجان التقييم في محطات التلفزيون ولجان التحكيم في المهرجانات وشركات الإنتاج الدرامي، والمهنيين والباحثين المهتمين بالدراما التلفزيونية.

من إصدارات اتحاد إذاعات الدول العربية



ABSTRACT

The new issue of « Majallat al-Itha'at al-'arabiya » (Arab Radio Review) contains (II, 2012) a number of studies and articles relating to the broadcasting landscape. Its lead section is titled “TV and ICT: medium of education and support to knowledge”.

As for the editorial, it represents a reading of the newly issued “Arab Satellite Broadcasting Report 2011”.

The lead section includes the following studies and articles: “from education using the media to educating on media”: it discusses the nature of the relationship between the educational institution and today’s communication and information system components. It answers the two questions: “Is the communication and information pedagogy the alternative to the educator’s pedagogy?”, as well as “where to introduce educating on media into the Arab culture?”, especially in the light of the “Arab spring” now sweeping through some Arab countries.

The second article in the lead section attempts to study the communication approach of interactive multimedia in the education field. The article asks a couple of questions. The first one wonders about the bases for the communication approach in understanding the education process. The second asks to what degree it can be perceived that such an approach represented the solution to the unresolved pedagogical problems in the classical systems and approaches, especially as dealing with the use of multimedia and modern electronic forums in education.

Among the issue’s articles, one covers “Media public studies: from impact studies to studying reception;” meaning an active role, expression and image formation. Another article reviews the key roles played by ICT’s in the education process, the results produced by ICT’s in improving education and curricula.

Several other articles are also included in the new issue, such as the Sudanese documentary, the social websites and the political changes throughout the Arab region.

Regular sections are also there, particularly those covering ASBU’s activities, the follow-up on developments in the Arab broadcasting scene, the window on member corporations and the newly published book reviews.

The window on member corporations allows the reader to take knowledge of the activities undertaken by the Saudi TV, now considering the establishment of a satellite platform in order to help nationalize the media. There is also the projected code of conduct and editorial line being initiated by the Tunisian TV, as well as the audio-visual archiving project undertaken by the Palestinian radio and TV corporation.

ISSN : 0330 - 6518